أحمد محمد عاشوراكس

صفحات تاريخية خالدة

من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الإستعمار الفرنسي الإستيطاني



1500 - 1962م

منشورات
المؤسسة العامة للثقافة

أحمد محمد عاشوراكس
(كاتب وصحفي)

صفحات تاريخية خالدة

من الكفاح الجزائري المسلح ضد
جبروت الإستعمار الفرنسي الإستيطاني
(1500 - 1962 م)

سرد تاريخي مختصر بين الدول الأوروبية على
فرض هيمنتها على دولة الجزائر بدءًا من
القرن الخامس عشر حتى قيام ثورتها المباركة
عام 1954 الأمر الذي نالت حريتها بالقوة عام 1962م،
بفضل الله تعالى وابنائها الأبطال.

منشورات
المؤسسة العامة للثقافة

□ **أحمد محمد عاشوراكس**
صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح

□ الطبعة الأولى: 1377 من وفاة الرسول ﷺ (2009)

المؤسسة العامة للثقافة

WWW.gpcc.gov.ly - info@gpcc.gov.ly

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾

[البقرة: 216]

«صدق الله العظيم»

فهرس المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

لمن صنعوا التاريخ في العصر الحديث.

إلى جميع شهداء الجزائر الأبرار الذين قدموا أرواحهم الزكية قرباناً لحرية أرضهم الطاهرة المكافحة ضد الاستعمار الفرنسي الظالم الذي تجاوز مذابح التتار الهمج وجيوش الصليبيين الأشرار.

إلى جميع المناضلين الجزائريين الأحرار الذين صمدوا صمود الأبطال في وجه همجية الجيش الفرنسي الاستعماري ومرتزقته الخونة الذين باعوا ضمائرهم للشيطان.

إلى كل من ساهم في تحطيم الأغلال وإجلاء الاستعمار الفرنسي بالقوة وإبطال أكاذيبه عن الجزائر ـ أرضاً وشعباً.

إلى كافة الفدائيات الجزائريات الأحرار اللآئي ضحين بأنفسهن لأجل نصرة وعزة الجزائر حرة ومستقلة سيادياً. و ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

طرابلس ـ تاريخ بداية الكتابة ـ في 8/ 2/ 1990م

أحمد محمد عاشوراكس ـ كاتب وصحفي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم
لمحة تاريخية مختصرة حول كفاح الجزائر البطولي

خلال القرن السابع الميلادي، أحدث الفتح الإسلامي ثورة كبرى تمثلت في انهيار الحاجز المغلق الذي يفصل أرض الشرق عن الغرب. وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان توسعت حركة الفتح في الشرق والغرب حتى بلغت مساحة الدولة الإسلامية ضعف مساحتها، حيث اندفعت الجيوش الإسلامية من الأراضي الفارسية في شعبتين، اتجهت إحداهما إلى بلاد ما وراء النهر (جيحون) واستولت على بخارى وسمرقند وفرغانة وكشغر وبلغت بعدها أطراف الصين.. بينما اتجهت الشعبة الثانية إلى الهند واستولت على بلاد السند حتى مدينة الملتان في قلب آسيا.

وفي الغرب تقدمت الجيوش الإسلامية من برقة إلى بلاد المغرب، واستطاعت أن تطوي أرضها حتى المحيط الأطلسي.

ولم يلبث أهل مصر والعراق وبلاد المغرب وغيرهم من أهل المدن والقرى أن دخلوا في الدين الإسلامي أفواجاً، بسبب حقيقة ما لمسوه من عدل العرب المسلمين وحسن إدارتهم، ومعاملتهم، ونتيجة ما عاد عليهم من فوائد روحية ومادية لاعتناقهم هذا الدين الإسلامي الحنيف دون إكراه.. وهو الإيمان بالإسلام الحنيف.

وفي عام 682م خرج عقبة بن نافع الفهري الذي يعتبر أقدم المسلمين عهداً بأفريقيا والذي أتم فتح جميع أراضي المغرب حتى المحيط الأطلسي.. وهناك وقف على شاطئه.. ورفع يديه إلى السماء داعياً: «اللهمّ اشهد أني بذلت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك». وكان هذا هو الفتح الأول والكامل لبلاد المغرب الذي دخلت معه قوافل المهاجرين العرب من الجزيرة العربية وبذلك حمل الجميع رسالة الإسلام الواضحة كالنور.

هذا وأسس عقبة بن نافع مدينة القيروان ـ في تونس ـ وجعلها عاصمة الشمال الأفريقي الجديدة.. فصارت مقر الحكم وكرسي الإمارة ومصدر السلطة في أقطار المغرب.. ويشمل الشمال الأفريقي ـ في التعبير الجغرافي ـ المنطقة الممتدة من قناة السويس شرقاً، إلى جبال أطلس المشرفة على المحيط غرباً، وتنضم خمس وحدات سياسية هامة، هي مصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش.. ولشمال أفريقيا الجغرافي كله، ظروف تاريخية متشابهة منذ أقدم العصور، إذ امتزج تاريخها بتاريخ الفينيقيين، والقرطاجيين، والرومان القدماء؛ ثم كان الفتح العربي الذي بدأ خطاه في هذه البلاد سنة 22 بعد الهجرة، فحدد لها قوميتها العربية المشتركة التي توصف بها منذ أربعة عشر قرناً، فصارت منذ ذلك التاريخ بلاداً إسلامية، عربية القلب واللسان والدم، لا يفرق بينها وبين غيرها من الأقطار العربية المسلمة إلّا الفوارق الطبيعية التي تفرق بين أخوين تباعد بينهما المكان واختلفت البيئة والمناخ[1].

(1) كتاب «شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل» ـ دار المعارف بمصر، العدد 8.

مسيرة الفتح الإسلامي من المغرب إلى جنوب فرنسا وأُوروبا...

لقد مر الحديث باختصار شديد عن الفتح الإسلامي وخروج القائد المسلم عقبة بن نافع الفهري الذي عن طريق قيادته الحاذقة أتم فتح جميع أراضي المغرب حتى المحيط الأطلسي، حيث اجتازت الجيوش الإسلامية البحر إلى أوروبا ونزلت إسبانيا.. وبعدها تم الإستيلاء على دولة القوط الغربيين حتى أن وصلت إلى جبال البرانس. وهنا وقف طارق على أبواب فرنسا.

ومن هذه الجبال زحفت الجيوش الإسلامية إلى جنوب فرنسا، عند مدينة تور الواقعة شمال بواتييه حيث استطاع الفرنسي شارل مارتل، وزير القصر لملك غاليا أن يتصدى لها بجيوشه ويوقفها عند هذه المدينة الفرنسية ولكنهم تركوا آثارهم في فرنسا.

هذا ونتيجة لإتساع الدولة الإسلامية وانتشار اللغة العربية بين الأقطار المفتوحة شرقاً وغرباً وإسبانيا، فقد أسهمت حضارتها في نمو الحضارة الإسلامية التي بدورها كانت منارة في القرون الوسطى حيث بعد أن كانت عصور الكفر والظلام والظلم والتعذيب صارت تعيش الحضارة الإسلامية الجديدة التي تحض المجتمع وفق القرآن الكريم بأن يتعاونوا على البر والتقوى.. فلا فوارق ولا تمييز بل إخوة في الانسانية ـ والإسلام قد سبق الأمم كلها بحفظ حقوق الإنسان. ومن آياته الكريمة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: 125] ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: 256].

وجدير بالذكر فقد شجعت مواقف العرب الأخلاقية الإسلامية وحسن إدارتهم ومراعاة أُمورهم الاجتماعية الطبقات العاملة التي عانت قبل مجيء العرب البؤس والانحطاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي أيام حكم

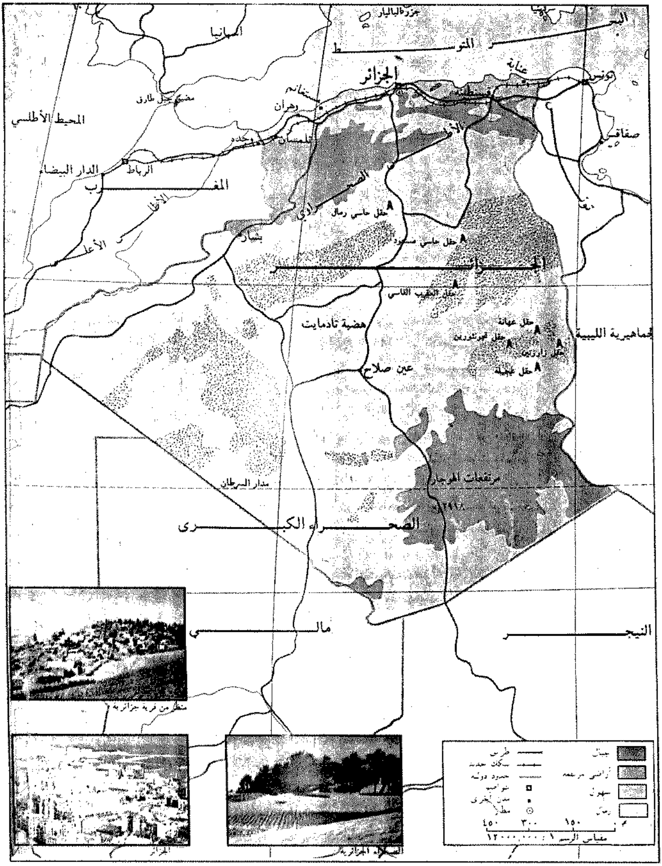
الروم والفرس وغيرهم من الأجناس الغازية، فوجدت في الإسلام لا يفاضل بين أحد إلّا بالتقوى والعمل الصالح لكي يعود بالخير على الجميع.

ثم إن العرب المسلمين هيأوا أمام معتنقي الدين الجديد في الأقطار المفتوحة كل أسباب تكافؤ الفرص للوصول إلى أرقى مناصب الدولة الإسلامية، والوقوف على قدم المساواة مع العرب المسلمين، فلهم ما للعرب المسلمين، وعليهم ما عليهم. وبذلك السلوك فقد تكوَّن من معتنقي الإسلام الجدد، في أقطار الشمال الأفريقي، العمود الفقري للجيوش الإسلامية التي فتحت الأندلس بقيادة أحد أبنائها البررة طارق ابن زياد[1].

❊ ❊ ❊

---

(1) بعد أن اجتاز طارق بن زياد المضيق عند فتح الأندلس سنة 711 م سمي بجبل طارق وسمي أيضاً جبل الفتح. وعرف قديماً باسم عواميد هرقل. يقع مضيق جبل طارق (4,900 كم^2) بين إسبانيا والمغرب ويتصل بين القارتين الأوروبية والأفريقية، ويصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي، عرضه 15كم وعمقه 450م. وهو من ممتلكات بريطانيا وقاعدة عسكرية كبيرة. فقد كان في يد الإسبان علم 1462، وانتزعها منهم الإنكليز عام 1704م. ويحكم المدينة والي انكليزي يهودي!! هذا وقد زرت جبل طارق عدة مرات عندما كنت ضمن البعثة الليبية الدبلوماسية المعتمدة بالمغرب خلال 1960/ 1963م كمستشار إعلامي وثقافي ومالي بين المغرب وإسبانيا.



المصدر: «مجلة الشاهد» السنة الثالثة ـ العدد 33 ـ شهر مايو 1988م.



يقع جبل طارق بين إسبانيا والمغرب الأقصى وتمتلكه بريطانيا منذ عام 1704م كقاعدة عسكرية في خدمة الحلف الأطلسي العدواني، والمؤَيد مادياً ومعنوياً للعدو الإسرائيلي، وحروبه ضد الدول العربية بعد اغتصابها لفلسطين، وقهر شعبها المناضل لأكثر من قرن ضد أطماع الدول الغربية وأميركا في مقدمتها إلى اليوم والأمم المتحدة تتفرج على هذه المأساة!!!.

تاريخ عصور
الإسلام الخضراء للإنسانية قاطبة

ولا نغالي إذا قلنا أنه ليس في تاريخ العالم تاريخ حافل حقاً بالمفاهيم الواضحة وتعاليم الخير للإنسان دون تمييز في الدين والعرق.. وحافل أيضاً بالمواقف والأعمال الإيجابية الرائعة والإنسانية الصادقة.. مثل تاريخ الإسلام، بل بالشواهد والأدلة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: 13]، صدق الله العظيم.

وبشروق شمس الإسلام، إنتهى ليل الجاهلية والوثنية والانحطاط والتخلف. وجعلت شرائع الإسلام المؤمنون أخوة، كما جاء في الحديث: «**الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى**». ولا إكراه في الدين، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ...﴾ [يونس: 99] إلخ.

هذا وبعد القرن السابع الميلادي، دانت أراضي ومدن الواحدة بعد الأخرى بحيث شملت أرض مصر والشام وفلسطين وشمال أفريقيا برمته، «ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا»، ثم امتد الفتح الإسلامي فشمل بلاد الأندلس (إسبانيا والبرتغال) وجنوب إيطاليا وجزيرتي مالطا وصقلية بحيث صارت الدولة الإسلامية في عام 1100م تضم العديد من شعوب الهند والسند والصين والتركستان والعجم والشركس والبلغار

والروم والفرنج والبربر والقوط في رقعة فسيحة من الأراضي تمتد من جبال البرانس في أوروبا إلى ما وراء الصين في الشرق الأقصى.

وقد أسهم العرب المسلمون في هذه الرقعة الشاسعة في بناء الحضارة الإسلامية الجديدة لكونها خلاصة الحضارات المجاورة السالفة عليها.. فوجد العرب المسلمون عناصر الحضارة اليونانية أمامهم في الشام ومصر والعراق، كما وجدوا الحضارة الفارسية في إيران، وكانت الحضارة الفارسية قديمة الصلة بالحضارة الهندية، ولم يقتصر فضل الحضارة العربية الإسلامية على تهذيب التراث الحضاري والإضافة إليه، بل أسهمت كذلك بأمجادها ودراساتها في وضع الحجر الأساسي للحضارة الأوروبية وغيرها من حضارات العصر الحديث.. ولولا إقدام العرب المسلمون على حركة الترجمة في ميادين العلوم والفلسفة وميادين العلوم الفلكية والطبيعية والفيزياء وغيرها لعاشت أوروبا في ظلمات التعصب والجهل والفقر قرون عديدة غير قادرة على تحقيق نهضة قومية تكفل لها حرية الإبداع في إصلاح ذاتها من غير قيود رجال الكنيسة الذين حكموا على علماء أوروبا بالقهر والتعذيب والسجن وحرق مؤلفاتهم بحجة الزندقة!! في العصور الوسطى!! وما محاكمة العالم «جاليليو» إلّا دليلاً على هذا.

إن الموضوع واسع كما بيّنه المؤرخون العرب، ومتعدد الجوانب، وسعته هو سعة ضياع العرب ونفوذهم بعد سقوط غرناطَة حتى الخمسينات. ولكن مهما كان الأمر، فالتاريخ يبقى عبرة وتحذير، كما أني لا أقدم للقارىء العربي معلومات جديدة غريبة عني وعنه، وإنما هي معلومات مفيدة للذكرى وتمهيداً لعلاقتها بثورة الجزائر التي حققت الأماني الوطنية بالقوة ما كان يُعتقد أن ثورة الجزائر الحديثة ضد فرنسا الاستعمارية المتجبرة هي ضرب من الجنون خاصة بعد أن استرجعت مكانتها الدولية على أثر هزيمتها الشنيعة واستسلامها الواهن لألمانيا النازية في 14/ 6/ 1940م.

يقول الأستاذ رمضان لاوند في بحثه حول «مواقف تاريخية حاسمة» ـ الحلقة 96 ـ «في مجلة النهضة» ـ الكويتية: «إن التفاوت الكبير بين المنتصر والمنهزم لا يعتبر دلالة فاصلة على خسارة الحرب. الشيء الوحيد المطلوب، هو الضمانة القائمة، هو الاستمرار في رفض الاعتراف بالهزيمة ورفض حكم الاستسلام دون شرط أو قيد.. والشيء الثابت أن الوزن العربي قد ازداد ثقلاً عما كان عليه من قبل رغم النكسات المتتابعة. أن أمة تمتد لها جذور حضارية عبر عشرات من القرون الماضية، لا يمكن أن تقتلع جذورها ما لم تفق أعيانها فرداً فرداً. وهذا لم يحدث حتى الآن ولن يحدث في المستقبل في ضوء الوقائع التي تعاقبت منذ قرنين من السنين.

وكدليل على ما تقدم، فقد خابت ظنون الاستعماريين الذين وطئوا التراب الوطني العربي وجاسوا خلال الديار ومارسوا فنوناً من سياسات الضغط والإبادة، أجل لقد خابت ظنونهم، وفشلت محاولاتهم وخسروا ثقتهم بهذه وتلك حين اعتقدوا مثلاً أن في وسعهم «فرنسة» قطر من أقطار العروبة. فإذا بهم يجدون أنفسهم بعد 130 سنة مارسوا فيها أسوءَ سياسات القهر، يغادرون هذا القطر وهم يجرون أذيال الهزيمة. وكانت عودة هذا القطر إلى العروبة مضرب المنال في الصمود وإرادة الكفاح تحقيقاً للذات وحفاظاً على اللغة والتراث. وهذا القطر هو الجزائر نفسه.

هذه الظنون الاستعمارية لم يبدعها خيالنا، ولم نستنتجها من خلال الوقائع التي وقعت وحسب، بل تحدث عنها غلاة الاستعماريون أنفسهم حين تمكنوا من الاستيلاء على القطر الجزائري ثم أصدروا مراسيمهم القاضية باعتبارها إقليماً من الأقاليم الفرنسية، آملين كما سجل «بيجو» وبعض ضباطه الذين تولوا فتح الجزائر في مذكراتهم، أن يكون مصير الجزائري العربي على صورة المصير الذي انتهى إليه الهندي الأحمر في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولعل من المفيد بعد هذا أن نعود إلى التراث الإسلامي وإظهار بعض

خصائصه العلمية وأثره في نشر العلم العربي في أوروبا المسيحية، التي كانت في غياهب جهالتها وظلم حكامها الذين لا يعزى لهم أي تقدم يذكر بسبب الديانة النصرانية، ولو أنها كانت تحث على إجراء العدل والمساواة لدى الحكم، لكنها لا تتدخل في التصرفات السياسية لأنها تأسست على التبتل والزهد في الدنيا حتى أن عيسى عليه السلام كان ينهي أصحابه عن التعرض لملوك الدنيا فيما يتعلق بسياسة أحوالها قائلاً: «إنه ليس له ملك في هذه الدنيا لأن سلطان شريعته على الأرواح دون الاشباح»[1]. «متعارض مع ما جاء به الإسلام».

والشيء الأساسي الذي لا بد من تسجيله هو أن الدين المسيحي الذي حارب العلم والعلماء مؤسس على التبتل والزهد في الدنيا بينما الدين الإسلامي مؤسس على الدين والدنيا. والله عز وجل يقول وهو أحسن القائلين: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77]. ولأجل إقامة الحياة في الأرض وتحقيق الأمن والرخاء في المجتمع، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]. والنبي محمد ﷺ يقول: «**أعمل لدنياك كما تعمل لأخرتك**» أي: أعمل وكأنك تعيش أبداً وأعمل في نفس الوقت وكأنك تموت غداً.

وبالقرآن والسنّة سنة النبي محمد ﷺ صار العرب المسلمون في أوج عزتهم ومجدهم في القرون الوسطى يرون أنفسهم مركز العالم، ويقفون من القارة الأوروبية موقفها منهم اليوم، حتى ذهب قاضي طليطلة «سعيد بن أحمد» (1068م) إلى القول أن أمم الأرض تقسم إلى قسمين: أمم ذات

---

(1) خير الدين التونسي «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» الدار التونسية للنشر ـ المؤسسة الوطنية للكتاب 1986م، الطبعة الثانية (ص 50).

معارف وعلوم، وأمم جاهلة، وعلى رأس القسم الأول العرب وعلى رأس القسم الثاني الأمم الأوروبية[1].

هذا وجمله القول: إني لا أريد الدخول في بحث طويل لتفنيد أكاذيب فرنسا ضد القطر الجزائري (بأنه لم يكن له تاريخ يذكر وأنه لم يكن في يوم من الأيام دولة حرة ذات سيادة، أو أكان قطر تتحكمه الفوضى والهمجية والقرصنة) وغيرها من مظاهر التحريف والخداع والمكر مما كان مبرراً للعدوان الفرنسي الآثم عام 1830م، وأوهمت بذلك الدول الأوروبية حتى تحجم عن إثارة القضية الجزائرية في المحافل الدولية!! ولكن ليس للباطل أساس.. فمهما عمل المرء على إخفاء الحقيقة لا بد عاجلاً أم آجلاً أن تظهر للوجود وتنسف الأكاذيب وتلطم قائلها. وهكذا حطمت ثورة الجزائر الشجاعة أوهام وأكاذيب فرنسا الاستعمارية التي كانت تسعى أن تعزل القطر الجزائري ـ أرضاً وشعباً ـ عن بقية الوطن العربي الكبير!!.

يرتبط تاريخ الجزائر مع الأقطار العربية الأخرى شرقاً وغرباً التي عاشت معها مرحلة طويلة من تاريخها الحضاري والتراثي والاقتصادي والسياسي والنضالي.. لا تعرف الحدود والفواصل بالمعنى الذي نعرفه في أيامنا الحاضرة.. فقد كانت الجزائر تعيش في ظروف متشابهة ونظم لا تكاد تختلف كثيراً، ولم يحكم الانتقال من مكان إلى آخر فيها غير الظروف الطبيعية، ومدى تقدم وسائط المواصلات المستعملة[2].

والجزائر جزء من الوطن العربي الذي تمتد حدوده من المحيط

---

(1) د/ محمود السمرة: «مراجعات حول: العروبة والإسلام وأوروبا ـ كتاب الرابع ـ كتاب العربي ـ أكتوبر/ 1984م ـ الكويت، ص 71.

(2) العماد مصطفى طلاس: «فارس الجزائر ـ الأمير عبد القادر»، دار النشر طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ سوريا دمشق ـ الطبعة الثانية أذار 1984م، ص 31.

الأطلسي في الغرب حتى الخليج العربي وجبال زاغروس في الشرق ومن البحر المتوسط وجبال طوروس في الشمال حتى المحيط الهندي وأواسط أفريقيا في الجنوب، ضمن حدود طبيعية واضحة المعالم. وكان لها أكبر الأثر في إتاحة الفرصة لتكوين الشخصية العربية في صورة واضحة متميزة[1].

إن من طبيعة جل الأوروبيين الجحود ونكران الجميل - بل يغلب عليهم الحسد وتخطيط العدوان على الآخرين تحت ذرائع كاذبة غادرة - وهناك أدلة وشواهد بارزة ماضياً وحاضراً تؤكد ما نحن بصدده.. ولا يفوتني في مطلع هذه المقدمة أن أذكر أن أهل شمال أفريقيا عموماً وخاصة قادتهم وفقهائهم وعلمائهم قد شاركوا اخوانهم في الشرق العربي مشاركة إيجابية في إبراز مظاهر الدين الإسلامي المزدهرة في العديد من الميادين المختلفة - في العقيدة والحياة العقلية والعلمية والثقافية وفي مسائل الأحوال الشخصية وفي إشاعة الأخلاق والآداب الإسلامية الحميدة، مضحين في سبيل الآخرين المضطهدة والمظلومة أرواحهم الطاهرة ليكونوا أحراراً في ظل الإسلام السمح الغني بتراثه الخالد إلى يوم الدين.

فإذا ما تتبعنا ما قدمه رواد الإسلام قبل أن يقوم الزنادقة والمنافقين والمستشرقين بتشويهه متأثرين بالإسرائيليات التي اقتحمت حرمة الإسلام ومبادئه، نجد أنهم أشاعوا التسامح والصفح والعفو وحافزوا على العمل والاستثمار ونشروا الأمن والعدل والرفاهية متخلقين بالأخلاق الإسلامية النقية التي أنصفوا بها من حيث الشجاعة والأنفة من الضيم، وحفظ الجوار واحترام المرأة، وإكرام الضيف، والولع بالشعر وفصاحة اللسان وشاعت كل

(1) نفس المصدر - ص 32.

ذلك في المجتمع الإسلامي، حتى بعد ذهاب نفوذ العرب السياسي، على أثر الغزو التتري والمغولي والحروب الصليبية الهمجية، وعن رواد الإسلام انتقلت سمات الإسلام العظيمة إلى أوروبا في أعقاب العدوان الصليبي ضد الوطن العربي، فامتزجت تلك السمات المؤثرة بالنظام المعروف في أوروبا بالفروسية، (CHEVALERIE).

ونحن إذ نقرأ عن المنجزات التي أبدعتها المدنية الإسلامية وطورتها للعيش في إطار ملحمة من أعظم ملامح التاريخ، ذلك بإن الإسلام، من القرن الثامن إلى القرن الثامن عشر، قد أثار العالم بحضارة فريدة لا تضاهيها حضارة أخرى. فقد ظهرت الفنون والعلوم في الشرق الأوسط في القرن السابع، ثم امتدت بعد بضعة قرون إلى شمال أفريقيا وإسبانيا وصقلية غرباً، وإلى إيران والهند والشرق الأقصى شرقاً فقد تكوّن العالم الإسلامي من بلاد وشعوب كثيرة. وأصبح أفراد تلك الشعوب جميعاً أخوة في الروح، يُوحد بينهم الدين الإسلامي ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]، ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]، ثم إنه بحق لا يتغير أبداً. فإذا تغير أو لو تغير لما كان حقاً[1].

هذا وقد عبرت الوحدة العربية الإسلامية، التي تنوع تطورها عن نفسها بحضارة عظيمة وتراث نبيل حيث كلاهما تركا أثراً عميقاً في حياة المدنيات الأوروبية الغربية المتاخمة للعالم الإسلامي في الفنون والعلوم المختلفة التي كانت غير متناولة لدى الغرب. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد كرس

(1) كتاب بحوث المؤتمر الإسلامي (ص 218).

رجال الهندسة والمعمار المسلمون أعظم مهاراتهم الفنية لبناء المساجد الفخمة وكذلك المباني العظيمة في أقطار العالم الإسلامي ـ كالجزيرة العربية ومصر وتركيا وإيران والهند والمغرب وإسبانيا وصقلية. وقد أعجب مهندسو المعمار والفنانون الغربيون، الفرنسيون والألمان والإنكليز والإيطاليون في العصور الوسطى، بالمنجزات الإسلامية، فاقتبسوها ومن ثم أدخلوها في كنائسهم وكتدرائياتهم الفخمة في ألمانيا وإنكلترا وإيطاليا وفرنسا التي كانت سباقة في شن الحروب الصليبية ضد الدين الإسلامي والمسلمين. وهذا جزاء من يفعل الخير!!

هذا وقد أصبح المسلمون مهندسين ماهرين في مجال الماء التي أشار إليها القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]. فطوروا الناعورة في حماة بسوريا، وآلات كثيرة جديدة من الساعة المائية المتقنة إلى الساعة الأوتوماتيكية العجيبة التي كانت تدار بالماء. وطبق المهندسون النظريات التي تعلموها من علماء الأغريق والرومان. ووصفوا في كتاباتهم العلمية الأولى منجزاتهم الخاصة، كآبار الماء ذات المستويات الثابتة. والمنجزات الإسلامية العلمية التي قام بها كثيرون من كبار علماء الإسلام كالرازي والبيروني وابن سيناء وغيرهم، انتقلت كلها إلى الغرب، وكما كان العلماء العرب، رواداً بارزين في فروع أخرى من العلوم؛ كالبصريات والضوء. فقد ألف ابن الهيثم، العالم العربي الذي ولد في القرن العاشر، «كتاب المناظر»، وهو كتاب في البصريات يعتبر من أعظم الكتب العلمية التي وضعت في العصور الوسطى وكان ثمرة اكتشافاته في حقل البصريات، كما ألف «كتاب قوس قزح»، «والقمر المظلمة»، فكانت بداية أدوات التصوير الفوتوغرافي. وغيرها من المنجزات العلمية في موضوع الكسوف والخسوف والمجهر والمرقاب الشيء الذي ترك في الفكر العلمي الغربي أثراً دام قروناً كثيرة.

وإني لعلى ثقة أن كل قارىء عربي حينما يطلع على عظمة منجزات علماء العرب، سوف يغتبط جداً لأنها تنفي الإدعاءات الغربية الاستعمارية الكاذبة كلية. والأمر في فهم المؤرخين والمثقفين واضح كل الوضوح من أن يحتاج للتدليل. ولكن كأساس من تفسير ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي بصورة خاصة، لا بد لي في هذه الحالة أن أعرض بأمانة ولو بإيجاز شديد دعائم النهضة الفكرية والعلمية لكي ندحض بها إفتراءات فرنسا قبل عدوانها العسكري ضد دولة الجزائر التي نعتز بثورتها الباسلة ونضرب بها المثل في الإقدام والتضحية بالنفس والنفيس لأجل التخلص من سيطرة الاستعمار الفرنسي الذي حاول ولم ينجح في تغيير أهداف الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، لبلاده طال الزمن أم قصر. هذه حقيقة صارخة، فلم تستكن الجزائر لحياة الذل والهوان.. فبعدما جاءت الفرصة للتآمر.. قام كل الشعب كرجل واحد في وجه الاستعمار الفرنسي الذي مارس كل ألوان العسف والظلم، ولكن خضعت فرنسا أخيراً للقوة وللثورة الجزائرية.

مسار العلماء العرب الفكرية والعلمية وما قدموه للعالم

ونعود إلى مواصلة مسار العلماء العرب الفكرية والعلمية. فقد كان علم رسم الخرائط للأرض ومياهها مهماً جداً لإثبات دعائم العالم الإسلامي مادياً ومعنوياً. ولذلك، فقد كان العرب أول من استعمل الأبرة المغنطيسية في الملاحة في مطلع القرن التاسع والعاشر، بالإضافة إلى تحسين الاسطرلاب الذي لم يشعر الملاح الغربي بالأمان دونه عدة قرون.

وقاس الخوارزمي وغيره من العلماء العرب طول الدرجة الأرضية. أما العالم العربي البيروني فقد عيَّن بدقة خطوط الطول والعرض، وفكر في إمكان دوران الأرض حول محورها قبلَ العالم الغربي الشهير غليليو بستة قرون.

هذا وكان الإدريسي كبير علماء الجغرافيا في زمانه، ونجم حضارة القرن الثاني عشر الإسلامية التي ازدهرت في صقلية. وقد عهد إليه الملك النورماني روجر الثاني بوضع أطلس للعالم. فضم أطلسه عشرات الخرائط لمناطق لم تظهر على خريطة من قبل. وأصبح ذلك الأطلس خير دليل وصف للعالم في العصور الوسطى. وقد دام تفوق العرب في مادة الجغرافيا زمناً طويلاً. وبفضل العرب نجحت الرحلات الاستكشافية الغربية إلى مناطق لم تعرف من قبل في القرن الخامس عشر. ومنها استفاد كريستوف كولومبو في اكتشاف العالم الجديد.

وبعد الحديث عن الجغرافيا التي بقيت المرجع الأساسي للأوروبيين بفضل الرحالة العربي ابن بطوطة وغيره، فأتى إلى الأرقام العربية التي نظر وينظر إليها الغرب بأنها كانت المنقذ للحياة في العالم كله، لو لم تقتبسها أوروبا من مبدعيها العرب الأفذاذ في القرن الثالث عشر. وقد أضاف الرياضيون العرب الصفر إلى نظام الأرقام، وحولوا الأرقام والصفر إلى طريقة عملية مكنتهم، أول مرة في التاريخ، من حل المعادلات الرياضية المعقدة. وتم بها التغلب على كل شيء. ثم إن الأمر ليزداد وضوحاً، عندما نعي الأسس العلمية العظيمة الأخرى التي تقدم بها العلماء العرب إلى الإنسانية كافة، واقتبسها الأوروبيون ناكري جميل العرب الذين كان لهم أثر بالغ في الحياة العقلية لعلماء أوروبا دون استثناء. ومع ذلك حاول ويحاول الغرب طمس هذه الحقائق!!

فبعد تقدمهم في ميدان الأرقام وغيرها من الأمور المتعلقة بالهندسة والرياضيات، تقدم العلماء العرب في منجزات علمية عظيمة أخرى. فقد بنوا مراصد فريدة بعيدة المدى. لأنهم بمراقبة الكون المادي يستطيعون أن يفهموا القدرة الإلٰهية بصورة أفضل ولم يكن شيء يستطيع الإنسان تقصيه في الأرض أو في السماء غريباً على هؤلاء العلماء. ولهذا كان الفلكي، في العالم الإسلامي بأسره، عادة رياضياً وجغرافياً وفيزيائياً وفيلسوفاً، وإلى حد ما لاهوتياً، أمثال هؤلاء الرجال الصناديد مهدوا السبيل للعبقرية المتعددة الأوجه التي تحلى بها ليوناردو دافنشي في عصر النهضة الإيطالية. وقد كان العرب العباقرة رواد حقل الصحة البشرية وفي العلاج الطبي. وكان الرازي أول من شخّص الحصبة والجدري، وأول من استعمل في العلاج المرهم الزئبقي، وأمعاء الحيوان في خياطة الجروح.

علماء الإسلام في العصور الوسطى

وأما ابن سينا الفيلسوف العالم المعروف في الغرب، فكان أعظم من ألف في الطب في العصور الوسطى. وعرفت كتب الطب واستعملت حتى القرن السادس عشر في أوروبا الغربية.



ابن سينا

ابن سينا العالم العربي، مؤلف موسوعة طبية، ورائد في استعمال الأعشاب طبياً وفي نظريات علم النفس.



الرازي

الرازي الذي عاش في القرن التاسع، كان أول طبيب مسلم، وكاتب موسوعة طبية ومرجعاً في الأمراض المعدية.

وكما سبق أن أشرنا إلى تقدم العرب في الرياضيات، فإن الفلكيين المسلمين استطاعوا بدورهم أن يتسلحوا بالطرق المرنة الدقيقة في الحساب ويستكشفوا الاجرام السماوية بصورة أكثر تفصيلاً مما أفادوا الغرب مستعملين المعلومات قروناً عديدة بمراقبتهم حركات الشمس والكواكب والنجوم مراقبة شاملة ووضع خرائط لها لفهم ظواهر الكون.

علماء الإسلام



الخوارزمي

كبير علماء الرياضيات العرب.



البيروني

عالم ورائد من رواد العلوم الطبيعية.

هذا ونصل إلى القول بأن الحضارة العربية الإسلامية التي تقدم روادها العلماء العرب بالعطاء الغزير دون تحفظ، في المجالات العلمية المختلفة، بدءاً من الهندسة والجغرافيا والري والسقي وفي الأمور الفلكية والرياضيات والطب والأدوية إلى أمور الزراعة والنبات والفواكه والحرف والأدب والثقافة والفلسفة وغيرها من العلوم المفيدة للإنسانية قاطبة، من القرن الثامن إلى القرن الثامن عشر، إنما كان كل ذلك الإنجاز في إطار رسالة الإسلام الخيرة والمؤمنين بها، والذين يؤثرون على أنفسهم ويحبون للغير ما يحبونه لأنفسهم قولاً وعملاً. هكذا كان المخلصون الحقيقيون في الماضي.

هذا وما دونت هذا الفصل إلَّا قصداً لأثبت مساهمة الرواد العرب في شمال أفريقيا مع اخوانهم في الشرق العربي في إرساء دعائم الحضارة العربية الإسلامية في الوقت الذي كانت أوروبا بالذات. لا تساوي شيئاً أَمام تقدم العالم الإسلامي في جميع مناحي الحياة.

موقف الاستعمار الغربي من الجزائر...

باديء ذي بدء قبل أن تقوم فرنسا بثورتها الشعبية العارمة ضد نظامها الملكي ومنادية بدعاماتها الثلاث: «الحرية والمساواة والإخاء» وقيام الجمهورية، في عام 1789م، فقد كانت الجزائر العربية دولة ذات سيادة بمعنى الكلمة، ترتبط بعقود ومعاهدات مع دول أخرى شرقاً وغرباً. وكان لها اتصالات بالدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر كاتصال سائر الأقطار العربية الإسلامية بها ـ اتصالاً روحياً أكثر من أي شيء آخر. وكان أن عقدت الجزائر معاهدات مع انكلترا وهولندا والدانمرك ومملكة البندقية. كما كانت الجزائر في مقدمة الدول التي اعترفت بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1776م، عندما تخلصت من براثن الاستعمار البريطاني. إذن كانت لها دعامات أساسية معروفة.

ولذلك فإن الجزائر في مثل هذه العلاقات والارتباط التاريخي الذي كانت عليه في النطاق الدولي حينذاك، فإنه من العبث تصديق أكاذيب الاستعمار الفرنسي غير الأخلاقية ضدها.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فقد كانت الجزائر محتفظة بمثلها العليا وأمانيها الوطنية والقومية العربية الإسلامية، كما كانت من القوة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بحيث سعت دول أوروبية مختلفة للتقرب منها وفي المقدمة كانت فرنسا بالذات والتي كانت في ضائقة مالية واقتصادية فظيعين.

وفي هذا الصدد نقرأ ما كتبه البارون دي سان دينبز عن الجزائر فيقول: «... إن حق السيادة قد أفلت من يد سلاطين آل عثمان ليئول بجملته إلى أيدي الدايات. وهذه الثورة شبيهة بتلك التي تخلص بها الأمراء الألمان من ولاتهم وخضوعهم لسلطان أباطرة الدولة الجرمانية. ويضيف

الكاتب الفرنسي بقوله: إن الدايات الجزائريين كانوا يمارسون سلطانهم كسادة للجزائر، لا يقبلون أي ارتباط سياسي بين بلادهم والباب العالي، بل كانوا يعلنون الحرب ويعقدون الصلح دون الرجوع إلى القسطنطينية. فقد كانت «حقوق سيادة الباب العالي على الجزائر معدومة ولا وجود لها من الناحية العملية؛ لأن ذلك التاريخ ناتج عن قرار يقضي بأن يستمد الداي سلطته عن طريق انتخاب الجيش الجزائر له؛ أي: منذ مستهل القرن السابع عشر»[1].

ومن مظاهر سيادة الدولة الجزائرية واستقلالها وعلاقاتها الدبلوماسية وعقودها الاقتصادية بكثير من دول أوروبا وأمريكا كما أسلفنا الإشارة في ذلك الوقت، وقد وصلت أول بعثة دبلوماسية فرنسية إلى العاصمة الجزائرية خلال عام 1563م، وبمقتضى أول معاهدة عقدت بين البلدين استنجد فرنسوا الأول ملك فرنسا مرتين بالدولة الجزائرية خلال عامي 1536م و1543م، طالباً من الداي أن يعاونه الأسطول الجزائري على رد عدوان شرلكان الإسباني عن ساحل فرنسا الجنوبي.

وعملاً بتلك المعاهدة أيضاً طلب هنري الرابع ملك فرنسا النجدة من الدولة الجزائرية (عام 1594) لتعينه بقواتها البحرية على تحرير مدينة مرسيليا وشاطىء فرنسا الجنوبي من أيدي المهاجمين الإسبان. وبالإضافة إلى المعونات العسكرية ضد أعداء فرنسا، فقد كانت ديون فرنسا للخزانة الجزائرية متراكمة بأرقام خيالية في أواخر القرن الثامن عشر، حيث تجاوزت ما قيمته 24 مليون من الفرنكات الذهبية، ولعل من أسباب العدوان الفرنسي الآثم على الأراضي الجزائرية، من شأن أن تفلت من تلك الديون التي

---

(1) كتاب اخترنا لك: (شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل)، العدد (8) دار المعارف للنشر القاهرة.

كانت تثقل كاهل الخزانة الفرنسية وقتذاك[1].

وعلى الرغم من كل ما قدمته دولة الجزائر من مساعدات عسكرية ومالية لفرنسا نتيجة لحروبها ضد بريطانيا وألمانيا والتي جعلتها على حافة الانهيار العسكري والإفلاس المالي، ولم تجد إلّا الجزائر للتفريج عنها، فإن ملوك فرنسا، قد حاولوا غزو الجزائر لاستعمارها واستغلال خيراتها على حساب تعاسة الشعب الجزائري، في سنوات 1682 ـ و1688 وفي 1824م هاجم الأسطول الإنكليزي الساحل الجزائري، واستمرت الحرب سبعة عشر يوماً انسحب بعدها المعتدون دون أن ينالوا من حصون الجزائر أو يلحقوا أضراراً بأسطولها[2].

ولقد كانت الجزائر مطمع عدة دول أوروبية منذ فجر القرن السادس عشر للقضاء على قوتها العسكرية المتمثلة في أسطولها البحري وثم على اقتصادياتها المزدهرة التي كانت بمثابة باعث قوي للعدوان الإسباني الحاقد على العرب المسلمين في الجزائر وغيرها من الأقطار العربية كتونس وليبيا والمغرب.

فبعد تفكك إسبانيا الإسلامية داخلياً بسبب تناحر ملوك الطوائف فيما بينهم نتيجة لحب السلطة والأطماع الخاصة، حتى تمكن إسبان الشمال المسيحيون أن يتغلبوا عليهم الواحد بعد الآخر بحيث زال سلطان المسلمين نهائياً من إسبانيا بعد ثماني قرون وذلك عندما استسلم أبو عبد الله ملك[3]،

---

(1) نفس المصدر.

(2) نفس المصدر.

(3) عندما سقطت غرناطة، الحصن العربي الأخير في الأندلس، وفيما كان الملك أبو عبد الله يغادر العاصمة، التفت مناوهاً إليها، جرت عبراته، فما كان من أمه التي كانت مستشارته العسكرية إلّا أن قالت له: «يحق لك أن تبكي كالنساء ملكاً لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال»، (مثل ما ضاعت فلسطين).

غرناطة عام 1493م. رأت إسبانيا وهي ثملة بخمرة النصر على العرب المسلمين، أن تلاحقهم أينما يكونوا، لذلك جهزت قواتها وأساطيلها لغزو الجزائر، إلَّا أن حملاتها باءت بالإخفاق بفضل صمود الشعب الجزائري المناضل.

ولما غزا الإسبان عاصمة تونس، أسرعت الجزائر بقواتها لنصرة إخوانهم في الدين والقومية، فحررت العاصمة التونسية من الغزاة الإسبان بعد أن ألحقت بالأعداء خسائر فادحة. وسوَّل الطمع لأهل البرتغال والدانيمارك الاستيلاء على الجزائر، فتعثروا وارتدوا على أعقابهم خاسرين ولولا القوة لما ارتد هؤلاء الغزاة.

أحوال العرب المسلمين عام 1830م

لعل البعض يتساءلون كيف كان حال العرب المسلمين أثناء العدوان الفرنسي الغاشم على دولة الجزائر في عام 1830م؟

ويجب للرد على هذا السؤال أن نعود بذاكرتنا إلى ما قبل هذا التاريخ العدواني لكي نستطيع أن نلم بايجاز أحوال العرب المسلمين غرباً وشرقاً من الوطن العربي، مستعينين في ذلك بتاريخ العالم العربي وقتذاك.

وعلى ضوء ما سبق ذكره بشأن موقف الاستعمار الغربي من الجزائر فلا ننسى أن الاستعمار الإسباني وحلفائه الغزاة قد جاؤوا في عام 1510م للانتقام الحاقد وارتكاب الجرائم ضد الشعب الليبي دون رحمة ولا شفقة، وكذلك هاجم فرسان القديس يوحنا مدينة طرابلس وأقاموا فيها حوالي عشرين سنة، مع إمعانهم في القتل والتخريب والدمار لأجل بسط نفوذهم على البلاد أرضاً وشعباً بدون وجه الحق، اللهم غريزة العدوان والهيمنة على الآخرين!

ولقد بذل الشعب العربي الليبي أقصى ما لديه من إيمان وقوة وإصرار وعزم من خلال استمرارية كفاحه المسلح حيث توافرت فيه إرادة القتال ضد الهمج منذ الفتح الإسلامي. إن هذا النهج الثوري التحرري الوطني هو الذي أكد للغزاة من غير جدال أن وجودهم في طرابلس الغرب بين أصحابها الشرعيين، يُعدُّ عديم الجدوى لأنهم فشلوا فشلاً ذريعاً في أصل استعمار الشعب الليبي.

أولاً: فشل الغزاة الفرنج فيما كلفوا به من قبل رأس الاستعمار والفتنة، الإمبراطور الفرنسي، شارلمان الحاقد وذلك بملاحقة المسلمين الأحرار في عقر ديارهم، وإخضاعهم لحكمهم الاستبدادي.

وثانياً: الوقوف في وجه المقاومة الليبية التركية المدافعة عن مدينة طرابلس ونواحيها مهما كانت الظروف والمشاكل الداخلية التي كانت تعاني منها البلاد. وقد خلفت عصابات فرسان القديس يوحنا المجرمة ذكريات قذرة، مملوءة بالمآسي والغدر والأعمال اللاإنسانية المتنافية لأبسط مبادىء وأواصر الدين المسيحي الحقيقية، وهو الدين الذي يدعو إلى المحبة والسلام أصلاً. كما اتخذ الاستعمار الصليب والمدنية ستاراً للعدوان على العرب!!

والأمر الذي لا شك فيه أن أسباب تجاهل الغزاة الفرنجة لما في حقيقة الشخصية العربية المسلمة من أصالة عربية ومثل عليا وطموحات وكره لأية هيمنة أجنبية مهما كان لون ردائها؛ وحب للحرية والنضال في سبيلها والدفاع عنها بالعنف الثوري، قد أدى إلى صراع دامٍ طويل منهك لهم للغاية مرضاة للصليب الذي اتخذ مأوى للقتل والتدمير والاستعمار الشنيع.

هذا وفيما بين فترتي الغزو الإسباني ـ الصقلي وفرسان القديس يوحنا ـ (1510 ـ 1530) ـ (1530 ـ 1548) ـ استطاع المناضلون العرب الليبيون

بفضل إرادتهم القتالية وبمساعدة العثمانيين الذين جاؤوا بسفنهم بقيادة مراد آغا لنجدتهم، أن يُقهروا هذه الطغمة الحاقدة على الإسلام وأتباعه، وأن يجبروهم على الاستسلام وترك البلاد دون رجعة لأهلها الشرعيين.

وما يعنينا في هذا المجال أن من أهم العوامل التي تكوّنت عبر حوالي قرنين من الزمن (1318 ـ 1510)، هي الانتكاسات الفظيعة التي جعلت هذه الفترة العصيبة محملة بمناخ قاس جداً، وحكام لم تتجسد فيهم روح المسؤولية تجاه الأخطار الخارجية، جاعلين أوصال الوطن محطمة ومستهدفة كلية لمخططات الاستعمار الأوروبي المسيحي. ورغم المحن القاسية والنزعات الإقليمية الخطيرة، ظلت طرابلس محتفظة بمركزها الهام بين المغرب والمشرق العربيين في علاقاتها التجارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية إلى حد ما سمحت به الظروف للواقع العربي الإسلامي في ذلك الوقت المحفوف بأخطار الغزو الأوروبي المسيحي لسرقة ثروات العرب!!

وأما بشأن برقة، فقد كانت تحت حكم مصر، أولاً من قبل الفاطميين، وبعد ذلك من قبل السلجوقيين الذين ورثوهم. أما فزان فكانت تعيش مع احتكار التجارة وتبادل البضائع فيما بينها وبين أفريقيا السوداء عبر الصحراء وشمال أفريقيا. ولا يغرب عن البال، هناك حقيقة مرة أخرى فيما يتعلق بأخطار الغزو الأوروبي المسيحي، قد تجعل من بحثنا هذا صلة وثيقة من حياة الأمة العربية الإسلامية بتجزئة البلاد العربية الإسلامية إجمالاً، وذلك عندما تسرب إليها بطريقة مباشرة وغير مباشرة سيطرة القوى الأجنبية غير العربية أصلاً، مما أثر في وحدة الإسلام بدءاً من القرن الثالث عشر للميلاد حتى ظهور العثمانيين الذين تصدوا لأعداء الإسلام بقوة. عملاً بالمبدأ القائل «ومن لا يذود عن حوضه يُهدم».

وماذا بعد قوة الأتراك والعرب في التاريخ المعاصر؟

فيما سبق ذكرنا أن نتيجة لقوة الأتراك بقيادة درغوت باشا ومساهمة «بربروسا» حيث وقفا بجانب إخوانهم العرب الليبيين قلباً وقالباً، تم بعون الله عز وجل طرد الأعداء الصليبيين ـ الإسبان والصقليين الإيطاليين وفرسان مالطا أو القديس يوحنا من طرابلس الغرب. وهو الانتصار المؤزر الذي استقبلته أوروبا المسيحية عامة وإيطاليا، مقر البابا، بأسف عميق. وهي متناسبة مع ما تقوله التوراة، وهو قول مأثور في هذا الكتاب: «إن من يغزو بالسيف يسقط بالسيف أيضاً». وهكذا كما تدين تدان. كانت أوروبا دائماً المدانة للعدوان. ومما لا شك فيه أن ظهور الأتراك كقوة ضاربة في العالم، بعد أن نكب المجتمع العربي الإسلامي بداء التجزئة والانفصال في أواخر الدولة العباسية، يُعد بالتأكيد إنتقال ميزان القوى إلى قوة إسلامية حيوية جديدة تناضل بقوة من أجل وقاية مكتسبات الإسلام. ولا ننسى أن هذا يتمشى والمبدأ القائل أن المسلم أخ المسلم في السراء والضراء، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. والله عز وجل يقول وهو خير القائلين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

وفي هذا الإطار المؤلم لا بد أن نشير قبل كل شيء إلى قيام الدولة العثمانية وانتشارها في قارات ثلاثة من عام 1350 إلى عام 1828م. ولعل هذا مما قوى شراهة أوروبا بالعالم العربي!!

ويُنسب هؤلاء العثمانيون إلى عثمان بن أرطغول مؤسس الإمارة العثمانية في آسيا الصغرى والمتوفى عام 1326م. وهم مجموعة قبلية تركية قد استقرت بآسيا منذ عام 1200م. ومن هذه البقعة بدأ العثمانيون تدريجياً يمدون أراضيهم عن طريق الغزو والحروب تارة وللفتوحات تارة أخرى

وذلك على حساب جيرانهم السلجوقيين والبيزنطيين. وقد كان النصر حليفهم دائماً في مغامراتهم العسكرية وذلك بفضل حنكة قادتهم في القيادة حتى أصبح لهم إمبراطورية عظمى، مرهوبة الجانب حتى وقعت الحرب بينها وبين الإمبراطورية الروسية القيصرية عام 1828م. وقد قام السلاطين العثمانيون بالعمل الجدي على إتساع رقعة الإمبراطورية الإسلامية بالقوة. فظهروا في سيبريا وبلغاريا ومقدونيا وفي نواح متعددة من العالم. في البلقان والشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا بعد حكم الاستعمار الإسباني والبرتغالي المسيحيين الحاقدين على المسلمين جميعاً.

ولكن بعد ما يقارب من خمسمائة سنة من المعارك الطاحنة ضد الفرنجة، والحروب والفتوحات والاستيلاء والحكم، عجز العثمانيون عن بسط هيمنتهم المستمرة على ممتلكاتهم الشاسعة في كل مكان من وجودهم. فقد كانت ممتلكاتهم هذه تضم شعوباً وأراضي وقبائل من مختلف الأجناس والأديان والمذاهب والعبادات واللغات واللهجات والعادات المتباينة والأطماع والأهواء والآراء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية والثقافية. ولا سيما بعد أن شهدت أوروبا الشرقية والغربية مضافاً إليهما بريطانيا وأمريكا في أوائل القرن الثامن عشر للميلاد، مختلف الأحداث السياسية والمعتقدات الرئيسية المتعلقة بحقوق الإنسان، وقيام الثورات بين الفكر اليميني واليساري الناتج عن تأثير الثورة الفرنسية مباشرة منذ عام 1789م.

(نابليون بونابرت يغزو مصر العربية)

وعلى ذكر هذه الثورة التي كانت، للأسف الشديد، محل تمجيد وتقدير من لدن كُتّاب العرب غرباً وشرقاً دون التعمق في جوهرها العدواني ضد الآخرين. وبحكم سيرتها نجدها في حقيقة الأمر قد جردت نفسها في رأى من أي رداء إنساني خاصة بعد عدوانها الغادر بقيادة نابليون بونابرت ضد مصر العربية المسلمة في عام 1798م. وهو طامع لبناء إمبراطوريته بدءاً من مصر!!.

وهنا نمر ببعض نقاط هامة من الاستعمار الفرنسي، فما أن هزم نابليون الحلف الأوروبي وانتزع شمال إيطاليا ودانت له بلجيكا وأخضع النمسا وأذل البندقية، وجعل لفرنسا الكلمة العليا في أنحاء القارة الأوروبية، حتى صار يتطلع بعد ذلك إلى الشرق العربي للإستيلاء على مصر العربية أولاً ليجعل منها ولاية فرنسية! ولقد غاب عن بال نابليون والذين استأجروه لهذه المهمة القذرة، اليهود الصهاينة، أن مصر العربية المسلمة قد صدت قبله غزاة لا تنقصهم شراهة ولا جراءة، حاولوا اغتصابها على مر العصور. روما، والأغريق والصليبيون وغيرهم من حثالات التاريخ... ثم سرعان ما كانوا يرتدون عنها منكسين الرؤوس مطاطئين الهامات..

وهكذا أراد نابليون من مصر أن تكون ولاية فرنسية كما أراد حكام فرنسا من بعده أن يجعلوا من الجزائر ولاية فرنسية!! وقام من فوره جيَّش الجيوش وأخذت بوارجه الثلاثمائة بأحمالها من الجند والعتاد، تغادر ثغور فرنسا وتنساب في البحر كالأفعوان. وما أهل اليوم الأول من شهر يوليو

1798م حتى كانت قوات الغزو تطل بأنيابها على الإسكندرية، وما وافى المساء حتى بدأت الجنود تنزل إلى البر يختلط بعضهم ببعض تغمرهم فرحة الاستيلاء على كنوز الشرق وأهله!! وكأنهم ذئاب أرادوا القتل والسلب والنهب بحد السيف. هذا والغريب في الأمر أن الأوروبيين لم يكفوا عن إتهام العرب بأنهم كانوا قراصنة!! والواقع أنهم يلصقون ما بهم بالآخرين.

وقد أظهر الشعب المصري روحاً وطنية عالية كانت تعوزها القيادة الصالحة والعتاد الحديث، ولم يقصروا عن المشاركة في الدفاع عن أراضيهم وإنما المقصر هم هؤلاء المماليك وعملائهم الذين تركوا وسائل القوة التي أنشأها أسلافهم العظام، أمثال بيبرس وقلاوون وقابتباي تتداعى حجراً وراء حجر! وظلوا السنين الطوال يتصارعون في سبيل السلطان ولا هم لهم سوى فرض الضرائب الباهظة على التجار والأهالي وابتزاز أموالهما بالباطل دون إدراك المخاطر!!

وخيّل لنابليون أن الشعب رضي واستكان وأنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من تأسيس امبراطوريته التي يحلم بها ولكن سرعان ما خاب ظنه لأن جنوده يلاقون مقاومة عنيفة من الشعب الشجعان الذين فضلوا الموت عن الاستسلام.

ونستخلص مما عرضناه بإيجاز شديد في شأن الوجه الآخر لحقيقة ثورة فرنسا، أن نابليون بونابرت الحالم بالامبراطورية في الشرق العربي والذي لم يطول مكوثه في مصر المناضلة إلّا قرابة عامين، قد أُجبر على الرحيل عنها إلى فرنسا بتاريخ (1801م)، بعد أن سحق من قبل الجيش البريطاني في موقعة أبي قير البحرية(*) وكان رحيله لأجل مواجهة الفتن التي

(*) موقعة أبي قير كانت في 1 ـ 8 ـ 1798م.

اندلعت في فرنسا، وليعمل على استرداد ما فقدته فرنسا من أملاك لها في ألمانيا وإيطاليا على يد عدوتها انكلترا[1].

والذي نخرج به من هذه المناقشة هو أنه من الخطأ حسن الظن بنوايا الأعداء. وقال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ. . .﴾ [البقرة: 120] إلى آخر الآية. وبناء عليه قبل أن نعود إلى موضوع «الأتراك والعرب في التاريخ» مرة ثانية، لا بد لي أن أنقل هنا خلاصة ما كتبه الأستاذ فهمي الشناوي[2] حول وعد حاكم فرنسا، نابليون بونابرت الذي أعطاه لليهود قبل حملته الغادرة على مصر. فقد أعطى هذا عميل اليهود وعداً بأرض ليست له ولا لفرنسي. وقد نسي العرب هذا الوعد ويتكلمون عن وعد بلفور المشؤوم في عام 1917. إذن كان نابليون بونابرت أول من أعطى وعداً بوطن قومي لليهود في فلسطين في عام 1799م بعد أن عقد اجتماعاً سرياً(!!) مع بعض الشخصيات اليهودية الفرنسية في فرنسا من أجل تمويل الحملة ضد مصر!!

ومما هو جدير بالذكر بهذه المناسبة أن اليهود في إسبانيا قد قدموا الأموال اللازمة لملك وملكة إسبانيا (1492م) وذلك لتصرف على حملة كريستوف كولومبو الإيطالي المغامر كي يكتشف الأرض الجديدة (أمريكا)، على أن يكون مع الحملة أحد اليهود ليطأ هو الأول الأرض المكتشفة!! هذا لغرض في نفس يعقوب!! وقد كان ذلك أثناء سقوط غرناطة.

وهكذا وجد اليهود من يخدمهم من مغامراتهم الدنيئة، قديماً وحديثاً. وسنجد أنفسنا مرغمين على القول، بأنه إذا أمعنا النظر في تاريخ الإسلام، ولا سيما بعد الفتنة الكبرى، فسوف نلم بكل أنواع المآسي والاستبداد والدمار والقتل والخيانات والاغتيالات والدم الذي أريق على مر القرون بين المذاهب المختلفة، أيام الأمويين والعباسيين والفاطميين وغيرهم، حتى أن

بعض الحكام العرب المسلمين لم يجدوا أية غضاضة في أن يستعينوا على خصومهم من العرب المسلمين بأعداء الإسلام من الصليبيين في سبيل تحقيق أطماعهم وأطماع أتباعهم الخاصة. هذا الصراع المذهبي الداخلي الدامي، مهد بدون أدنى شك، دخول الصليبيين والاستعمار الأوروبي في صميم شؤون الأمة الإسلامية والعربية معاً، وذلك لأجل تمزيقها إرباً إرباً وتدجينها كما هو واقع في يومنا هذا!! وليس هناك أي مبرر لإنكار هذه الحقائق. كما لا نريد في نفس الوقت أن تضللنا المظاهر السطحية للواقع الدفين الذي يجب ألّا يقف أمام تيار الوحدة العربية الكبرى في الوقت الذي تسعى أوروبا بكاملها إلى الوحدة في عام 2000 ف.

ويقول الأستاذ السيد فهمي الشناوي في مقاله القيم سالف الذكر عن المغامر نابليون الكورسيكي الأصل الذي أعطى وعده عام 1799 أثناء حصاره لمدينة عكا. لقد حاصر عكا شهرين كاملين وفشل في فتحها. وكان هذا أول فشل يُصيب نابليون. فشل في عكا قبل أن يفشل في ووترلو حيث هُزم نابليون عام 1815م هزيمة حاسمة. وصدم نابليون وتقلصت أحلامه وبدأ مرحلة السقوط وكأنما أصابته لعنة وعده لليهود... وسرعان ما هرب متسللاً من مصر ـ رقبة العالم ـ وبعد شهور اغتيل خليفته كليبر[1]، وبعد شهور أخرى تزوج خليفته، جاك منو، مصرية من رشيد وأعلن إسلامه. ومن المفيد إدراج نص الوعد كاملاً.

---

(1) قام المجاهد سليمان الحلبي بن محمد باغتيال كليبر، سفاح مصر في يونيو 1800م، في حديقة القيادة. وبعد أن عثر على سليمان وتم استجوابه قال: «لم أقدم على قتله إلّا لأن الطاغية قتل الألوف من أبناء عروبتي واستباح أموالهم ونساءهم وهدم مساجد يُذكر فيها اسم الله. وإذن فلا بد أن يلاقي المصير نفسه أو أشد هولاً منه. فالسن بالسن والعين بالعين والقصاص حياة». وحكم على الفتى الحلبي بالموت وأحرقت يمينه وعلى الخازوق أعدموه، إطفاء لما أصاب الغزاة من غل قاتل.

كان نابليون بونابرت قد جاء غازياً إلى مصر ليقهرها، فقهرته، وقهرت رجله الثاني ثم رجله الثالث أيضاً. وعلى أية حال فقد أراد نابليون قبل أن يصدر وعده لليهود أن حروبه تكون من أموالهم على أن يقتسم الطرفان المغانم، للأول السلطة والمجد وللثاني العائد المادي ونشأة إسرائيل!! (صفقة القراصنة واللصوص!!!).

علاقات اليهود بنابليون
(ونص الوعد النابليوني لليهود)

نص الوعد النابليوني المشؤوم في عام 1799م، قال: «إن العناية الإلٰهية(!) أرسلتني إلى هنا على رأس جيشي هذا وقد جعلت هذه العناية الإلٰهية(!) نشر العدل وتحقيقه مطلبي، وتكلفت بظفري المستمر وجعلت من القدس مقري العام. وبعد قليل سوف تجعل مقري في دمشق وسوف أكون جار لبلد داود!!! (ولكن الله العلي القدير خيّب أمله كلية).

يا ورثة فلسطين الشرعيين(!!!):

إن الأمة العظيمة التي تنجب الرجال تناديكم الآن لا للعمل على إعادة احتلال وطنكم فحسب، ولا لاسترجاع ما فقد منكم!، بل لأجل ضمان مؤازرة هذه الأمة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم ولكي تصبحوا أسياد بلادكم الحقيقيين!!!

انهضوا وبرهنوا على أن القوة الساحقة التي كانت لأولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئاً، ولم تثبط همة أبناء الأبطال أجدادكم. أجدادكم الذين كانت محالفتهم تشرف أسبرطه وروما. هذا ولا شك أن الوعود الظالمة كانت ولا تزال دلائل الهزائم والنكبات ومخيبة الآمال وبددت أوهام العديد من الامبراطوريات الأوروبية التي كانت حتى بعد الحرب العالمية الثانية تعتقد جازماً بأنها أي الامبراطورية شيء لا غنى عنه، بل أنها المعيار

الوحيد للعظمة. هكذا كانت بريطانيا قبل فرنسا التي فقدت امبراطوريتها بوسائل عنيفة، حصلت فيها غالبية مستعمراتها السابقة على استقلالها بعد أن أوقعت الهزيمة بالدولة المسيطرة. لقد ظلت فرنسا حتى 1958 متمسكة بذلك الوهم الامبراطوري الباطل.

ذلك كان النص الحرفي لوعد نابليون بونابرت مقابل أن تُمول اليهودية العالمية حملته العدوانية الظالمة ضد مصر!! وقد أعلن نابليون هذا وهو ما زال على سطح البحر متوجهاً إلى مصر، أن مجيء جيوشه هو من أجل قطع الطريق البريطاني إلى الهند. كما ادعى أنه جاء لتخليص العرب من «ظلم» المماليك والترك! ولكن في الحقيقة أن نابليون كان يحمل معه نصيحة كان أن تقدم بها «باراراس»، عضو حكومة الدركتوار ـ حكومة الإدارة ـ لأجل استعمار الشرق، وخلق وطن لليهود في فلسطين يكون ركيزة لفرنسا داخل هذا الوطن!! وهكذا فعلت بريطانيا.

ولا شك أن المال اليهودي قد استهوى فرنسا لمشاريعها الاستعمارية وذلك بناء على توجيهات «توماس كوربت» اليهودي الإيرلندي القائل لحكومة الإدارة الفرنسية: «إن اليهود سوف يكونون لكم عنصراً استعمارياً ثابت الأركان يحل في آسيا محل الامبراطورية الآخذة الآن في الانحلال (يقصد الخلافة العثمانية) ـ امبراطورية العثمانيين». وسوف يقدم لكم هذا العنصر اليهودي أهم الضمانات لبث الفوضى وهدم الدين واشعال الأزمات وسوف يلين هذا العنصر التركي الصلد والمتعصب نتيجة الاحتكاك والاختلاط باليهود القادمين من مختلف بلدان العالم حاملين مختلف النظريات والنفقات!! وقد صنعت اليهودية العالمية ما يُعرف بطائفة الدونما في تركيا.

بل إن أطماع اليهودية العالمية تتضح أكثر وبلفظ صريح وقاطع أن اليهودية العالمية كانت تطمع في وراثة الامبراطورية العثمانية بكل أملاكها.

وقد أثبتت مسيرة اليهودية العالمية بعد ذلك وأكدت هذه الأطماع الواضحة، بل إن الفترة المعاصرة التي نعيشها الآن قد شهدت صراع اليهودية العالمية في طرد فرنسا وانكلترا من نفس أملاك الدولة العثمانية، ونشر هيمنة إسرائيلية مكانها!! (نتج هذا بسبب التجزئة العربية!!).

وفي ضوء هذه الحقائق المؤلمة لا نجد أي اختلاف في سلوك بعض من الكتاب والمؤرخين العرب الذين كانوا يمجدون حملة نابليون باعتبارها بدء النهضة في مصر.. وتصرفات بعض الكُتّاب والصحفيين العرب الذين زعموا أن أمريكا تملك جميع أوراق حل قضايا العالم العربي بعد أن حلت محل بريطانيا وفرنسا في الشرق العربي!! والحقيقة التي لا مراء فيها هي أن الموقفين صارا محض هرطقة. فهل عجز هؤلاء عن فهم التفرقة بين الخير والشر!! وقد تأكد ذلك أن أهداف أعداء الإسلام واحدة: وهنا يثبت القول بأن التاريخ يُعيد نفسه!!

أولاً: كما يقول الأستاذ الشناوي في مقاله المذكور سلفاً: أن نابليون عندما زعم أنه جاء إلى مصر ليحرر العرب من ظلم الترك ثم لم يلبث غير شهور قبل أن يذهب إلى عكا ويعلن قيام الوطن اليهودي.. وأن نابليون هذا بهذا الخطو الثابت قد تكرر بعد ذلك تماماً عندما قاد لورنس الضابط البريطاني تحركه المخابرات البريطانية، ثورة عرب ضد ترك خلال الحرب العالمية الأولى، ثم ما لبث بعدها بشهور معدودة أن صدر وعد بلفور المشؤوم، ألم يكن نابليون عندما اتجه صوب اسطنبول يريد إسقاط الخلافة الإسلامية شبيهاً تماماً بعد ذلك باللورد اللنبي عندما دخل القدس وقال اليوم انتهت الحروب الصليبية؟ الخطوة الأولى ضرب العرب بالترك والخطوة الثانية وطن قومي لليهود والخطوة الثالثة هدم الخلافة!! كيف تكون حملة نابليون القصيرة منطلق الحضارة في مصر؟!

ثانياً: إن أمريكا بعد بريطانيا وفرنسا هي التي أطلقت العنان لقوى الشر والهدم والقتل المكبوتة عند اليهود كي تنفلت من قيودها وتعيث فساداً في فلسطين وتشرد أهله وتدمر الجولان ولبنان وفرضت على مصر الحياد باتفاقيات ظالمة، فقوضت بذلك ما بني بدم ودموع وعرق الرجال الأحرار على مر السنوات والعقود والأحقاب. وتطيح بالآمال والأهداف التي ضحى من أجلها الشعب العربي بالروح، وجاع وتعرى في سبيلهما دون تردد أو ملل أو كلل. فأية حضارة يتحدث عنها كُتّاب العرب؟!

إن هذا الذي فعله نابليون من استخدام المطبعة والعلماء فعله الانكليز في الحرب العالمية الأولى والثانية، وهتلر في حربه وغزوه لكل بقعة دخلها بجيوشه. وقبله الروس في غزوهم لأوروبا الشرقية. إن كل أجهزة المخابرات الحديثة تصطحب معها المعارف والمطبعة والعلماء وتستخدم الإذاعة والإشاعة وحرب الأعصاب، وتستخدم المخابرات الدولية أبرز الأمخاخ من علماء وأساتذة وكُتّاب ومؤرخين في داخل الدولة وخارجها ليكونوا رسل الخراب والدمار والدم.

فلماذا، يقول الأستاذ الشناوي، تعتبر مطبعة نابليون وعلماء نابليون من بناة الحضارة ولا تعتبر المخابرات البريطانية والنازية والأمريكية والإسرائيلية من بناة الحضارة. لماذا؟!!.

لقد حمل نابليون معه إلى مصر ـ المطبعة والعلماء ـ وحمل معه الخمارات وموائد القمار والآعيب الحواة وكان هو نفسه يلبس ملابس الشيوخ في الاحتفلات الدينية!! وحمل معه نساء كان بعضهن يلبسن ملابس الجنود ـ فهل كل هذا كان من عناصر «التنوير» التي يزعمها سادتنا المثقفون أنصار العامية وأعداء جمال الدين ونسوا بناة حضارة الغرب وهم العرب.

ويختم الأستاذ الشناوي مقاله بقوله: لقد استطاع مثقفو العرب من

الذين حدث لهم استهواء أو «تأورب» أن يخفوا عن قومهم العرب حقيقة نابليون الصهيونية والمناوئة للإسلام، وأن يجعلوه في مخيلتهم من رواد التنوير، وخانوا بذلك أمانة العلم وأمانة القيادة لهذه الأمة ولولاها لتأخر العالم الغربي قروناً عديدة.

---

(1) أحمد محمد عاشوراكس: (لمحات تاريخية عن النضال الليبي المسلح ضد غزوات الإسبان وفرسان مالطا وأمريكا والطليان)، طرابلس ـ المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ـ ص 53.

(2) عبد العزيز حافظ دنيا: (مواقف خالدة في دنيا العرب) مصر ـ الدار المصرية للنشر والطباعة ـ روض الفرج ـ ص، 33/ 36.

(3) السيد فهمي الشناوي: (وعد نابليون لليهود سبق وعد بلفور بـ 118 سنة). متى ينتبه المثقفون العرب إلى حقائق التاريخ؟! كتب المقال الدكتور الشناوي في مجلة الدوحة، العدد 116ـ لشهر أغسطس، عام 1985م ـ تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر، ص 34/ 37.

صورة نابليون،
مثله مثل زعماء الغرب المخدوعين!



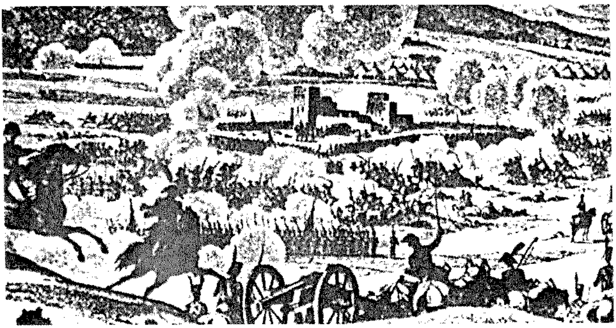
نابليون: السيطرة على الشمس

هذا هو نابليون الذي جاء لتنوير الشرق العربي: نابليون الذي استكبر أن يتوجه إلى البابا لم يستكبر أن يسير في ركب اليهودية العالمية. وكان جزاؤه هو جزاء أمثاله - فيما بعد - فما أن أصدر هذا التصريح حتى هزم - لأول مرة - أمام عكا، ثم ضربه الطاعون. ثم هرب ليلاً عبر البحر في زي امرأة، ثم تدهور وانتهى ولم يذكره اليهود!!.

صور لمعارك نابليون يغزو مصر ـ 1798م.



هنا جيش نابليون يفاجىء المماليك قرب القاهرة ـ 1798م.



هذا حصار عكا لو ربحه نابليون لكان غيّر وجه التاريخ 1798م.

(1) (مجلة المستقبل السنة 8 العدد 379 ـ 26 ـ 5 ـ 1984م).

العلاقات بين العرب والأتراك

بادىء ذي بدء فإن المطلع على تاريخ العلاقات بين العرب والأتراك في فترات متعاقبة من تاريخ الحكم المباشر وغير المباشر شرقاً وغرباً من الوطن العربي من عام 1551م إلى نشوب الحرب العالمية الأولى عام 1914م، سوف يلاحظ، بدون أدنى شك، أنه كانت هناك أمور حساسة جداً، قد خلقت مع مرور الوقت، أوضاعاً مستعصية وعميقة الجذور، أدت بتطورها إلى الضغينة والكراهية والنفور والتحيز والتعصب الأعمى والاقتتال المرير بين الطرفين، مما ترك ثغرات كثيرة بين صفوفهما، استطاع الاستعمار العالمي المستغل، المتمثل في بريطانيا وفرنسا وأمريكا في العصر الحديث وإيطاليا باعتبارها تقاسمت أطماعهما مع فرنسا التي اختارت تونس وإيطاليا ليبيا في عام 1911م؛ استطاع هذا الاستعمار أن يزيد النار اشتعالاً بين العرب والأتراك وصولاً إلى غاياتهم الخبيثة في تجزئة العرب عموماً بحيث يعيشون في كيانات ضعيفة ومتناثرة وفي حدود مُلفقة كما هي الآن!!

هكذا نرى كيف وصلت إليه العلاقات بين الشعبين العربي والتركي، وهي العلاقات التي وصفت بالمدمرة التي لفق سمومها الفتاكة ونسج خيوطها السميكة والمفعمة بالكراهية والحسد والتعصب الأعمى بين المتخاصمين ولعدة قرون، عملاء وجواسيس ووكلاء الاستعمار الغربي البربري من عرب وأتراك ويهود ومن كل الجنسيات، وذلك تمهيداً ليقع العالم العربي فريسة سهلة لأطماع الاستعمار الغربي الذي كان يسير وفق العبارة الشهيرة التي تفوه بها الشاعر الألماني غوته (جيته) 1749ـ 1832م،

حيث قال: «يجب أن تنهضوا (والكلام موجه إلى من يريد أن يبني مجده القومي) وإلّا كان نصيبكم الانهيار، وأن تحكموا تنتصروا وإلّا كنتم عبيداً مسخرين، وأن تختاروا بين النصر والظفر أو الهزيمة والعذاب ـ يجب أن تكونوا مطرقة وإلّا أصبحتم سنداناً، ولقد سيطرت هذه الفكرة على الدول الاستعمارية التي كانت تسعى إلى بناء امبراطورياتها على حساب الآخرين الضعاف لاستعبادها واستغلالها!! والتغلب على الإمبراطوريات المتخلفة الراكدة كالامبراطورية العثمانية التي ما انفكت الدول الاستعمارية الغربية الانتهازية تعمل جاهدة على خلق الفتن والأزمات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، الواحدة تلو الأخرى للامبراطورية العثمانية داخلياً وخارجياً مستعينة بمختلف الجاليات وفي مقدمتها الجالية اليهودية الناكرة لجميل الدول الإسلامية، في بث سمومها البغيضة وصولاً لتحقيق أغراضها الاستعمارية في جميع ممتلكات الامبراطورية العثمانية وخاصة في الغرب والشرق العربيين.

وعموماً وكنتيجة حتمية لما تقدم، فقد ظل العرب أو بالأحرى واقع العرب هامشياً على الدوام، بالرغم من وقوفهم الإيجابي بجانب الأتراك ضد أعداء الإسلام والعروبة، متنبهين أيضاً للخطر الكامن في المدى الذي وصل إليه نفوذ الإمبريالية الغربية ونفوذ اليهود المستغل لدى الباب العالي؛ خاصة فيما يتعلق بالوطن العربي برمته والذي صار ميداناً لمناورات الحرب الساخنة أحياناً والباردة أحياناً أخرى بسبب خيراته ومواقعه الاستراتيجية التي يحاول الاستعمار الغربي الحصول عليها لإثراء نفسه كعامل أساسي لرفع مستوى معيشة شعبه على حساب فقر الشعوب المغلوبة على أمرها!!

ففي وسط الصفقات السياسية المريبة المكثفة والمضاربات في الأقاليم والشعوب، والتي لعبت كل من بريطانيا وفرنسا دور البطولة فيها، فقد كان

الشعب العربي في الاقتصاد التركي بمثابة «الموجودات» فقط؛ أي: بمعنى الثروة ـ وعندها كانت الإمبراطورية العثمانية في قمة انتصاراتها الجبارة، لم تساعد الشعب العربي على أية نهضة قد ترفع من طاقاته ومقوماته المادية والمعنوية. فلم يضيف الأتراك أي شيء ذا أهمية كبرى إلى الأملاك المترامية في الوطن العربي عدا بعض المباني والطرقات الخاصة والمستشفيات وعدداً من المدارس الأولية والمساجد ودواوين الحكومة المركزية في الأقطار العربية، مقابل ذلك فرضت الضرائب الباهظة بالقوة وبالحملات العسكرية التأديبية التي كانت دون جدوى إطلاقاً، فكان ذلك التحدي هلاكاً لها.

هذا الموقف اللامبالي مبال المتخاذل كان سبباً في تأخر العرب المسلمين في جميع مرافق الحياة قديماً وحديثاً نتيجة أولاً لقصور الإمبراطورية العثمانية التي لم تقم وزناً للعرب وثانياً لضعف إيمان الحكام الأتراك بمبادىء الإسلام القائمة على تقوية أواصر المحبة والأخوة الصادقة بين جميع المسلمين كما جاء في الحديثين الشريفين «**إنما المؤمنون إخوة**» و«**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**».

وفي الواقع أن ما دعانا إلى هذه الإشارة هو أن تاريخ العرب غرباً وشرقاً مليء بالأحداث وبالتضحيات الدامية منذ أن تركوا أمورهم يتحكم فيها الأتراك الذين ارتبط معهم العرب بأوثق الروابط لا غنى عنها إلا وهو «الإسلام» لقرون عديدة لأن كل شيء إنما كان يحدد على ضوء هذا الارتباط المتين.

ولكن بالرغم من هذه الصلة، فقد تخلف الأتراك عن نجدة العرب في صراعهم ضد الحملة الصليبية التي تولاها فرديناند الخامس، ملك أراغون

وإيزابيل ملكة قشتالة لأجل القضاء على العرب المسلمين قضاءً مبرماً!! في إسبانيا المسلمة(*).

وفيما يلي قصة مسلمي إسبانيا في نكبتهم الكبرى كما جاءت في كتاب «العرب والترك»[1] بقلم الأستاذ محمد جميل بيهمُ، يقول: «هذه القصة عاصرت آل عثمان فابتدأ الفصل الأول منها أثناء قيام سلطنتهم في أناضول، وانتهى بزوال دولة غرناطة بعد تسع وثلاثين سنة على دخول قسطنطينية في حوزة السلطنة، وأما الفصول التالية التي تستعرض العذاب الذي كان المتخلفون في إسبانيا عرضة له، والتي تسير إلى حملهم المسلمين على أن يختاروا بين التنصر أم الجلاء، فقد وقعت خلال حكم السلاطين بايزيد الثاني وياوز سليم وسليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث ومحمد الثالث وذلك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر إبان ما كان العثمانيون في أول وآخر هذين القرنين من أسياد العالم، وكان في وسطهما أسياد العالم الوحيدين. وهم ما كان بوسعهم حينئذ أن يدفعوا الغائلة عن المسلمين فحسب، بل كان بوسعهم أن يحتفظوا بإسبانيا للمسلمين، فضلاً عن استطاعتهم إنقاذهم من ذلك الاضطهاد الظالم إلَّا إنساني!!».

إن هذه القصة المؤلمة وما خلفها من عواقب كثيراً ما تبعث على التساؤل: «لماذا تخلى آل عثمان، إبان قوتهم، عن أبناء دينهم في الغرب على حين أنهم ظهروا، في اللحظة الأولى من قيام دولتهم، بمظهر المتعصبين للإسلام المجاهدين في سبيله، وذلك في عصر جاء خلفاً للحملات الصليبية على الشرق، وعاصر الحملات الصليبية في الغرب، وكانت أجواؤه مليئة بالتعصب للدين عند المسلمين والمسيحيين على سواء»؟ فالأول يُدين بالموعظة الحسنة، بينما الثاني بالإكراه!!

---

(1) الأستاذ محمد جميل بَيْهم: (كتاب العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب)، المطبعة الوطنية ـ 1376هـ ـ 1957م، ص، 111 ـ 117.

والواقع إن لبني عثمان عذرهم قبل السلطان محمد الفاتح لما أصابهم من الأحداث الداخلية التي أفضت إلى انقراض سلطتهم بالغزوة التيمورلنكية، وحملتهم، من بعد، على لمّ شعثهم وإعادة دولتهم، هذا فضلاً عما خلف ذلك من انكسار عظيم أصابهم في حرب النمسا أيام مراد الثاني (1421 ـ 1451).

ولكن ما عذرهم بعد أن استتب لهم الأمر في عهد ابنه محمد الفاتح (1451 ـ 1481) هذا السلطان الذي ما أدرك أمنيته من القسطنطينية سنة 1453م حتى راح يسترسل في الفتوحات، فأخضع نهائياً مملكة الأفلاق والصرب والبوسنة والهرسك والألبان في أوروبا، كما استولى على سلطنة قرمان في الجانب الآسيوي بالأناضول، وذلك أثناء ما كانت دولة بني الأحمر بالأندلس تشرف على الاحتضار!!!.

وإذا انتحلنا لمحمد الفاتح عذراً ما، فما عذر ابنه بايزيد الثاني (1481 ـ 1512) الذي عاصر فرديناند المسمى بالكاثوليكي (1474 ـ 1516) وكانت تصل إليه أنباء مظالم مجلس التفتيش وسومه المسلمين سوء العذاب، فضلاً عن إجبارهم على التنصر، وحرق من يقوم منهم سراً بممارسة الشعائر الدينية!.

وما عذره وقد وصلت إليه الوفود من مسلمي الأندلس مستجيرة ولكنه بدلاً من انقاذ إخوانه المستجيرين به انصرف إلى محاربة مماليك مصر المسلمين، وإلى غزو قبرص والاستيلاء على سواحل المورة في اليونان!!.

أجل هذه غرناطة عاصمة بني الأحمر، التي كانت آخر ملجأ لمسلمي إسبانيا، أمست على شفا جرف هار، ولم يبق لها أمل إلّا بنجدة تأتيها من آل عثمان أولئك الذين أصبحوا بقوتهم المتفوقة سادة البر والبحر في ذلك العصر.

وهذا أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة يبعث سنة 892هـ ـ 1487م رسولاً إلى سلطان بايزيد الثاني يلتمس منه النجدة على فرديناند ولكن السلطان وضع أصابعه في أذنيه، ولم يستجيب لأي نداء، فقد ضاعت منه النخوة والمروءة!!.

ويقول الأستاذ محمد جميل بيهمُ في سياق حديثه عن العرب والترك: «وربما كان يعود هذا الأغضاء عن مسلمي الأندلس إلى الحرب التي نشبت وقتئذ بين السلطان بايزيد ومماليك مصر الشراكسة تلك الحرب التي استمرت عدة سنوات، وصرفت أيضاً ملك مصر عن الاستجابة للأندلسيين الذين استنجدوا به أيضاً. غير أن العذر هو أقبح من ذنب لأن كلاً من العثمانيين ومماليك مصر انصرفوا إلى التقاتل بدلاً من أن يجدوا في أنفسهم حافزاً لإنقاذ الأندلس من حملة فرديناند الصليبية. أو ربما كانت الثورات التي نشبت في المجر عقب وفاة مليكها مانياس كورفن في سنة (897 هـ ـ 1482م) هي التي شغلت السلطان عن إخوانه بالأندلس، إذ خيل له أن الفرصة سانحة للاستيلاء على بلغراد التي عجز عن فتحها سلفه تاركاً دولة بني الأحمر تقع فريسة بين أنياب الأعداء!!.

على أنّا إذا افترضنا وجود مبرر ما للسلطان بايزيد المشار إليه لإنصرافه عن نجدة غرناطة أثناء احتضارها، فماذا عسانا نجد من المعذرة لياوز سليم (1512 ـ 1520) الذي كان يسمع أنباء إجبار المسلمين على التنصير والتنكيل بهم وذلك بعد سقوط ملجئهم الأخير في تلك الديار التي ضاعت بالتناجر والخلافات والاطماع الخاصة التي كانت تحدث بين ملوك العرب المسلمين في عموم الأندلس». فما عذر السلطان لياوز سليم وقتئذ وهو الذي كان يرى الدنيا صغيرة لأن يحكمها أكثر من عاهل واحد!!.

إننا لا نجد له عذراً إذ تحول عن مسلمي الأندلس إلى حروب كان

يشنها على إخوانه المسلمين في فارس ومصر وبلاد الشام. وفوق ذلك فهو لم يتورع عن ختم أيامه بعقد معاهدة مع إسبانيا، ضارباً صفحاً عن كل ما ترتكب بالمسلمين من المنكرات. وكانت أولى المعاهدات التي عقدت بين السلطنة وإسبانيا!!.

ثم عاصر السلطان سليمان القانوني (1520 ـ 1566) فيليب الثاني بن شارلكان، وهو الذي سجلت أيامه أعظم مظالم ارتكبها مجلس التفتيش. وكان رعاياه المسلمون، خلال ذلك يتطلعون بفارغ الصبر إلى آل عثمان الذين جمعوا، في ذلك الحين بين السلطتين السياسية والروحية، كما جمعوا بين السيادتين البرية والبحرية.

هذا وكان من حقهم أن يتطلعوا إلى السلطان سليمان القانوني وهم يرونه قد استجاب في الأمس القريب إلى نداء فرنسوا الأول ملك فرنسا حينما وقع أسيراً في قبضة شارلكان، فأنقذه من الأسر، وحرر بلاده من امبراطور كاد يكون تاجه، تاج أوروبا قاطبة.

ولكن سليمان رغم انتصاره على شارلكان، الذي كانت إسبانيا جزءاً من البلاد الخاضعة له لم يحفل بمصير المسلمين هناك. وما نرى أسباباً لذلك التغاضي، يقول الأستاذ محمد جميل بيهُم: في نهاية هذا الموضوع الهام، إلَّا أن يكون قيام آل عثمان على أنقاض البيزنطيين قد انتزع من قلوبهم ما كان عند آبائهم من قبل من الحرب على الإسلام والمسلمين، خصوصاً بعد أن أصبحت أمهات وزوجات كثيرين منهم أوروبيات. وعلى هذا الافتراض تكون بيزنطة التي كان لتسرب المبادىء الإسلامية إلى أوساطها الدينية أثر كبير في خلافاتها الداخلية تلك الاختلافات التي قضت على امبراطوريتها، تكون قد ثأرت لنفسها إذا أضفت روحها على آل عثمان إلى حد أنها جعلتهم لا يبالون بإخوانهم مسلمي إسبانيا إبان نكبتهم

الكبرى[1]. مثل ما تركت ليبيا للاستعمار الإيطالي عام 1911.

ومما تجدر ملاحظته في هذا الشأن أن لكل من العرب والأتراك أيديولوجية متضاربة الواحدة مع الأخرى. يفتخر العرب المسلمون بتراثهم وعاداتهم ولغتهم العربية، وهي لغة القرآن المجيد. وقد أسلفنا الحديث عن أن العرب قد ارتقوا بتاريخهم المادي والروحي والمعنوي إلى ذروته بدءاً من القرن الثامن، من حيث امتداد سلطانهم ليضم كثيراً من الأراضي والشعوب من الأطراف العربية للهند والصين عبر بلاد الفرس والجزيرة العربية ومصر وشمال أفريقيا إلى المحيط الأطلسي. وعندما بلغت الثقافة العربية أوجها لم يحرموها على غيرهم. كما فعلت وتفعل أوروبا ولا سيما الولايات المتحدة الأمريكية التي تُحرم على العرب دراسة العلوم الحديثة ولكنها تُقدم بسخاء كل ما تحتاجه إسرائيل من آلات الدمار أرضاً وبحراً وجواً لتدجين العرب من الخليج إلى المحيط وفق الإلتزام الأمريكي المتحيز دوماً للكيان الإسرائيلي العدواني بدعمه وحمايته بعد حرب أكتوبر 1973م، وذلك لتقديم كافة الضمانات الأمريكية للعدو الإسرائيلي المغتصب لأرض فلسطين العربية.

وعلاوة على هذا الوضع غير المتكافيء بين العرب الذين يريدون تحرير فلسطين من مغتصبيها الصهاينة وبين الذين ساهموا ويساهمون بتقوية الصهاينة مادياً ومعنوياً لفرض الاستسلام على الشعب الفلسطيني المناضل وعلى الدول العربية، فإن هناك إتفاق غربي يُحرِّم على العرب إمتلاك أسلحة رادعة، بل جعل وضعهم في رعب ويأس عقب التجارب العسكرية التي تقوم بها إسرائيل في فلسطين المحتلة!! وآخر تجاربها الخطيرة إطلاق صاروخ

---

(1) نفس المصدر.

يبلغ مداه 1300 كلم، يمكنه حمل رؤوس نووية! والصاروخ الذي سقط على بعد 400 كلم شمال مدينة بنغازي في شهر أكتوبر 1989م. هذا وتدخل هذه التجارب العسكرية في إطار سياسة العدو الصهيوني والتي ترتكز على صنع أسلحة الدمار الشامل والصواريخ الحاملة لها. وذلك لإرهاب العرب جميعاً!!!.

هذا ولا جدال فإن الرد على العدوان الطامع المعتدي لا يكون بطبيعة الحال بالشكوى والشجب والتنديد الشديد الخاوي؛ لأن ذلك يغريه بالمزيد من الطمع والعدوان، كما حدث في العدوان الإسرائيلي على لبنان عام 1982م، وتدمير المفاعل النووي العراقي والذي دُبر تدميره عن عمد وسبق إصرار بالتعاون الوثيق مع الأقمار التجسسية الأمريكية في 7 ـ 6 ـ 1983م، كما قامت إسرائيل بشن غارة عدوانية يوم 1 ـ 10 ـ 1985م لأجل تدمير مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وهي في هذا العمل الإجرامي لم تقم أي وزن لسيادة الدولة التونسية. وقد أسفرت الغارة على قتل 150 فلسطينياً وتونسياً مع تدمير المقر كليّة!! وقامت أميركا نيابة عن العدو الإسرائيلي بالعدوان على ليبيا في صبيحة يوم الخامس عشر من إبريل 1986م، كما قامت إسرائيل بالتعاون مع أمريكا بعدوانها الثاني على سيادة تونس حيث اغتالت المجاهد الفلسطيني ـ الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية ـ الشهيد خليل الوزير يوم 18 ـ 4 ـ 1988م في بيته وأمام زوجته وأولاده الصغار.

هذا وما سبق سرده سوى أمثلة سريعة فقط. وفي كل الأحوال في عز الحملة الانتخابية في الكيان الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، كان ثمانون عالماً من الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى رأسهم الجنرال جيمس أبراهامس، مدير برنامج حرب الفضاء، يجتمعون في إسرائيل إلى عدد مواز

ويزيد، من العلماء الإسرائيليين في مجال الأبحاث والتقنية، وقام هذا الحشد الضخم من الخبراء بالسلاح الصاروخي بزيارات تفقدية لمصانع السلاح المتطور في إسرائيل، وخصوصاً لمشروع تطوير الصاروخ المضاد للصواريخ، والذي تموله الولايات المتحدة الأمريكية كجزء من برنامج حرب النجوم الذي يشكل درعاً مهماً لأمن الكيان الإسرائيلي لمواجهة أي صاروخ ينطلق من الدول العربية باتجاهها[1]!! ويا له من يوم عظيم إذا حدث هذا.

---

(1) المستقبل: (تاريخ وحدود ودماء) العدد (610) 29/ 10/ 1488م ص 19.

عود على بدء

وبالعودة إلى موضوع العرب والأتراك، نقول: إن الأتراك حاولوا من جهتهم إبان حكمهم، أن يمثلوا الطبقة الراقية والقوة السائدة في جميع ممتلكاتهم، ولا سيما في الأقاليم العربية الخاضعة مباشرة أو غير مباشرة لسلطتهم الإدارية والمالية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، مما دعا المسلمين والمسيحيين العرب أن يسخطوا في النهاية، وهذه هي الحقيقة المرة، (على قسوة سياسة الحكم التركي) فقد أضعف الصراع الداخلي، نتيجة لتعفن الجهاز الحكومي، بنيان الدولة بأكمله، حيث كانت سياسة الامبراطورية التركية قائمة على حكم الفرد على مر التاريخ حتى ظل أداة مسخرة في يد المستشارين الأجانب من الإفرنج واليهود وغيرهم من الذين يريدون بطرق غادرة تقويض أي برنامج إصلاحي في الأقاليم العربية على امتداد الوطن العربي المغلوب على أمره من جراء الخلافات فيه!!.

كما كان ممثلو الدولة التركية في جميع الأقاليم العربية، لا يعنيهم سوى فرض الضرائب الباهظة في المقام الأول، بغض النظر عن الظروف الحياتية الخانقة للشعب العربي عامة. فكان هم هؤلاء النفر العمل لأجل الحصول على أكبر قدر ممكن من الدخول مهما كلف ذلك الأمر الظالم والضار من تضحيات ودم بين السلطة الحاكمة وبين المحكومين لإرسالها إلى الباب العالي العاجز عن مواجهة تفكك الامبراطورية في ذلك الوقت!!.

ومشكلة أخرى وقعت فيها الدولة التركية، وهي الإهمال الذي كان شائعاً وملموساً في البلدان العربية إدارياً وسياسياً واقتصادياً وتعليمياً

وعمرانياً نظراً لميل السلطات إلى أشكال النشاطات العملية الضيقة مما ضعف، بالطبع، التكوين الاقتصادي للمجتمع العربي في دياره الملتهبة والغاضبة على وضعها المتردي والمشحون بالأخطار في حاضرها ومستقبلها. وخاصة من الذين يتربصون بالوطن العربي شراً، وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال. هذا وقد كان الحكم التركي في الأستانة غير كفء وضعيف. وقد وُصف بـ «الرجل المريض»، لم يستطع حماية وجوده ومصالحه في أي مكان من قوى البغي والعدوان التي تعمل ليلاً ونهاراً بالتعاون مع عملائها على استغلال تلك الظروف السيئة لتتسرب في جسد الدولة التركية للقضاء عليها نهائياً. فمنذ القرن السابع عشر تصدت لحكم الأتراك الكثير من الانتفاضات المحلية التي كانت تغذيها وتستنفرها بنجاح كبير الدول الأوروبية الاستعمارية الحاقدة على الإسلام وأتباعه. فقد قامت حركات سياسية في أنحاء كثيرة من ممتلكاتها، تطالب بالحرية والاستقلال، مؤكدة حقها الشرعي في حرية تقرير مصيرها، حيث إن الامبراطورية التركية كانت في واقع الأمر، في انهيار مستمر بسبب الانحلال الداخلي. وقد بدأت الإمبراطورية تتداعى فعلاً من البلقان إلى الصحراء الليبية حيث كان الهدوء الوحيد السائد آنذاك هو هدوء المقابر فقط!! فقد بلغت الحالة حداً بالغاً من الفساد السياسي والإهمال المتعمد المخرب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. فأصبحت الإمبراطورية بذلك مريضة ومفلسة وعقيمة فلا جدوى منها، ولا تملك القدرة على معالجة مشاكلها العديدة التي تعاني منها أجهزة الدولة وفي المقدمة عجزها المالي الذي أنهك أعصابها في الداخل والخارج. وقد كان أكثر الناس تحمساً لاستغلال هذه المساوىء ـ اليهود ـ الذين تمكنوا بطرقهم المعروفة من حشر أنوفهم في كافة أجهزة الدولة التركية للإطاحة بها عندما يحين الوقت وجاء الوقت الذي أدى إلى إفلاس تركيا.

وفي ضوء ما تقدم بشأن الأزمة المالية التي كانت تركيا تعاني منها بصورة خانقة جداً في عهد السلطان عبد الحميد الذي نعته اليهود بأقبح الأوصاف لأنه رفض أن يكون مطية لهم ولأغراضهم الدنيئة، أجد نفسي مدفوعاً إلى ذكر بعض الوقائع التاريخية ولو عابرة فيما يتعلق بهذا الخصوص عندما عجزت تركيا عن مضاعفة الإيرادات المالية.

هذا وفي الوقت الذي كان العرب تحت نفوذ الامبراطورية التركية، بغض النظر إذا كان ذلك الحكم مباشراً أو غير مباشر، بدءاً من عام 1510 حتى عام 1918م، تاركين لها أمورهم الدنيوية طواعيةً باعتبارها حامية لديار المسلمين غرباً وشرقاً.



المرحوم السلطان عبد الحميد في آخر أيام حكمه.

رغم كل المؤامرات والدسائس، للاستعمار الغربي واليهودية العالمية ورغم ما كانت دولته تعاني من الضائقة المالية بدرجة أن السلطات الحاكمة عجزت عن مضاعفة إيراداتها المالية مما أدى الأمر إلى الخضوع للنفوذ الاستعماري الغربي المستغل. ورغم كل ذلك لم يبيع السلطان عبد الحميد شبراً واحداً من أرض فلسطين العربية كما تباع اليوم علناً للاستعمار الغربي، الحديث

واليهودية العالمية لتكون خنجراً في ظهر الأمة العربية قاطبة! ولكن ستزول إسرائيل مثل الاستعمار الفرنسي من الجزائر والاستعمار الإيطالي من ليبيا.

وفي هذا المناخ المتلبد كانت اليهودية العالمية تحيك بذكاء المؤامرات والدسائس الشيطانية الواحدة تلو الأخرى بالتعاون مع قوى الغرب وذلك للإطاحة بالإمبراطورية العثمانية وصولاً إلى تحقيق أهدافها الكامنة وراء بناء الكيان اليهودي الصهيوني في فلسطين العربية، ومن ثم العمل على تدجين الأقطار العربية خدمة للإمبريالية الغربية الحديثة الطامعة في استغلال ثروات الوطن العربي من جهة وتسخير الشعب العربي من جهة ثانية بأجور رخيصة لتنمية الرأسمالية الغربية واليهودية وثيقة الارتباط ببعضهما منذ قرنين ويزيد!!.

ولقد أنهك العجز المالي والاقتصادي الدولة التركية بدرجة أنهما أديا إلى آثار جد خطيرة في عموم الامبراطورية.. يقول الأستاذ أنور زيا كارل «كان على تركيا في هذه الضائقة في عام 1839م أن توقع عدة اتفاقيات مالية وتجارية بينها وبين دول أوروبية، الأمر الذي نتج عنه فتح الأسواق الوطنية للبضائع الأجنبية بغزارة، ولم تملك الدولة التركية ما يقابلها من الصناعات الوطنية. هذا الإجراء غير المتكافىء أدى إلى فتح الدين العثماني من غير أن تستطيع تركيا موازنة ميزانياتها إلّا بالقروض والاستدانة لأجل تمويل مشاريع اقتصادية لعلاج الضائقة المالية الخطيرة. ولكن دون طائل، يقول الأستاذ أنور، فلجأ السلطان العثماني إلى رهن مواد الدولة، تلك المواد التي ظلت وهمية بفعل ركود اقتصادياتها وفساد موظفي الضرائب. ومع زوال آخر ضمان وحالة الامبراطورية غير المستقرة في ميدانيّ الاقتصاد والنقد، فقد وضع الدائنون الأجانب صيغة تعاون فيما بينهم وذلك بإنشاء هيئة وصاية للدين العام في اسطنبول. وبموجبها قام هؤلاء الأجانب بتسديد ديونهم من الضرائب المفروضة على الشعب المصاب بنفس الخانقة!! وقد

طبع الدائنون الطوابع لمصلحتهم الخاصة في سبيل الحصول على الأموال اللازمة لسد الديون!! وبهذه الطريقة تمكن الدائنون من السيطرة على نشاط الدولة العام مباشرة تاركين السلطان التركي يتمتع باستقلال اسمي في قصره فقط!! وهذا ناتج عن عدم تطبيق الآية: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38] بدلاً من حكم الفرد.

هذا وبينما كان السلطان التركي يواصل (مكابراً) حكمه للمجاز، كانت مراكز الجمارك في اسطنبول في يد الأوروبيين واليهود، فلم يتمكن من السيطرة عليها أبداً! فقد أصبح مرض الامبراطورية متأصلاً ومستعصياً، مما نال من كرامتها الدولية الأمر الذي دفع ببعض الضباط الأتراك أن يقوموا بالثورة للإطاحة بالرؤوس الحاكمة التي استسلمت للأجانب.

وعلى أي حال، فقد كانت الامبراطورية العثمانية، كالامبراطورية الصينية والهندية، نموذجاً تقليدياً جامداً واضحاً، لم تكن في آخر أيامها من القوة بحيث تستطيع مواجهة التحدي الضخم والتوسع الغربي الاستعماري!!.

الأتراك العثمانيون وفلسطين العربية

في عام 1908م، قامت الثورة بقيادة حزب الاتحاد والترقي الذي انتزع حكم الدولة العثمانية. وصار العرب، وهم يشكلون أكثرية السكان في الامبراطورية العثمانية يشعرون بوطأة العنصرية التركية التي أطلقها جماعة الاتحاد والترقي التي اتجهت إلى تسويد العنصر التركي والتهوين من شأن العرب دون النظر إلى الرابطة الإسلامية التي جمعت بين العنصرين في السراء والضراء طيلة القرون الماضية، ومن هنا برزت اتجاهات الاستقلال لدى العرب ضمن اجتهادات سياسية متفاوتة في الزمان والمكان. وبذلك أصيب العرب بالدوران، فلم يعرف لهم رأساً من قدم حتى جاء الغرب المخاتل في الحرب العالمية الأولى عام 1914.

وفي 29 أكتوبر 1914م دخلت تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا، وبدأ الحلفاء بعد ذلك ينالون منها من أركانها الأربعة. ففي أحد الأركان كان الروس يدقون القوقاز، في ركن آخر نزل الجنود البريطانيون عند رأس الخليج العربي لتأمين آبار النفط؛ وشرعوا في التقدم في اتجاه بغداد. وفي ركن ثالث تجمع الجنود البريطانيون عبر الحدود التركية في مصر؛ وادعوا في البداية كعادتهم أنهم يحمون قناة السويس؛ ولكنهم فيما بعد غزوا فلسطين بالغدر والخيانة من أجل تسليمها في النهاية لليهود الإسرائيليين كما هو معلوم لدى الجميع، وفي هذا العصر الذي لا يؤمن إلّا بالقوة. وألم يقل الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾ [الأنفال: 60] إلى آخر الآية الكريمة.

وجهان لعملة واحدة

بتاريخ 30/ 5/ 2005، ورد في جريدة الزمان التركية نشرته بالتلفزة الجزيرة: (إن الحكومة التركية قامت بقيود تدريس الدين الإسلامي في المدارس وكذلك في البيوت حيث العائلات ملتزمين إلّا يتعدو أجزاء من القرآن الكريم - وطبيعي أن هذا - يتمشى وإرادة الاتحاد الأوروبي الذي يفرض على تركيا قيودات للإنضمام إليه.

من يشتري
وعد بلفور؟!

مثلما يباع العرب اليوم في مزاد علني عالمي فإن شركة سوثيني المحدودة تنوي بيع المسودة الأولية لوعد بلفور 1917مسيحي في مزاد علني بمدينة نيويورك الشهر القادم.. مسودة بلفور كتبها وزير الخارجية البريطاني الأسبق آرثر بلفور بخط يده بتاريخ 17 ناصر 1917مسيحي وصدرت رسميا في الثاني من شهر الحرث من العام نفسه.

ورد هذا الخبر في صحيفة (...) بيوم 30/5/2005.

تدرج الفقرة الخاصة بتدريس الدين في تركيا

هذا ولما كانت الحكومة البريطانية آنذاك بقيادة رئيس وزرائها لُويد جورج ووزير خارجيتها آرثر جيمس بلفور، حريصة على ضمان مساعدة العرب لها ضد الدولة التركية في الحرب الدائرة، فقد وعدت شريف مكة، ببلاد العرب بتحقيق مطامح العرب الذين كانوا يناضلون منذ سنوات طويلة للحصول على نوع من الحكم الذاتي فقط بأراضيهم، إذا حارب العرب الأتراك!! وبناء على ذلك الوعد الوهمي الغادر[1]، ثار العرب بحسن نية ضد الحكم التركي، بقصد تحرير أنفسهم من القيود التركية التي أخرتهم قروناً إلى الوراء!! وفي الوقت نفسه وعدت بريطانيا سراً زعماء اليهود بأنها سوف تبذل قصارى جهدها لإنشاء «وطن يهودي قومي» في فلسطين، في أرض العرب، بل في قلب العالم العربي ليمنع توحيده، إذ أن تجزيئه يريح الاستعمار الغربي العالمي، ولا سيما بريطانيا وفرنسا مضافاً إليهما أمريكا باعتبارها تمثل الاستعمار الحديث!![2].

وفي نهاية الحرب، بدلاً من أن يحصل العرب على حريتهم حسب

(1) كانوا ولا يزالون حكام الغرب مع العدو اليهودي الصهيوني قلباً وقالباً، ويكون أكثر الحكام العرب مع الغرب.

(2) وكان خطأ كبيراً إذ أنه جلب للوطن والشعب المآسي والفقر والمرض والإذلال، منذ ذلك التاريخ المشؤوم.

الوعد الذي قطعته بريطانيا على نفسها، زادت أغلالهم حيث استبدلوا طواعية السيطرة التركية بالاستعمار البريطاني الخبيث، بل والفرنسي أيضاً!!

هذا وقد وقّت بريطانيا بوعدها لليهود وذلك بإصدار وعد بلفور المشؤوم، بإنشاء «وطن قومي» في فلسطين العربية.

وبقية القصة المأساوية معروفة منذ 2 نوفمبر 1917م إلى سنة 1947م وثم من سنة 1948م إلى يوم قيام الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة ضد الاستعمار الاستيطاني اليهودي الصهيوني. وهو الاستعمار الذي يصول ويجول والعرب يرحبون بما يفرضه عليهم بالقوة بالتعاون مع أمريكا.

والأمر الذي لا شك فيه هوَ أن الدول الغربية والشرقية دون استثناء وكذلك الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، جميعهم قد أخطأوا في إنشاء الكيان اليهودي الصهيوني في الشرق العربي، في وسط البلاد العربية، ليكون بمثابة «فأس» مسلط يخيف الأمة العربية من الخليج إلى المحيط على الدوام!! وقد تسبب هذا الخطأ الفاحش الظالم الكثير من الآلام والمآسي والكوارث والدمار والهزائم والضعف والخيانات؛ ولكن لا بد أن يأتي ذلك اليوم الذي يرفع فيه الوعي القومي الوطني ضد الخونة من العرب الذين أقدموا على بيع الوطن العربي للاستعمار العالمي والصهيونية العالمية!! ولسوف يرتد هذا الفأس ليهشم جميع رؤوس الخونة والكيان اليهودي الصهيوني. ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾.

والحقيقة التي لا مراء فيها وهي أن زوال هذا الكيان المصطنع آت وحتمي عاجلاً أم آجلاً، باعتباره جسماً ملوثاً وغريباً في وسط الأمة العربية، فزواله حتمي أكيد مثل زوال الاستعمار البريطاني والفرنسي والإسباني والإيطالي بفعل التيار الوطني الوحدوي الجارف ولا يضيع حق ورائه مطالب. الحق يثبت بالإصرار عليه وبالقوة.

هذا وفي تلك الظروف القلقة، مضت الحرب الكبرى من سنة (1914 إلى 1918)، تطحن البشر والعمران والمعدات القتالية. وتعرضت العاصمة التركية للخطر بفعل هجوم الحلفاء على مضيق الدردنيل الاستراتيجي الهام. وفي الوقت نفسه ساعد العرب في الشرق والذين استغفلهم العميل السري للمخابرات البريطانية، المدعو لورانس[1]، بدفعهم إلى مقاتلة أبناء دينهم!! مقابل ذلك الوعد الوهمي! فقد قام العرب بمساعدة الحلفاء وبريطانية خاصة، فتم بذلك الإجهاز على الجيش التركي في الشرق الأوسط برمته.

هذا بطبيعة الحال خطأ فاحش ارتكبه العرب ضد أنفسهم قبل أي شيء في تاريخهم المعاصر ونتائجه المؤلمة واضحة للعيان في العالم العربي اليوم بوجود الكيان اليهودي الصهيوني يهدد العرب من الخليج إلى المحيط بالويل والثبور!!

ويعود بنا الحديث الآن إلى محور جد هام بالنسبة إلى قضية فلسطين التي وضعت الأمة العربية من الخليج إلى المحيط على مفترق تاريخي خطير!! ولن يجد القارىء هنا إلّا تصويراً صادقاً لتأمر الاستعمار المزدوج البريطاني ـ الفرنسي الذي أسفر عن غرس الكيان اليهودي الصهيوني في قلب الوطن العربي، كمؤسسة عسكرية استعمارية متقدمة كأحدى حاملات الطائرات الأمريكية في الشرق العربي وفي البحر الأبيض المتوسط مثل ما هي الآن بريطانيا في عهد مارغريت تاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا، حيث انطلق منها العدوان على ليبيا في 16 ـ 4 ـ 1986. ويقيني أنه لا ولن ينقشع هذا الضباب العربي الكالح إلّا إذا اتحد العرب لمواجهة هذا الخطر الداهم المدفوع بقوى الاستعمار القديم والحديث للإبقاء على وضع العرب من الخليج إلى المحيط دون تغيير إلى الأفضل!!

---

(1) الملقب: (بلورنس العربي)، للباسه العربي!!!.

ومما تجدر ملاحظته أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا وغيرها، قد استولت في الماضي على أقطار الوطن العربي قطراً بعد قطر. فمثلاً: استولت بريطانيا على جزيرة الريم في المندب سنة 1799، ثم استولت على مسقط بحجة الدفاع عن طريق الهند من العدوان الفرنسي عام 1800م، واستولت على البحرين في نفس السنة. وجاء دور المشيخات في الخليج العربي بين عامي 1800 و1882، ثم قامت فرنسا بالعدوان على الجزائر في عام 1830، وقامت بريطانيا بعدها بالاستيلاء على عدن سنة 1834. كما بسطت سيطرتها على سلطنة لحج والمحميات التسع بعد عام 1839، وقامت فرنسا بفرض الحماية على تونس سنة 1881، ثم استولت بريطانيا على مصر سنة 1882 وثم السودان في عام 1899م، وهكذا دان الوطن العربي إلى الدول الاستعمارية بالقوة(1)!.

وحكم الاستعمار العالمي هذه الأقطار بأساليب مختلفة وأوجد في كل قطر منها أنظمة إدارية وتشريعية واقتصادية وثقافية متغايرة من قطر إلى قطر، من الخليج إلى المحيط!! بحيث جسد الاستعمار مقولته الخيانية الداعية إلى سياسة «فرق تسد» من أجل التأمين على سلامة اللقيطة «إسرائيل»، القيّمة على مصالحه في الوطن العربي!! فجاء هذا الإنقسام في الوطن العربي بالصورة الحالية إلى دول عديدة، (22 دولة) لكل منها علم خاص وحكومة خاصة وأنظمة خاصة وجيش خاص وهلم جرا!!.

إن هذه الفروق القائمة بعد الحرب العالمية الثانية، وهذه الحدود الفاصلة المصطنعة، لم توجد بمشيئة الشعوب العربية ولا بطبيعة الأرض العربية، وإنما حدث كل ذلك نتيجة لأطماع وإتفاقيات ومعاهدات وتحالفات

(1) اليوم أمريكا تسير على نهج الماضي الإمبريالي بحجة ديمقرطة الوطن العربي مع محاربة الإرهاب وكل ذلك في إسرائيل.

بين الدول الاستعمارية الكبرى التي تقاسمت الوطن العربي وسيطرت عليه بقوة الحديد والنار بعد أو أثناء الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918)، وقد جاء هذا الإنقسام العربي، أرضاً وشعباً بموجب معاهدة سايكس ـ بيكو المشؤومة، (الاتفاق الاستعماري بين الانكليزي سايكس والفرنسي بيكو سنة 1916م، وقد عقدت بريطانيا وفرنسا هذه المعاهدة من وراء ظهور العرب وضد مصلحة القومية العربية في ديارهم الشرعية من الخليج إلى المحيط.

وبسبب العاطفة وسرعة التصديق العربي للوعود الاستعمارية، فقد وجدت البلاد العربية نفسها عبارة عن مناطق نفوذ للانتدابين الانكليزي والفرنسي نتيجة لخيانة بريطانيا لوعدها الذي قطعته للشريف حسين، بوقوفها إلى جانب العرب على مساعدتهم لنيل طلبهم في الاستقلال ووحدة بلادهم! وأثناء هذا الوضع المتردي الاستعماري الخبيث فتح الاستعمار البريطاني ثغرة خطيرة في بنيان أحلام الأمة العربية «وهو وعد بلفور بإنشاء الكيان اليهودي العنصري في أرض فلسطين العربية عام 1917م»، كما نوهنا سابقاً.

هذا وأهم ما يصبوا إليه الاستعمار الغربي القديم والحديث من الوطن العربي أن يراه في صيغة متفكك وأجزائه مبعثرة تشيع الفوضى في أوصاله وتبعث التفرقة في كل مكان لكي تطمأن «إسرائيل» في فلسطين من أي ثورة عربية!!

وتوخياً للدقة والشمول في كشف ملابسات هذه القضية الخطيرة، أسوق هذه القصة التاريخية واضحة في جوهرها، نقية في مضمونها في وقتنا الحاضر كما كانت في الماضي بالرغم من أن تركيا في عهد السلطان عبد الحميد كانت تشخن بالجراح والآلام بسبب الضغوط التي مارسها الغرب والصهيونية في شأن فلسطين مستغلين في ذلك الأزمة المالية والاقتصادية اللتين كانت تركيا تشعر بثقلهما كالجبل على ظهرها.

وفيما يلي القصة التاريخية في خصوص الأرض الفلسطينية:

لقد ورد في كتاب «حكومة العالم الخفية» بقلم: شريب سبيريد وفيتش (ص 19 ـ 26): إن السلطان عبد الحميد قد رفض أن يتفاوض مع اليهود مباشرة أو عن طريق الوسطاء في شأن التخلي عن فلسطين، أو تقديمها لليهود مقابل (150) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً. مع أنه كان في حاجة إلى المال الذي خلق لتركيا متاعب كثيرة لا تحصى.

يقول الكاتب: وكنتيجة طبيعية لعقيدة اليهود ولشعورهم بالنقص من التشرد والحرمان مع اعتقادهم بأنهم متميزون «كشعب مختار» فقد تحولوا إلى عناصر شغب وتخريب في كل البلاد التي حلوا فيها. لذلك نجدهم يحقدون على كل أمة، وحكومة قوية ظهرت في التاريخ. فعندما كان الإسلام قوياً انتشر اليهود في البلاد يزرعون الفتنة ويبذرون الفرقة حتى عدوا وراء معظم الحركات السرية والفئات المذهبية التي شذت عن الإسلام. وبعدما دخل المسلمون في دور التأخر وأصبحت قيادة العالم بيد الأمم المسيحية، نقلوا نشاطهم إلى تلك البلاد. فاليهود رغم ضعف المسلمين لم يستطيعوا حتى شراء فلسطين بأموالهم وحتى السلطان عبد الحميد الذي تنسب إليه كتب التاريخ كل نقيصة كان موقفه من الصهيوني «تيدور هرتزل» الصحفي المجري اليهودي الأصل وزعيم الحركة الصهيونية (1860 ـ 1904)، قد رفض السلطان استقباله وأرسل له الكلام المذكور فيما يلي عن طريق رفيقه اليهودي نيولنسكي. فقد قال السلطان المسلم لرفيق هرتزل الآتي: «فإذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبداً في هذا الموضوع. لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد؛ لأنها ليست لي بل لشعبي. لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية بإراقة دمائهم. وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغذيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا. لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سوريا وفلسطين وقتل

رجالنا الواحد بعد الآخر في «بلفنة» لأن أحداً منهم لم يرض بالتسليم وفضلوا ان يموتوا في ساحة القتال. والامبراطورية ليست لي وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبداً أن أعطى أحداً أي جزء منها. ليحتفظ اليهود بالمال ـ ببلايينهم، فإذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل. «إنما لن تقسم إلّا جثثاً ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان». هكذا بالمواقف تعرف الرجال.

هذا وبعد أن رفض السلطان، استطاعوا بواسطة يهود الدونما القيام بانقلاب عليه، وحمل له كتاب التنازل يهودي منهم واسمه (قره صو). والدنما هم يهود سالونيك الذين دخلوا الإسلام صورياً لأغراضهم الدنيئة. وقد كانوا يسيطرون على كافة الحياة الاقتصادية في معظم مرافق الدولة التركية[1].

وحيال هذا الموقف التاريخي الخالد، أجدني مدفوعاً إلى سرد موقف مخزي أشاع الفرقة والإنقسام في الوطن العربي!!

إن الشيء الذي نستطيع أن نستنبطه من تاريخ العلاقات التركية العربية، هو في حقيقة الأمر أنه مهما كتب أو قيل عن قساوة حكم الدولة التركية في أي مكان من العالم العربي في تلك الفترة، فإن هناك جوانب ملموسة واضحة في تاريخ العرب الطويل، وهي أن جميع الغزوات والاحتلال وحمامات الدم والاغتيالات والقتل عمداً والقهر والسلب والنهب، وكل حالات الإجرام التي قامت بها الإمبريالية الغربية دون استثناء، تبقى أشد قساوة وأكثرها ظلماً وبربرية فظيعة، بما لا يمكن بحال من الأحوال مقارنتها بحكم الإمبريالية التركية التي لم تقم طوعياً بتسليم أو بيع أي جزء من

(1) شيريب سبيريد وفيتش: (كتاب «حكومة العالم الخفية») ترجمة مأمون سعيد ـ تحرير أحمد عرموش ـ دار النفائس/ بيروت، 1982.

فلسطين أو أي جزء من مصر كما فعل أنور السادات، حاكم مصر في 26 مارس 1979م دون إدراك عواقب هذه الانتكاسة على الأمة العربية قاطبة، من الخليج إلى المحيط!!

وهناك نقطة هامة لا يجب إغفالها هي أنه بالرغم من هزيمة حرب 1967 رأى المرحوم عبد الناصر أنه ما أخذ بالقوة.. لا يسترد بغير القوة، بينما أنور السادات الذي كان في موقف المنتصر في حرب 1973، اعتقد أنه يجب إنقاذ ما يمكن إنقاذه!!

هذا وعلى أي حال فقد شهدت الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج نوعاً من الوحدة العربية الشاملة في المجالات السياسية والاقتصادية والمالية والنفطية والعسكرية لأول مرة في حرب أكتوبر 1973، حيث انتصر العرب، يتقدمهم الجيش المصري على العدو الصهيوني المتعجرف وأسقط العرب، بفضل هذا التماسك العربي القومي، خرافة التفوق الصهيوني العسكري الزائف وذلك بتحطيم خط «بارليف» الدفاعي الذي أقامه اليهود الصهاينة ـ بعد حرب يونيو 1967م لحماية كيانهم!!

وقد أثبت ضعف هذا الخط رغم كل التحصينات القوية التي أرادها العدو الصهيوني أن تكون حاجزاً صلباً لحماية الكيان المصطنع من أي هجوم عربي محتمل تنفيذه ضده، ولكن إنهار أمام الجندي المصري المناضل والتخطيط العسكري المصري الجيد اللذين استطاعا بإرادة الله عز وجل أن يحطما اسطورة «خط» بارليف أولاً وقوة الكيان اليهودي الصهيوني ثانياً.

وبهذا قد تحققت قومية المعركة فعلاً وانتصر العرب فيها، لا على العدو اليهودي الصهيوني فحسب وإنما على كل عوامل اليأس والخوف والتمزق والضياع والهوان وكذلك انتصر على كل عوامل الاختلافات والاقتتال بين الأمة العربية الواحدة والأنظمة العربية المختلفة.

وهكذا كانت الوحدة الإسلامية كما أمر بها الله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: 103] ففي حرب أكتوبر 1973م، تحقق ما كان يتمناه كل عربي مسلم؛ وحدة عربية خالصة في آمالها وأهدافها وانتصاراتها على الأعداء وفي مقدمتهم العدو اليهودي الصهيوني العنصري. ففي وحدة أكتوبر خلقت من الاختلافات انسجام وتعاون، وخلقت من الضعف قوة بحيث تراجعت الذئاب الشرهة من الخوف والفزع أمام الوحدة العربية العظيمة... ولكن...

واحسرتاه! لقد كانت الوحدة العربية المنشودة، والآمال، والأهداف، والانتصارات، والانسجام أمور مؤقتة، إذ أن الذي حدث بعد ذلك لم يكن في الحسبان إطلاقاً في العالم العربي من محيطه إلى خليجه بعد أن رضخ أنور السادات إلى نصائح الولايات المتحدة الأمريكية!!.

وفي وضح النهار عقدت الاجتماعات واللقاءات المصرية ـ الإسرائيلية الأمريكية بعد أن توقفت الحرب بطريقة مفاجئة تحت إرشادات هنري كيسنجر اليهودي ووزير خارجية إدارة الرئيس جيمي كارتر ومهندس «اتفاقيات» كامب ديفيد و«السلام» بين مصر العربية والعدو الصهيوني العنصري الأمر الذي أثر على وحدة العرب كلية، وظهرت بسبب هذا الموقف الساداتي غير المتوقع، المزايدات والاتهامات والتمزق والخلافات التي صارت ركيزة وقوة للعدو الإسرائيلي مرة ثانية في المنطقة العربية!!.

وهكذا انتكست وحدة الآمال والأهداف العربية كما أراد لها الاستعمار القديم والحديث المتكتل ضد العرب لصالح الصهيونية العالمية!! فقد أثر هذا التحول الخطير السريع على مجرى السياسة العربية في الداخل والخارج قطرياً وقومياً ودولياً بين الأقطار العربية الرافضة للاتفاقيات (كامب دايفيد) الهادفة للقضاء على أي وحدة عربية مستقبلاً وبين الأقطار العربية المؤيدة لخطوات أنور السادات الذي تحدى مشاعر الشعوب العربية وأقدم على خيانة كبرى ضد شعبه الذي ضحى بخير شبابه في سبيل حرية وعزة

مصر. وإلى جانب هذا الإذلال فقد عزل السادات مصر وأضعفها وأضعف العرب معها وأعطى للعدو اليهودي الصهيوني مجالاً لكي يزيد من غطرسته وإجرامه ومن إحكام قبضته على المنطقة العربية بأسرها مع تهديده بضرب الدول العربية!!.

ولا خلاف بالرأي بأن سياسة الدولة ـ أرضاً وشعباً تدار بالعقل والحكمة وليس بالخيال والارتجال. وفي كل الأحوال فإن من اعتمد على الاستعمار القديم المتمثل في بريطانيا وفرنسا وكذلك الاستعمار الحديث المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية آيل لا محالة إلى السقوط الحتمي والسادات ومن كان على منواله في المنطقة العربية خير شاهد على ذلك.

أما وقد تكلمنا فيما سبق ما فيه الكفاية، في نظري، عن أكثر من موضوع يخص أحوال العرب المسلمين على امتداد الوطن العربي الكبير، وذلك في أغلب الظروف إيجاباً أم سلباً، قطرياً وقومياً ودولياً، يحسن بنا أن ننتقل إلى موضوع الاستعمار والدول الضعيفة التي إن وقعت فريسة ضمن مخالبه القاتلة الدامية، عندئذ يمارس هو وأتباعه من غلاة الاستعمار جرائمهما البشعة التي لا مجال بها للإنسانية ولا للعواطف ولا مكان في سياستهما للرأفة بالضعفاء سواء كانت دولاً أم شعوباً في تحقيق مصالحهما الاستغلالية في الدولة المستعمرة باعتبارها كنز لا ينضب له معين!! إلى حين ظهور ثورات وطنية قومية كثورة الفيتنام ضد فرنسا التي هُزمت في حرب الهند الصينية في معركة (ديان بيان فو) عام 1954، وكما اندحرت فرنسا في تصديها لثورة الجزائر في عام 1954 التي نسفت إدعاءاتها إلى الأبد وأزالت ما فرض عليها من حرمان طيلة 132 سنة. ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه بعد احتلال تونس في عام 1881م، ومصر في عام 1882م، اتفقت فرنسا وبريطانيا على عدم إعاقة أي منهما الأخرى في احتلال المزيد من الأقطار العربية غرباً وشرقاً. فاستعمرت بريطانيا السودان باسم الحكم الثنائي ـ مصر ـ وبريطانيا في عام 1899م، وبدأت إيطاليا في ليبيا في شهر أكتوبر عام

1911م، وتمت سيطرة فرنسا على المغرب الأقصى عام 1912.

غير أن الشعب العربي الذي يرتبط مع ماضيه التاريخي والحضاري بأوثق الروابط المجيدة من الخليج إلى المحيط، لم يندثر نتيجة لهذه الغزوات الاستعمارية البربرية، بعكس، فقد تصدى لها وثار في وجه الغاصبين رافضاً التنازل عن حقه في الحياة. فقد ثار الشعب العربي في سائر الأقطار العربية من القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن العشرين. فلم تتوقف ثوراته ومعاركه الدامية ضد الاستعمار الانكليزي والفرنسي والإيطالي بالرغم من كل المذابح والدماء التي سالت أنهاراً، وذلك في سبيل أن ينال حريته وكرامته وتطهير الوطن من البطش الاستعماري إلى الأبد.

موقف الاستعمار الغربي من الدول والأمم الضعيفة

ولما كان مفهوم الاستعمار أمر لا بد من الإشارة إليه، فقد التجأت إلى من سبق دراسته من الأوروبيين والعرب. فقد وجدته وحش كاسر، يتلذذ بتعاسة الآخرين، يعتقد جازماً بأن امتلاك المستعمرات يزيد من نفوذه المادي والمعنوي ومن قوته العسكرية. فالاستعمار الأوروبي يمثل حقاً الاستغلال والاحتكار واللصوصية والقرصنة. فهو عدو وخصم لدود للحرية والاستقلال لغير الأوروبي. يتخذ الاستعمار من العنف والعدوان والغزو وسيلة لإخضاع الأمم والشعوب الضعيفة التي قد لا تقوى على مواجهة الاستعمار عسكرياً دفاعاً عن نفسها وأرضها وخيراتها. وهنا يقول جون استراتشي، مؤلف كتاب «نهاية الاستعمار» أنه بسبب بروز إلى وجود المجتمعات الرأسمالية الاستغلالية الغربية في العصر الحديث، وكنتيجة لتراكم الأموال بين أيديها، اضطرت الطبقات الحاكمة فيها إلى استثمارها في غير أراضيها، ولذلك تفادياً لتعديل نظمها الاقتصادية، عن طريق إعادة توزيع الدخل. فلم يكن أمامها خيار إلَّا أن تقوم بمحاولات للغزو والاستعمار، واستغلال أقصى عدد يمكن استغلاله من البلدان المستعمرة[1]!!!.

(1) جون ستراشي: (نهاية الاستعمار) كتاب اخترنا لك العدد (115)، ترجمة ـ حسين الحوت ومحمود حلمي ـ مصر ـ 1962 ـ ص 243.

هكذا يرينا باختصار أن الطمع في استغلال موارد وخيرات الآخرين ولا سيما في أفريقيا وآسيا والوطن العربي، وفي الكسب غير المشروع، هما وراء باعث الاستعمار!!.

وهذا بالطبع يؤدي بنا إلى معرفة أنواع الاستعمار. هناك ثمة ثلاثة أنواع للاستعمار الغربي أو للامبراطوريات:

(1) الامبراطورية التي تقوم على عمل العبيد عن طريق الاستعباد المباشر.

(2) الامبراطوريات التجارية التي قامت على نوع من النهب والسلب التجاري، وكالعمل التي قامت به بريطانيا وفرنسا في آسيا وأفريقيا والوطن العربي.

(3) الامبراطوريات الرأسمالية المتقدمة وكذلك الامبراطوريات العسكرية المبنية على الغزو المباشر[1].

وعلى ذلك، يثبت لنا التاريخ المنصف وبشكل قاطع مثلاً، أن الغزوات التي شنت واستخدمت فيها وسائل بربرية ووحشية طاغية، تحت غطوات مختلفة من قبل الدول الإسبانية والبرتغالية والإيطالية والانكليزية والفرنسية لاستعباد الشعب العربي من الأندلس إلى الخليج العربي، لأجل سلب أراضيه وعرضه وخيراته، كانت في واقع الأمر، من القسوة والفظاعة غير الإنسانية، بحيث بدأ من خلالها، وكأن هذا النوع من البشر، الأناني العنصري، قد خرج من صفوف الوحوش الكاسرة!!

وفي هذا الخصوص نجد الدكتور محمود السمرة في كتاب العربي الرابع ـ 1984م، (مراجعات حول (العروبة ـ الإسلام وأوروبا) فيما يتعلق

(1) نفس المصدر.

بالصراع بين العرب والبرتغال) يقول: «نحن العرب لنا مع البرتغال قصة مؤلمة بدأت في منتصف القرن الثالث عشر في غرب الأندلس، وانتهت في القرن السادس عشر بالقضاء على السلطان العربي في شرق أفريقيا، ووضع حداً للتجارة العربية في البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي. فقد كانت هذه البحار يسيطر عليها العرب قبل الغزو البرتغالي الهمجي الذي كتب عنه المؤرخون العرب ـ اليمنيون والحضرميون بأنه تمثل في قتل السكان والبحارة العرب ونهب أرزاقهم وممتلكاتهم وفي حرق سفنهم البحرية في جنوب الجزيرة العربية لأجل شل اتصالاتهم وحركاتهم التجارية الرابحة مع الهند ومصر على سبيل المثال لا الحصر. هذا ويمكن اعتبار انتصار البرتغاليين على العرب في الشرق، بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح والدوران حوله في شرق أفريقية وجزيرة العرب والمحيط الهندي، تتمة لانتصار أوروبا الصليبية على العرب في الغرب، كما هو مدون في كتابات المؤرخين الغربيين والعرب على السواء. ومع أن هم الغزاة البرتغاليين الأول كان، بطبيعة الحال، هو السيطرة التامة اقتصادياً على تجارة الشرق البحرية، إلّا أن العداء الديني كان موجوداً أيضاً في نفوسهم وتصرفاتهم اللاإنسانية. وقد كان رد العرب على هذا هو المناداة بالجهاد[1].

وفي هذه الأثناء حدث ما غير وجه المنطقة العربية، وقرر مصيرها لعدة قرون، إذ تقدم السلطان سليم الأول العثماني، فاحتل بلاد الشام، وهزم المماليك، واستولى على مصر، كما استولى على العراق عام 1526م، وهذا الاحتلال وضع العثمانيين وجهاً لوجه أمام البرتغاليين في البحر الأحمر وبحر العرب، والخليج العربي. وللأتراك الفضل في كونهم تمكنوا من صد الاستعمار البرتغالي عن الشواطىء العربية، إلّا ما كان من

(1) د/ محمود السمرة: مراجعات حول (العروبة ـ الإسلام ـ أوروبا)! الكتاب الرابع ـ تصدره مجلة العربي ـ الكويت/ 1984 ـ ص 103.

غارات مباغتة، تنهب وتقتل، ثم ترتد هاربة؛ لأنهم كانوا لصوص، يغيرون على الشواطىء بوحشية، ويروي المؤرخون عن وحشية هؤلاء القراصنة الشيء الكثير بحيث بلغت أطماعهم أن أصبحت السفن البرتغالية تنهب بعضها بعضاً. وهو الشيء الذي أدى بهم إلى الزوال من الأراضي العربية. ومنذ النصف الثاني للقرن السادس عشر، بدأ يدخل في الصراع في هذه البحار الدول الغربية الطامحة إلى مستعمرات! ومن هنا تحول الصراع بين العرب والبرتغال إلى صراع بين الدول الأوروبية، بين البرتغال وهولندا وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا، لأجل الاستيلاء والسيطرة على أراضي وشعوب مغلوبة على أمرها بتعللات كاذبة، كإدعاء فرنسا بأن لها رسالة نشر الحضارة في الجزائر! ويا لها من كذب!.

ونحن إذا ما رجعنا تاريخ حمى الاستعمار وتكوين الامبراطوريات الغربية على حساب تعاسة الشعب الأفريقي والآسيوي واللاتيني والعربي، نكتشف دون أن يخالجنا أدنى شك، أنه لا ضمير يردعه ولا أخلاق تمنعه من ممارسة الكذب والتضليل؛ لأنه فطر عليهما، لإبعاد اللوم عن مخططاته التآمرية الشريرة وأعماله الإجرامية ضد هذه الشعوب جميعها إلى حين تستيقظ الشعوب وتثور لتحقيق حريتها من سيطرة الرجل الأبيض السفاح!!.

هكذا يتضح لنا، إنه استطاع الاستعمار لفترة زمنية طالت أم قصرت، يمارس أبشع ألوان الإرهاب والطغيان ضد أصحاب البلاد الشرعيين، وأن يخدع كل الناس، بعض الوقت، أو بعض الناس كل الوقت، فإنه لن يستطيع بحال من الأحوال أن يخدع كل الناس كل الوقت، مهما حاول إخفاء حقيقة نواياه الشريرة، ومهما إلتوى سلوكه[1]، فدوام الحال من المحال لا بد أن يقع في الشرك.

---

(1) وفيق عبد العزيز فهمي، محمد عبد العزيز أحمد، (كتب سياسية نحو وحدة أفريقية) الدار القومية للطباعة والنشر/ مصر العدد (341 عام 1963م).

يقول الأستاذ عبد الله محمد الريماوي، في ص 409 من كتابه (القومية ـ بحث نظري): إنه لو سرنا مع الاستعمار في تاريخه، ومنذ أن أُرسيت قواعده، لوجدنا العناصر التالية في الماضي والحاضر تكون حقيقة موقفه من «الأمم».

فقد «وجد الاستعمار أمماً مكونة توفرت لها المقومات الحياتية لتكون أمماً، مادية كانت هذه المقومات أو تراثية حضارية أو مصلحية في جزأي وطنها الآسيوي والأفريقي مثلاً. وكان موقف الاستعمار من هذه الأمم، وهو الموقف الذي يمكننا أن نقدم الأمثلة الصارخة عليه من تجربة الأمة العربية، موقفاً يهدف بجميع الوسائل إلى قتل المقومات المادية واللامادية، والتراثية والحضارية التي تجعل من تلك الأمم أمماً.

فبدأ الاستعمار باللغة، وهي مقوم من أهم مقومات الأمة، حاول الاستعمار في كل أمة أن يقتلها في بعض أجزاء الأمة، بغية سلخ هذه الأجزاء عن جسم الأمة، والمحاولة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر من أوضح الأمثلة على ذلك ـ فبعد اللغة، تأتي وحدة الأرض ـ وهي مقوم أساسي من مقومات الأمة. وما من أمة وطأت أقدام المستعمرين أرضها إلّا وعمل المستعمرون على تحطيم تلك الوحدة ـ وحدة الأرض، لا من حيث إقامة دول أو اشباه دول في الأمة الواحدة والوطن الواحد فحسب، وإنما من حيث محاولته عزل أجزاء من الوطن الواحد للأمة الواحدة عن الأجزاء الأخرى، ومن الأمثلة الصارخة على ذلك الجرم محاولة إقامة حاجز بشري يفصل أرض الوطن العربي في آسيا عنها في أفريقيا، بإقامة «إسرائيل». ونأتي بعد هذا إلى وحدة الحياة الاقتصادية، كمقوم من مقومات الأمة، لم يترك الاستعمار أمة ابتلاها التاريخ بمعرفة الاستعمار والمستعمرين، إلّا وشهدت كيف سعى الاستعمار جاهداً، بجميع الوسائل، لتحطيم تلك

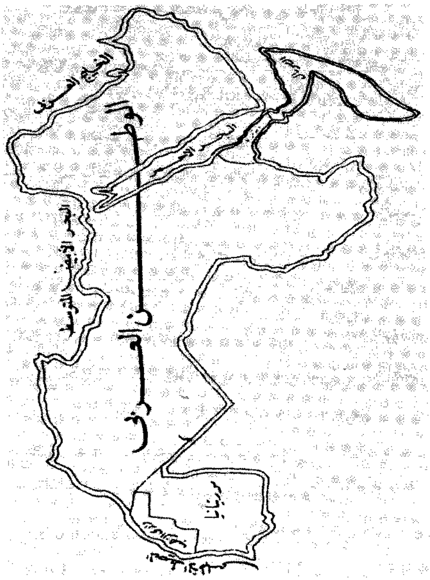
الوحدة الاقتصادية فيها، وفي محاولة إقامة وحدات اقتصادية متنافرة يجزىء لها الوحدة الاقتصادية للأمة الواحدة، بما يترتب على هذا، بالطبع، من إقامة المصالح غير الوحدوية ـ الاقتصادية السياسية الاجتماعية ـ التي لا يلبث الاستعمار، بعد أن يقيمها، أن يعود ليرتكز إليها في تفتيت وحدة الأمة، بل والارتكاز إليها لاصطناع عقائد مزيفة تكرس «التجزئة» وتبررها وتدافع عنها!! هذا وإن موضوع الاستعمار واسع ومتعدد الجوانب، ولذلك ما قُدم إنما هو غيض من فيض. فبعد هذه المقومات الهامة التي تقع تحت طائلة الاستعمار، تأتي وحدة التراث والحضارة والثقافة كمقومات الأمة الأساسية. فيسعى الاستعمار من غير تردد على تفتيتها وطمس معالم الأمة كلية! إن هناك من الشواهد ما يكفي للقول: إن الأساليب الحاقدة للاستعمار والمستعمرين في الوطن العربي هي أوضح من أن تحتاج للتدليل. ومحاولة الاستعمار الفرنسي في الجزائر من أوضح الأمثلة على ذلك!! والتاريخ يشهد على ذلك أيضاً. وأخيراً، وليس آخراً، المقوم الأساس للأمة هو «البشر» الذين تتألف منهم الأمة، والذين، يرى فيهم الاستعمار كأدوات إنتاج، تضمن له الأرباح والخدمات!! هذا المقوم نفسه نجد الاستعمار يعبث به عبثاً بربرياً، فهو في أكثر الأحيان وفي كثير من البلاد التي يجد الأمم فيها مكونة، مستقرة تاريخياً، لا يتورع من محاولة غزوها غزواً بشرياً الجزائر مثل صارخ: فيرسل مئات الآلاف من أبناء بلاده وحتى من بلاد أخرى، أي من أمم غريبة، يرسلها غازية تستوطن بلاد الأمم التي يهدف تغيير «واقعها البشري» بأن تقيم فيها ما يُسمى «المستعمرات». ثم يأخذ بسياسة إبادة بربرية، للذين يسمونهم عندئذ، «بالسكان الأصليين». ويأمل الاستعمار أن لا تمضي فترة إلّا وقد تحقق له إمكان الزعم ـ استناداً إلى موجات المستعمريين المستوطنين تلك وحرب الإبادة هذه ـ أن البلاد التي استوطنوها: قد اندثرت فيها الأمة الأصيلة وأصبحت جزءاً من الأمة

المستعمرة الغازية ووطنها. ولعل الأسلوب الفرنسي في الجزائر، والإيطالي في ليبيا، والإنكليز في الشرق العربي أمثلة صارخة، على هذا القول[1]. وكذلك أمريكا مع الهنود الحمر في أرضهم.

هذا وذلك كان إجمالاً لموقف الاستعمار الغربي من وحدة الأمة ـ أية أمة ـ قائمة كانت أو ناشئة في طريق التكون. وإذا ما كان هناك من ملاحظة جديرة بأن يشار إليها فيما يتعلق بمواقف الاستعمار الغربي المشين وفي سياقه العدواني على الأمة العربية المسلمة قاطبة، من الشرق العربي إلى الأندلس وبالعكس ـ لأجل القتل الجماعي والنهب والابتزاز، دون وازع من ضمير، هي بالطبع، ومن نافلة القول إنها وثيقة الصلة بالتجزئة العربية وخلافاتهم وحروبهم فيما بينهم حتى طمع فيهم الاستعمار أرضاً وشعباً!! وما خفي كان أعظم.

(1) الأستاذ عبد الله محمد الريماوي: (كتاب ـ القومية ـ (بحث نظري موسوعة الوعي العقائدي العربي)، الجزء (3) الناشر دار مكتبة الفكر ـ طرابلس ـ ليبيا، 1974م.

قوة العرب في وحدتهم



وهكذا اتضح لنا بجلاء فيما تقدم بشأن موقف الاستعمار قديماً وحديثاً من الدول والأمم المجزءة الضعيفة. ولذلك فإن الوحدة بين أجزاء الوطن العربي الممتد من المحيط إلى الخليج، هو الأمل الذي يراود كل عربي أن يحققه؛ لأن الوحدة العربية مسؤولية كل فرد دون استثناء. فهي

تخلق من الضعف قوة ومهابة واحترام. فكم من الضحايا، على تعاقب القرون سقطوا دفاعاً عن الوحدة، أو ماتوا في غيابات السجون أو لقوا حتفهم غرباء عن وطنهم وقومهم في سبيل هذا الهدف النبيل.

المطامع الاستعمارية في الجزائر

في ما سبق تعرضنا إلى موضوعات تاريخية شتى هامة تربط القطر الجزائري أرضاً وشعباً مع بقية الأقطار العربية الأخرى غرباً وشرقاً بروابط لا تنفصم ولا يمكن أن تنفصم إلى يوم الدين.. وقد عاش القطر الجزائري مع أشقائه مراحل حضارية وثقافية ولغوية طويلة من تاريخ العالم الإسلامي العربي حاملاً لواء السيادة على أرضه بثقة وإيمان وعزيمة شعبه المناضل بعيداً عن الهيمنة التركية المباشرة ومساهماً بإخلاص وجد في نصرة أشقائه مادياً ومعنوياً لإثبات حق السيادة لأمة واحدة ووطن واحد من المحيط إلى الخليج.

ومنذ أن برز القطر الجزائري كقوة تثير الرهبة، محافظة على أمنه واستقلاله «اشتدت أطماع الإسبان في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر، لاستغلال ثروته المعدنية والزراعية والحيوانية، ولكسر شوكته والقضاء على أسطوله القوي وقوته البحرية التي كان يحسب لها في ذلك العهد الزاهر ألف حساب»[(1)] في البحر الأبيض المتوسط.

وحين تم للإسبان الانتصار على الإمارات الإسلامية بالأندلس والتي ضاعت بسبب عوامل الخلافات والأهواء الخاصة التي كانت تسيطر على حكام الأندلس حينذاك أصبحت لهم دولة واحدة كانت إذ ذاك تعد من أقوى دول أوروبا، الشيء الذي بعث فيهم الرغبة الجامحة والدافعة إلى ملاحقة المسلمين العرب أينما وجدوا رافعين الصليب ليستر مطامعهم وراء قناع

---

(1) أمين شاكر، سعيد العريان، مصطفى أمين (شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل)، العدد 8 ـ 1956م، دار المعارف بمصر، ص 1.

شكّل أخطاراً فظيعة على طرابلس الغرب وتونس والجزائر!! فكانت حملاتهم حملات نهب ولصوصية، ومما زاد الموقف اضطراباً في البحر المتوسط انتشار أعمال القرصنة. فقد أنشأ الإسبان والبرتغاليون مع غيرهم من رجال أوروبا سفناً للقرصنة يعملون على الفتك بمهاجري الأندلس التعساء، وكان لبعض كبار القرصنة المسلمين قوة مرهوبة استعانت بها دول المغرب ومن ذلك أمير تونس من بني حفص الذي أدخل في خدمته قرصانين كبيرين من أسرة بربروسا وهما (عروج) وأخوه (خير الدين) وكانا من أهل الانكشار، ثم اعتنقا الإسلام واشتغلا بالقرصنة وذاع لهما صيت كبير، وأخذا يعملان متطوعين في سبيل الله لانقاذ مهاجري الأندلس والاجتياز بهم أرض المغرب، ولما ضاق أهل الجزائر بضغط الإسبان دعوا (عروج) لإنقاذهم، فدخل الجزائر وصد عنها حملة إسبانية عام 1516 واستطاع بتأييد الجزائريين الذين التفوا حوله تطهير البلاد من التدخل الإسباني الفظيع، وقُتل عروج في بعض مغامراته فتولى أخوه خير الدين قيادة أتباعه من بعده وأصبح صاحب الحكم في القطر الجزائري، بعد أن انهارت دولة بني زياد واتخذ من (الجزائر) عاصمة للملك الإسلامي الجديد، وهكذا نشأت مدينة الجزائر وبسطت في مدة وجيزة جداً سلطانها على كامل البلاد[1]. والواقع أن الجهود التي كان يبذلها خير الدين لدعم قوته وتوطيد حكمه كان لا بد لها أن تثمر. وقد استطاع أن يجعل من مدينة الجزائر التي اشترك معه لتقويتها المئات من بناة السفن ورجال البحر والعمال والفنيين والحرفيين في كل ميدان ـ مدينة من أقوى المدن الحصينة في العالم، حتى أطلق عليها اسم «المدينة التي لا تقهر»[2]. وللاقتراب من الدور التاريخي لأسرة بار باروسا في الشمال الأفريقي فقد نشرت مجلة «العربي» في عدد خاص بتاريخ يونيو

(1) محمود عبد المنعم مرتضى: (الجزائر المنتصرة) الدار القومية للطباعة والنشر ـ العدد (171) عام 1962م ـ مصر ـ ص (10).

(2) سليمان مظهر (مجلة العربي)، العدد 307 ـ يونيو 1984، ص (127).

1984م مقالة تحت عنوان «بار باروسا» سيد البحار وحامي العقيدة ـ بقلم: الأستاذ سليمان مظهر ـ «ص 124» ـ جاء فيها أنه كان مقدراً للأخوين عروج وخير الدين أن يوطدا موضع قدم للدولة العثمانية على الساحل الأفريقي الشمالي.. لتبدأ من بعد، مرحلة طويلة من الصراع بين المسلمين والصليبيين.. ولتتأكد سيطرة السفن الإسلامية على طرق التجارة في البحر المتوسط، حيث كانت السفن الأوروبية تمر حالمة تجارة الشرق والغرب. ففجأة وجدت هذه السفن نفسها ـ خلال صراع طويل حول المصالح التجارية بين الشرق والغرب في البحر المتوسط ـ في مواجهة هجمات مستمرة من رجال البحر المسلمين، الذين كان لا بد أن يلعبوا أدواراً في ضرب التجارة الأوروبية على ما تحمله سفنها، رداً على العدوان المستمر على الثغور والموانىء والتجارة الإسلامية في الشمال الأفريقي، كما كان لا بد من رد على المطاردات المسيحية للعرب المهاجرين من الأندلس بعد سقوط غرناطة، آخر معقل من معاقل المسلمين، وللمغاربة الذين استعبدهم الإسبان في غزواتهم المستمرة على السواحل الأفريقية، ليجعلوا منهم عبيداً أرقاء!! بعد أن يقاسوا ألواناً من العذاب والقهر.. ويمضي الأستاذ مظهر فيقول في هذا الخصوص:

«والحق، أن ما كان يفعله رجال البحر المسلمون من هجوم على التجارة، والسفن الأوروبية، لم يكن قط من قبيل القرصنة كما ادعى المؤرخون والكُتاب والأوروبيون والصليبيون.. وما كان (عروج) قرصاناً، ولا كان أيضاً خير الدين الذي أصبح من بعده تحت اسم بار باروسا مصدر الرعب للسفن الإسبانية. فلو كانت هذه هي القرصنة، فكيف نسمي هؤلاء الذين كانوا يضربون التجارة الإسلامية ويستولون عليها في عرض البحر، ويهاجمون الثغور الإسلامية في الشمال الأفريقي ويسرقون خيراتها، ويحولون من يقع في أيديهم من أهلها عبيداً يسترقونهم في السفن والمزارع، ويكلفونهم بأدنى الأعمال وأشقها على الإطلاق»؟ إلّا كذب المؤرخون

والأوروبيون ولم يُنصفوا!! أنه الرد على العدوان بالعدوان.. والتآمر من اللصوص والسفاحين والطغاة والمتعصبين، بالضرب الموجع في البحر والبر على حد سواء.

وكان الإخوان عروج وخير الدين يعملان على تلبية نداءات كل من يستنجد بهما ممن يتعرضون للتهديد الإسباني، لأجل إرغام المسلمين في الشمال الأفريقي بواسطة السلاح على اعتناق دين المسيح!! بعكس المسلمين لم يُكرهوا أحداً.

ويقول المؤرخ بروديل في هذا الخصوص لرد المسلم عن دينه: «إن التعصب الديني مع الرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين ودفع حدود الدولة الإسلامية إلى الوراء، قد حدا بالإسبان، منذ أواخر القرن الخامس عشر، وطوال القرن السادس عشر إلى غزو الشمال الأفريقي. والكلمة التي نجدها معبرة عن هذا المعنى، والتي لا نجد مندوحة عن استعمالها، هي كلمة الصليبية»[1]. «إن الحروب الإسبانية في أفريقية قد أخذت صبغة الصليبية الحقيقية، نظراً للدور المتميز الذي قام بأدائه رجال الكنيسة والكهنوت. فالكنيسة بإسبانيا قد اهتمت، بجميع ما لديها من الحماس والجرأة، بهذه المعركة ضد الأفريقيين. بل أنها كانت في أغلب الأحيان تعتبر المعركة بأسرها معركة خاصة بها[2]! فالحقد إن ملأ القلوب ضغينة عمى الضمير!! هذا وتأكيداً للتعصب الديني لإرغام المسلمين في الشمال الأفريقي على اعتناق دين المسيح، على طريقة محاكم التفتيش المدان

(1) تاريخنا ـ الكتاب الخامس ـ من إعداد الأستاذ الصادق النيهوم ـ دار التراث ـ جنيف/ سويسرا ـ ص، (47).

(2) نفس المصدر: ص (47).

بجرائم اللاإنسانية بعد سقوط غرناطة، فقد تبرع الكردينال خمينس من ماله الخاص لهذه الغارة الصليبية ودفع معظم النفقات التي أمكن بها تجهيز العمارة البحرية، ثم استنجد بالكنائس في إسبانيا، فبعث إليه، كما يقول مرسوليه، بمقادير طائلة من المال، بل إن كثيراً من القساوسة والرهبان قد باعوا ماعونهم الفضي من أجل المشاركة في الحملة على السواحل الأفريقية. لهذا السبب قلنا: إن حملة خميس كانت صليبية ومن أجل ذلك يستحق أن يدعى بآخر الصليبيين الكبار[1]!! الذين تزعموا حركة التعصب المسيحي ضد الإسلام.

هذا وحين استنجد حاكم بجاته بالأخوين عروج وخير الدين، استجابا لندائه واتجها للاستيلاء على جيجل لتصبح قاعدة لهما بدلاً من جربة، بسبب تصاعد خلافاتهما مع السلطان الحفصي، «مولاي محمد بن الحسن»، ومن هناك انطلقا لنجدة أهل الجزائر عام 1516م، إلّا أن الأخوين واجها مقاومة عنيفة من الحامية الإسبانية القوية التي كانت تسيطر على القلعة المشرفة على الميناء. وحين عجزا عن الاستيلاء على القلعة دب الخلاف بينهما وبين سالم التومي حاكم الجزائر الذي أصر على أن يغادر الأتراك أراضيه التي كانوا قد نزلوا بها. وأصبح الموقف لا يحتمل إلّا واحداً من إثنين: إما أن يغادر عروج ورجاله البلاد فاقداً الكثير من مكانته وآماله، وإما أن يبقى في الجزائر لتصبح قاعدة قوية له[2]. علماً وأن الإسبان قد استولوا على مرسى وهران ومرسى الكبير.

وبعد أن قتل عروج، حاكم الجزائر في عام 1518م، غدراً نتيجة لخيانة وخلافات بين الأسرة الريانية، الحاكمة بمدينة تلمسان، تولى أخوه

(1) نفس المصدر: ص (47).

(2) سليمان مظهر: (مجلة العربي)، العدد 307 - يونيو 1984، ص (128).

خير الدين في نهاية الثلاثينيات من عمره، زمام الحكم على بلاد الشمال الأفريقي حيث تابع استراتيجيته الدفاعية والهجومية ضد القوة الصليبية والتجارة الأوروبية في البحر المتوسط.

ولقد قطع خير الدين شوطاً كبيراً في السيطرة على طول الساحل الأفريقي، مستفيداً في ذلك من امكانات الدولة العثمانية التي رأت فيه نصيراً هاماً على الجناح الغربي للامبراطورية العثمانية في شمال أفريقيا، ومهدداً للثغور الإسبانية لضمان المصالح التجارية للدولة التركية في عهد السلطان سليم تاسع سلاطين العثمانيين (1512 ـ 1520).

ومما لا شك فيه أن تطور المستوى الحربي والاقتصادي والسياسي الذي حققه خير الدين في عموم الجزائر، قد فتح له الطريق بأن يكون من كبار قواد الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط حيث أصبح من الصعب جداً على القوى الأوروبية الاستمرار في السلب والنهب والغزو والعدوان على الثغور الإسلامية بالشمال الأفريقي والبحر الأبيض المتوسط. وما دام الأمر كذلك فقد «قرر شارل الخامس ملك إسبانيا، في أول أعوام حكم خير الدين ـ للجزائر، عاصمة للملك الإسلامي الجديد ـ ضرورة تدمير هذه القوة الإسلامية الواقعة جنوبي بلاده. وتجمع أسطول إسباني ضخم من خمسين سفينة حربية تكون ستاراً للمواجهة يتبعها ثلاثمائة من حاملات المقاتلين، يضاف إليهم فرسان القديس جون والبابا وممالك نابولي وموناكو والأمراء الصليبيين بقيادة «فرناند وديجونزاجا» والقائد الجنوي اندريا دوريا. وأصبح واضحاً أن العملية الصليبية الضخمة ستنطلق في وحدة متضامنة بدعوى حماية الحركة التجارية في البحر المتوسط. واستعد بار باروسا للمواجهة. ودعا المغاربة الذين استبعدتهم أوروبا المسيحية والإسبانية للدفاع عن حريتهم ومواجهة مستقبلهم. وساند السلطان خير الدين ـ والي الجزائر ـ فأمده بقوة تضم ألفين من مقاتليه الإنكشارية، كما أعلن مراسيم خاصة

للبلاد التابعة للدولة لتوجيه مساعداتها إلى الجزائر في مواجهة للغزو الصليبي»[1].

وفي يوم عيد سانت باربلوميو 24/ 8/ 1541م، وصل الأسطول الإسباني إلى مياه الميناء الجزائري. . وهناك وقعت الكارثة. فبعد أن نزلت بعض القوات إلى الشاطىء، انقضت عاصفة رهيبة على الأرمادا ـ الأسطول الإسباني ـ افلتت السفن من المرسى، وتلاعبت الريح الهوجاء بالسفن فانفك عقدها، وتحطمت حاملات المجاديف تحت ثقل الماء، والناقلات الثقيلة اندفعت لتتكسر على صخور الشاطىء، بينما تسابقت السفن الحربية لتبتعد عن السواحل إلى عرض البحر، وأصبحت ناقلات الجنود عاجزة وهي تتحطم على الصخور، وغرق مئات الرجال، ودمرت أكثر من عشرين سفينة، والذين استطاعوا النجاة من الغرق وقعوا أسرى، وكانت الحصيلة كما حددها المؤرخ الإسباني «ساند» أكثر من ثلاثة آلاف قتيل إلى جانب أربعمائة أسير إسباني ومرتزق.

وهكذا تغير وجه البحر المتوسط على يد خير الدين (بار باروسا) ورجاله المسلمين. وقامت الحصون وأبراج المراقبة على طول سواحل المتوسط وثغوره للتصدي والحماية من نشاطات حملات خير الدين ورجاله في كل من اليونان وإيطاليا وصقلية إلى سردينيا والبليار، نظراً لكون خير الدين أصبح خصماً لدوداً. ولا شك أن انتصاراته العظيمة على القوى الأوروبية وحرمانها من ممارسة القرصنة ضد السفن التجارية الإسلامية، قد أثار فزع أوروبا كلها وفي المقدمة الملك الإسباني الذي أمر بتوجيه حملة بحرية كبيرة ضده في عام 1531م، بقيادة اندريا دوريا القائد الجنوي. ولكن المقاومة القوية والدفاعات الصامدة التي واجهه بها خير الدين جعلت (دوريا) يفشل في تحقيق هدفه العدواني.

---

(1) نفس المصدر: ص (130).

وما جعل القوى الصليبية الأوروبية ترتعد من الخوف، هو عندما أبحر الأسطول التركي الجديد من القرن الذهبي ليرسو في منطقة استراتيجية رئيسية في البحر المتوسط. هنا ثار فزع أوروبا كلها في عام 1534م. فقد كان الأسطول يضم 84 سفينة حربية بقيادة خير الدين كبير قواد البحرية العثمانية. وبعد أن استدار الأسطول حول خليج مانابان وصل كالزلزال إلى مضيق مسينا واضعاً تحت رحمته طريق التجارة بين إيطاليا وصقلية وفي هذا المعنى، يقول الأستاذ سليمان مظهر في مقاله القيم المذكور سلفاً عن خير الدين (برباروسا) الحائز على لقب باشا وقائداً أكبر للبحرية العثمانية تقديراً لأدواره البطولية ضد القوى الصليبية الأوروبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين، إن وصول الأسطول إلى مضيق مسينا بحيث أصبح طريق التجارة بين إيطاليا وصقلية تحت رحمته، كانت تلك أول حملة من العديد من الحملات المتتالية التي أثارت مخاوف أوروبا. وتحرك خير الدين صوب الساحل الإيطالي الغربي عاصفاً بالموانىء آسراً كل السفن المبحرة على طول السواحل. وهكذا أصبحت قوة خير الدين ترصد كل شيء في المتوسط.

ثم يضيف أن بار باروسا حول فجأة سفنه ليتجه جنوباً إلى تونس حيث كان حاكمها «مولاي حسن» من الأسرة الحفصية قد أعلن الاستقلال عن الدولة العثمانية، وأقام علاقات مع الملك الإسباني شارل الخامس. ولم يكد مولاي حسن يشهد تقدم الأسطول التركي واقترابه من الميناء حتى أسرع إلى جمع ثرواته وكنوزه ورحل مع نسائه وأولاده هارباً إلى حلفائه عرب الداخل. وبذلك تحولت تونس مثل الجزائر ولاية تابعة للدولة العثمانية. وعرف خير الدين في كل مكان في حوض المتوسط كأعظم رجال البحر. ولم يكن له من منافس على ذلك سوى الجنوى «اندريا دوريا». وهذا الأخير، خصم برباروسا العنيد هزم شر هزيمة في المعركة الكبرى التي دارت رحاها في مياه بيرفازا في مدخل خليج اكتيوم في 28/ 9/ 1538م.



خير الدين ـ سيد البحار ـ (مجلة العربي ـ عدد خاص 84).



(شخصية ضئيلة في صراع ضخم

KING PHILIP OF SPAIN

A small figure in a vast struggle

فيليب الثاني ـ ملك إسبانيا (1527 ـ 1598). منازع عنيد وعدو لدود ضد الهيمنة التركية على البحر المتوسط وشمال أفريقيا. وأحد الذين أيدوا محاكم التفتيش وتعذيب المسلمين بالأندلس والمغاربة لتحويلهم إلى الدين المسيحي، كان مسيحياً متعصباً، (مجلة Time)، في 23/5/77 ـ الموسوعة الأمريكية ص، 276 ـ عام 1966م.

ولقد واصل خير الدين (بربروسا) انتصاراته العظيمة على شارل الخامس ملك الإسبان الذي فقد خلال المعارك أغلب سفن أسطوله الحربية التي حاول هذا الملك عن طريقها الاستيلاء على شمال أفريقيا والسيطرة على البحر المتوسط. ولكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن. فعاد من حيث أتى هو وحلفائه الشياطين يحملون كأس الهزيمة والخسران والحسد يأكل قلوبهم من انتصارات خير الدين على (اندريا دوريا) قائد الأسطول الإيطالي والإسباني.

كما نجح خير الدين أن يتعاقد مع فرانسيس الأول ملك فرنسا لإضعاف القوة الإسبانية فيما سماه الإسبان «بحلف الكفار» وأصبح الأسطول العثماني من بعد ذلك ملتقى أنظار كل المراقبين الأوروبيين. وكانت الأعوام الأخيرة من حياة بربروسا كلها السعادة.. وكانت ثقة السلطان الكبيرة في قائده قد جعلته موضع التكريم في كل مكان. وأقيم باسمه مسجد من أجمل مساجد اسطنبول كما أقيم بالقرب منه ضريح يطل على البحر الذي عرفه طويلاً كأعظم بحار في عالمه وفي عصره. وهكذا يجازي من يخدم بإخلاص.

ثم كان اليوم الذي لا بد منه، ولا يمكن أن يفلت منه أحد!.

وسجل التاريخ على صفحة من صفحات سنة 1546م تلك العبارة القليلة الكلمات بعد نضال طويل ضد الإسلام.

«اليوم.. مات خير الدين باربروسا.. ملك البحار وحامي العقيدة ومرعب الصليبيين»[1].

وهناك رواية حول خير الدين (بار باروسا) لا بد من روايتها للتاريخ

(1) نفس المصدر: ص (133).

واللقب هو إيطالي وتعني «اللحية الحمراء» تقول أن «خير الدين ـ الملقب ببربروسا كان سليل أسرة دوتون «d'Authon» الفرنسية وأنه اشترك في قوة فرنسية أرسلها الملك لويس الثاني عشر لمساندة سكان البندقية في حربهم للأتراك ثم نزع الحياة المغامرة والقرصنة. فاشترى من ثروة ورثها عن أمه مركباً واحترف القرصنة. ثم اعتنق الإسلام ونجح في جعل الجزائر قاعدة لحركته. وأعجب السلطان سليمان القانوني بجرأته فسلمه أسطولاً وجعله يعمل لحسابه!!.

وقد علق المعرب الدكتور خليفة محمد التليسي على هذه الرواية بقوله: «لم نعثر على ما يؤكد هذا الزعم فيما أطلعنا عليه من مصادر إسلامية وأجنبية، ونعتبر هذا القول نوعاً من الأسطورة التي تلحق بكل شخصية مشهورة». ولكنا لا نستبعد صحة رواية كوستانزيو برنيا ـ صاحب كتاب ـ «طرابلس من 1510 إلى 1850»[1].

وفي الثالث من يوليو سنة 1546م (ربيع الثاني 953هـ) توفيّ خير الدين بربروسا في القسطنطينية، وقام سفير البندقية المعتمد لدى الباب العالي في القسطنطينية بإبلاغ نبأ وفاته لسناتور (= مجلس الشيوخ) البندقية في رسالة مؤرخة 4 يوليو سنة 1546م. وبوفاة بربروسا انفسح المجال أمام صنيعته ونائبه درغوت باشا الذي تولى القيام بمهام أستاذه فبزه في ميدان (القرصنة) البحرية إلى حد أن أعدائه من أبناء البلدان المسيحية صاروا يلقبونه بالشيطان. ولم يلبث درغوث باشا أن بدأ يمارس عملياته الجريئة ضد الإسبان في الشمال الأفريقي الذي كان يحلم بتحريره من النفوذ المسيحي وبإقامة دولة فيه تكون عاصمتها طرابلس. وفي هذه الأثناء كان

(1) الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي: (تاريخ ليبيا الإسلامي حتى بداية العصر العثماني)، منشورات الجامعة الليبية ـ دار صادر ـ بيروت، 1971م، ص (419).

مراد آغا في تاجوره ينتظر نجدة الأسطول التركي خاصة وأن الإعانات التي كانت ترد إليه في حياة صديقه بربا روسا كانت قد توقفت بعد وفاته[(1)].

وتقول رواية أخرى عن نشأة مراد آغا، كان مراد آغا مسيحياً من مواليد راجوزا (RAGUSA) بإيطاليا أسره القراصنة في صباه، ونقل إلى القسطنطينيه، وختن. كان جميلاً وسيماً، وقد قام سيده بتقديمه إلى زوليمان - «ULEIMAN» محظية السلطان سليم الأول التي عشقته، وأحبت أن يكون قريباً منها. ولما كان من المحرم إدخال الرجال، وخاصة الشباب - على الحريم السلطاني، أجريت له عملية إخصاء وترك لإشباع نزوات تلك المرأة. وهكذا أمضى خمسة أو ستة أعوام في هذه الحالة من الرفاهية والراحة. وحين ماتت المرأة (سبدنه) آلت إليه ثروة طائلة، وأصبح حراً، فانصرف للعمل العسكري وتميز بالشجاعة والإقدام. ولم يلبث حتى صار قائداً لإحدى السفن واتصل بخير الدين بربا روسا. كما تولى مراد آغا فيما بعد عرض مطالب أهل مدينة طرابلس على السلطان، الذي أمر بإسناد إمارة طرابلس لمراد آغا غير أنه لم يقم فيها طويلاً مع أنه عمل على تقوية تاجورا حتى حولها إلى حصن منيع لأجل الدفاع عنها من حملات فرسان القديس يوحنا الذين حظوا بعطف ملوك أوروبا ومساندتهم وبعطف البابا وتأييده ضد المسلمين[(2)].

---

(1) نفس المصدر: ص (433).

(2) نفس المصدر: ص (427).

حالة الجزائر
قبل العدوان الفرنسي الغاشم في عام 1830م

في الصفحات السابقة حاولت أن أبين بإيجاز شديد موقف الاستعمار الغربي من الدول والأمم الضعيفة، وكذلك أهدافه ومطامعه البشعة التي لم تكن لها حد لشرهاتها الأمر الذي سالت من أجلها الدماء أنهاراً في البحر والبر، وبالرغم من كل الشدائد والصراعات والحروب والتطاحن، حتى بعد غياب خير الدين، سيد البحار، من غير منازع، خرجت الجزائر كدولة قوية، عظيمة شارك أسطولها في كل معارك البحر المتوسط في الطليعة، بل لقد كانت سيدة البحار بحيث استطاعت أن تصد أسطول الدول الأوروبية عام 1825م، الأمر الذي كان من الأسباب لعدوان فرنسا على الجزائر.

كما بدأت الهيبة الأوروبية تتلاشى خلال أواخر القرنين السابع عشر والثامن عشر. فقد تنازلت البرتغال في سنة 1662م عن «طنجة» لانكلترا كجزء من المهر، بمناسبة زواج «كاترين» و«تشارلز» الثاني، غير أن انكلترا سرعان ما اكتشفت أن تكاليف حماية «طنجة» ضد المسلمين المغاربة كانت كبيرة جداً. وإذ ذاك، تخلت عنها في سنة 1684م، لامبراطور مراكش[1].

(1) لويس رايت وجوليا مكليود: (تعريب محمد روحي البعلبكي)، الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا في القرن الثامن عشر، (1799 ـ 1805) مكتبة الفرجاني ـ طربلس ليبيا ـ ص (33).

وتركت البرتغال آخر أثر من آثارها في مراكش فيما بين سنة 1769م وسنة 1791م. وكذلك تخلت إسبانيا عن «وهران» آخر الحصون المتبقية والصامدة في وجه القوة الجزائرية. وأما خلال القرن الثامن عشر، فقد كان «القراصنة» مُطلقي الحرية في أن يتناوشوا فيما بينهم، وحينما تدفعهم حماستهم، وأحياناً كانوا يجمعون صفوفهم للانقضاض على الأسطول التجاري العائد للعالم المسيحي. ومع ذلك، فقد كان من النادر اللجوء إلى طريقة الحملات التأديبية، إذ أنها كانت قلما تنجح أو تأتي بنتيجة بسبب القوة الإسلامية في شمال أفريقيا[1].

فقد كانت بعض الدول الأوروبية القوية ـ ولأجيال طويلة ـ ترضخ أمام كل من الجزائر، وتونس، وطرابلس، لتضمن مساعدة «قراصنة» تلك الدول ضد عدد من أعدائها، الأوروبيين، علماً بأنها كانت تعاني من الإهانات التي يُلحقها بها أولئك «القراصنة» ولقد أبدى القراصنة اندفاعاً وشجاعة كاملين ـ ولو كان ذلك مما يبعث على الإزدراء والإحتقار ـ فساعدوا بعض الدول المسيحية في حروبها مع بعضها الآخر في مرات عديدة. ويروى أن الملك «لويس الرابع عشر» قد صرح في ذات مرة أنه لو لم يكن هناك الجزائر، لكان أبدع وأوجد واحدة[2].

هذا وبعد أن فقدت إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا وحلفائهم القراصنة الآخرين هيبتهم العسكرية في شمال أفريقيا وكذلك السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، ظهرت للوجود دولة منافسة جديدة في شمال أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط ألا وهي الولايات المتحدة الأمريكية! فبعد

(1) نفس المرجع: ص (34).
(2) نفس المرجع: ص (34).

أن أصبحت هذه الدولة الجديدة مالكة لزمام أمرها على أثر تخلصها من نير الاستعمار البريطاني الشرس عام 1776م، وتكوّن لها جيش قوي وأسطول تجاري وحربي؛ أردت أن تنهج أسلوب فرنسا وبريطانيا وإسبانيا والبرتغال الإمبريالي العدواني؛ وذلك باستعراض القوة في البحار والأراضي التابعة لدول شمال أفريقيا بحجة حرية الملاحة، من غير أن يقوم أحد باعتراض سبيل منهجها التآمري الاستعماري تريده أن يكون واقفاً مكتوف اليدين أمام غطرستها الحاقدة وتحرشاتها ومغامراتها الاستفزازية الحمقاء على حقوقه الوطنية الشرعية، تماماً كما يحدث اليوم بين الحين والآخر في العالم العربي ولا سيما في البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي!!.

ففي تلك الفترة المليئة بالأخطار المحيطة من كل جانب نتيجة لسياسة الدول الاستعمارية الغربية الرامية إلى إيجاد أراضي وأسواق ومنافذ وعملاء وخونة، لتنفيذ مخططاتها الاستغلالية في أفريقيا وخاصة في شمال أفريقيا، فقد امتلأت مدن مراكش والجزائر وتونس وطرابلس وبرقة بقناصل لدول أوروبية، أهمهم قناصل فرنسا وبريطانيا وأمريكا. ومهمة الجميع، كما يدلنا التاريخ، العمل على شراء الذمم والبحث عن الخونة وضعاف النفوس وتحريك اليهود لتقويض أسس البلاد وبث الفتن وإشاعة الخوف والإرهاب، تنفيذاً لنوايا الدول الاستعمارية الطامعة في السيطرة على شمال أفريقيا. وقد كوّن لها فعلاً عدد من العملاء من الذين يحبذون سياسة الاستعمار الغربي المدمر لقيم وحياة الإنسان أبداً!!!.

وإزاء هذه السياسة الاستفزازية المليئة خسة ودناءة وخداعاً وغدراً، وهي أسلحة الدول الغربية اللاأخلاقية والتي مارستها منذ سقوط غرناطة، أي في أوائل القرن الخامس عشر، هدفها إيجاد ذرائع أو مبررات كاذبة ومضللة للتدخل العسكري للهيمنة والتسلط الظالم؛ فقد حاولت أمريكا أن

تستولي على مدينة طرابلس بأية طريقة كانت، حتى ولو أدى ذلك الأمر إلى إقامة حكومة صورية في المدينة من أفراد الأسرة القره مانلية المتذمرة بحيث تكون قطعاً موالية ومطيعة لها، لتنفذ تعليماتها وأوامرها من غير مناقشة أو اعتراض على غرار ما هو واقع لدى عدد من حكام أمريكا اللاتينية أو بعض من الحكام العرب اليوم!! وذلك لضمان مرور سفنها التجارية دون عائق ومن غير دفع الرسوم اللازمة للدول المسيطرة على البحر المتوسط.

ومما شجع أمريكا بصورة خاصة على شن سياسة تحمل في ثناياها الغش والغدر التي كانت تمر بها البلاد والشعب في ذلك الحين، أولاً مؤامرات قناصل أمريكا في شمال أفريقيا عن طريق العيون التي بثها هؤلاء القناصل من أجل تحضير خطة عسكرية ضد طرابلس، ثانياً تفشي وباء الطاعون (1785) وثالثاً خلافات الحكم السياسية الخطيرة بين أفراد الأسرة القره مانلية، غير المدركة لعواقبها الوخيمة عليها وعلى البلاد برمتها، والتي أصبحت هدفاً للطامعين من كل الأجناس وفي المقدمة الولايات المتحدة الأمريكية التي أرادت استعباد الشعوب!!.

وجدير بالذكر أن أمريكا حاولت فرض سيطرتها تارة بتوزيع الهدايا على حكام المغرب والجزائر وتونس، وتارة أخرى بحجج كاذبة ومضللة لخلق حالة من الفزع والقلق والتذمر لدى الشعب الأمريكي لابتزاز أمواله عن طريق فرض ضرائب عالية من جهة. وكمبرر مقنع للتدخل العسكري لفرض الهيمنة الاستعمارية على طرابلس الغرب من جهة ثانية!.

وفي هذا الإطار أشار الكاتبان لويس رآيت وجوليا مالكيود في كتابهما «الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا» في القرن الثامن عشر في صفحة 87: «إن مواطني الولايات المتحدة الأمريكية حريصون على الاحتفاظ بحريتهم، ومتشبثون بأملاكهم وأموالهم وهذا ما يجعلهم عديمي الاكتراث،

فيتأخرون عن بذل المجهود في سبيل الاحتفاظ بأحب الأشياء إلى قلوبهم. وعليه فإن الحروب الأوروبية وما رافقها من نهب وتخريب وإتلاف لم يقنعهم بأن موقفهم الشاذ وعدم الأكتراث أو التفكير بالدفاع عن أنفسهم يُلحقان بهم الخزي والعار»!! كان كل ذلك بقصد الحصول على الأموال اللازمة لأجل حماية سفنها التجارية من هجمات ممن يسمونهم في لغة الاستعمار الغربي المستغل البغيض «القراصنة» ولكن في الواقع يعتبرون «حُراس» الحدود سواء كانت بحراً أو بحاراً إقليمية أو أرضاً تابعة للدولة المعنية، وفي حقيقة الأمر ومن خلال التجارب قديماً وحديثاً، ليس هناك مبدع في التضليل والأكاذيب مثل الاستعمار الغربي.

ومما يدعو للأسف أن نوايا أمريكا وأفعالها الاستعمارية الاستغلالية، تكذب أقوالها المضللة؛ فقد كانت تسعى لكي تجوب البحر المتوسط وموانئه من غير اعتراض ولا يُطلب منها دفع ما يحق عليها من ضرائب وغير ذلك من الحقوق الشرعية اللازمة للدولة المستغلة في بحارها وأراضيها وموانيها. كما كانت دوافع أمريكا الحقيقية هي إيجاد ثغرات ومستنقعات ملوثة من الحاشية الحاكمة ممن يستحقون الرشوة لكي تستطيع أن تنفذ منها بحيث يمكنها منافسة فرنسا وبريطانيا وإسبانيا لدى الأسرة القره مانلية. وهي الأسرة التي تلاشت بعد حكم دام أكثر من قرن، بأسباب عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر؛ الأزمات والاضطرابات الداخلية والصراع الدامي بين أفراد الأسرة الواحدة للاستحواذ على حكم البلاد والعباد، وخضوعهم المشين المذل الواحد بعد الآخر إلى نفوذ القناصل الأوروبية المتربصين لاستغلال الظروف السيئة المضطربة للإطاحة بالحكم، وإهمال آمال الشعب الليبي في الاستقرار الأمني والاقتصادي والاجتماعي والعسكري، تجنباً لأطماع الأعداء.

وعلى أي حال، فقد عززت أمريكا قوتها الهجومية نتيجة لما وصفته بالمشاكل التجاربة الأمريكية في البحر المتوسط منذ ديسمبر 1790م، وذلك بناء على مُكاتبات وتقارير وزارة الخارجية الأمريكية إبان تولية الرئيس جفرسون إدارتها في تلك السنة. وبعد عرض هذا الضعف والمشكل على الحكومة الأمريكية لأجل الحصول على الأموال الكافية لإنشاء أسطول حربي قوي يستطيع أن يتصدى قتالياً أساطيل المغرب والجزائر وتونس وليبيا، فقد وافقت الإدارة الأمريكية على إنشاء أسطول ضخم لتفرض سيطرتها بالقوة الغاشمة على قوة شمال أفريقيا البحرية التي كانت الحارس الأمين على سلامة سواحل المتوسط وثغوره من الدول الغربية جميعها التي لم تحترم حرمة شعوب الشمال الأفريقي في أي يوم من الأيام!!.

هذا ونستخلص مما قدمته بشأن أمريكا هو أنه بناء على تقديرات المخابرات الأمريكية في عام 1790م، من أجل توفير الإنفاق على أهدافها الاستعمارية الاستغلالية الظالمة مستقبلاً بجر الشعب الأمريكي إلى حروب جانبية غير حاسمة النتائج؛ فقد التزم قادة المنظمة العسكرية في أمريكا بالخط القائل: إن أمريكا لا تستطيع أن تفرض نفوذها على البحر الأبيض المتوسط بأسطول مجموع قوته (152) مدفعاً، يتلقى امداداته عبر خطوط طويلة جداً ومعرضة للأخطار؛ ويقاتل ضد أساطيل دول شمال أفريقيا جميعاً، وذلك لخنق المعارضة في داخل الكونجرس الأمريكي، وخرجوا من اللعبة المحبوكة بمهارة في كل مرة - بهزيمة صغيرة على مسرح عسكري بعيد، ونصر مدهش على دافعي الضرائب في أمريكا بحيث يسمح لهم بالانفاق على تحسين وتطوير سلاح جديد!! وعليه، فقد انتهت حرب شمال أفريقيا بهزيمة أمريكا. وفوز البحرية الأمريكية بأسطول ضخم وإذن بإنشاء جيش كامل قوي تحت اسم مشاة الأسطول الامريكي، وانتهت الحرب العالمية الأولى والثانية بتحويل الجيش الأمريكي إلى شرطي مسلح يجوب

البحار والأراضي بقنابل ذرية وصواريخ، يأخذ على عاتقه مهمة حفظ الأمن ـ ليس في الولايات المتحدة ـ بل في العالم بأسره[1]!!!.

وأي أمن تحافظ عليه إلّا الكيان الإسرائيلي في المنطقة العربية!!.

(1) أحمد محمد عاشوراكس: (لمحات تاريخية عن النضال الليبي المسلح، ضد غزوات الإسبان وفرسان مالطا والأمريكا والطليان)، (1510 ـ 1970) ـ المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس ـ ص (85 ـ 90).

قيام العدوان
الفرنسي الآثم على دولة الجزائر

من هنا يبرز لنا سؤال يطرح نفسه بشدة. لماذا قامت فرنسا، صاحبة الشعارات الثلاثة؛ (الحرية والإخاء والمساواة) ـ بالعدوان على دولة الجزائر في عام 1830م، مع أن فرنسا بالذات كانت دوماً الدولة المستفيدة مادياً واقتصادياً وعسكرياً من الجزائر؟!.

أولاً: كانت فرنسا تبحث عن ذريعة للعدوان على الجزائر.

وثانياً: لكي نجيب على هذا السؤال لا بد لنا من توضيح الحقائق التالية، التي أدت إلى الغزو والاستعمار الفرنسي!!.

(أ) من المعروف تاريخياً أن القطر الجزائري قد عاش منذ الفتح الإسلامي ـ وقد مرَّ الحديث عنه ـ فخوراً بقوميته العربية متمسكاً بالدين الإسلام الحنيف واعياً للمؤامرات وأطماع الدول المسيحية عليه وعلى بقية الأقطار العربية غرباً وشرقاً من العالم العربي. وقد شارك القطر الجزائري في جميع الأحداث التي تعاقبت على حوض البحر المتوسط، وليس ثمة من يستطيع نكران دوره المتميز الرئيسي في تأسيس الدولة الفاطمية، ثم دولتي المرابطين والموحدين اللتين قامت على أنقاضهما الدولة الجزائرية المستقلة ذات السيادة والمهابة والاحترام، حيث ازدهرت الصناعات، وانتشرت الثقافة وارتقت العلوم والآداب إلى مستوى لم تبلغه دولة أوروبية في ذاك

العهد، وما زالت آثار تلك الحضارة قائمة في القطر الجزائري حتى الآن، فلا سبيل إلى نكرانها[1].

وبالإضافة إلى هذا، فقد أثبتت الوقائع التاريخية أن الجزائر لم تكن إطلاقاً، قبل العدوان البشع عليها، بأقل من أي دولة أوروبية أخرى حضارة أو تقدماً؛ بل لقد كانت الحركة التعليمية قائمة في الجزائر حتى عام 1830م، على قدم وساق فكان يوجد بها حوالي (3000) مدرسة ابتدائية وكانت جامعات الجزائر الأربع الشهيرة خير دليل على ذلك التقدم وهي:

(1) جامعة الجزائر.

(2) جامعة قسطنطينة.

(3) جامعة تلمسان.

(4) جامعة منرونا.

(ب) كما كانت انتصارات الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر قوية تقوم على أسس متينة. وكانت وارداتها التجارية واسعة جداً، وكانت صناعتها المحلية كثيرة الجودة وذات صيت رائع. وكانت مزارعها غنية وتقوم بتصدير الحبوب والفواكه والأصواف. وكان نظامها السياسي والعسكري والمالي والروح الوطنية الصادقة المناهضة للاستعمار مهما تعددت أشكاله من الأمور التي كانت يحسدها عليها الكثير من بلاد أوروبا وفي مقدمتهم الدولة الفرنسية الباغية التي لولا المساعدات الجزائرية بالمال والقمح لأصابها الافتقار الكامل[2]. ولكن كانت فرنسا الحاقدة على هذا

---

(1) كتاب اخترنا لك العدد (8)، (شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل ـ الطبع والنشر ـ دار المعارف بمصر، ص (28).

(2) محمود عبد المنعم مرتضى: (كتاب ـ الجزائر المنتصرة)، العدد 171، الدار القومية للطباعة والنشر ـ مصر ـ ص (12).

التقدم تريد أن تبني مجدها الضائع على حساب الجزائر. (اتق شر من احسنت إليه).

(ج) كانت فرنسا من ضمن الدول الغربية الاستعمارية التي تتسابق لاستعمار البلاد الآسيوية والأفريقية لتصريف منتجاتها، وسعياً وراء التوسع وبسط النفوذ وانتزاع المواد الأولية، لاشتداد المنافسة بينها وبين الانكليز والهولنديين في ذلك الوقت، وفقدانها لكندا والهند، وضياع مصر من يديها، بعد إخفاق حملة نابليون الاستعمارية. وقد كتب وكيل العلاقات التجارية الفرنسية إلى حكومته من ألمانيا، يوصي بأن تعمل على غزو الجزائر قائلاً: «إن الفوائد المادية التي تعود على فرنسا من غزو الجزائر بغض النظر عن ملايين الفرنكات الذهبية التي تزخر بها الخزانة الجزائرية، أجدى وأنفع لفرنسا من كل عمليات الغزو الاقتصادي التي قامت بها حتى الآن». ثم يستطرد معدداً الثروة الطبيعية التي تحتويها تربة الجزائر فيقول: «سهول طيبة ذات خصب عجيب، ومناجم غنية بالحديد والرصاص، وجبال من الأملاح المعدنية وملح البارود، متناثرة هنا وهناك في كل مكان، تنتظر الأيدي التي تقوم على استغلالها...».

كانت فرنسا إبان ثورتها قد أطاحت بطبقة النبلاء والأشراف وجردتهم من أراضيهم، فكان من مصلحتهم فتح أراضي جديدة فيما وراء البحار لتوظيف أموالهم واستعادة سلطانهم ومجدهم الضائع. فكانوا بذلك من العناصر التي دفعت الحكومة الفرنسية إلى العدوان على دولة الجزائر[1].

وقد كانت فرنسا تعاني في ذلك الوقت نقصاً شديداً في المواد الأولية، على أثر حروب نابليون، ولذلك استبدت بها الشراهة لتغتصب ما أمكنها ذلك لبناء اقتصادها على حساب الجزائر!! وخاصة أنها رأت بريطانيا

---

(1) كتاب اخترنا لك العدد (8)، (شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل ـ الطبع والنشر ـ دار المعارف بمصر ـ ص (39، 40).

متقدمة في مجال الصناعة لكونها تملك نواة امبراطورية في الهند وجزر الهند الغربية، محتفظة بها منذ عهد الفتوحات التجارية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

وبالإضافة إلى ما تقدم، فقد طلع فجر القرن التاسع عشر على فرنسا وهي مطرودة من كندا في أمريكا، ومن الهند في آسيا، ومن مصر في أفريقيا، ثم توالت عليها الهزائم في أوروبا في أواخر عهد نابليون، وأخذت أحلامها تنهار في القارة بعد هزيمة نابليون في معركة «ووترلو» عام 1815م، ومن ثم أخذت تحاول إستعادة مكانتها وسلطانها فكان أول ما حاولته في هذا السبيل مهاجمة إسبانيا، غير أنها ارتدت على أعقابها خاسرة، ثم بدا لها في الأفق أمل طالما راودها من قبل، وهو غزو الجزائر، وقد بدا لها هذا الأمل أقرب منالاً مما كان في عهد مضى، بعد أن خلا العرين من آساده، بارتحال المجاهدين من أهلها، الذين طالما دفعوا عنها الشر وردوا العدوان، وكانوا قد أبحروا بأسطولهم في عام 1827م، لمساعدة الأسطولين التركي والمصري في حرب الموره. وهي معركة نافاران في 20 أكتوبر 1827م/ 1243هـ: جرت في المياه اليونانية قرب جزيرة الموره. وقد تجمع الأسطول الانكليزي والفرنسي والروسي لمساعدة اليونان التي كانت تطالب بالاستقلال عن تركيا، فوقعت المعركة للقضاء على القوة التركية والمصرية في تلك الجزيرة، فخف الأسطول الجزائري لنجدة الأسطولين التركي والمصري، ولكن دارت الدائرة على الأساطيل الثلاثة، فابتلعها اليم بمن فيها من أبطال مغاوير!! وفقدت الجزائر بذلك معظم وحداتها البحرية الضخمة، وكثيراً من وحداتها الخفيفة في سبيل نجدة أشقائها في الإسلام.

وهكذا خلا الجو لفرنسا، بعد أن تحطم الأسطول الجزائري الذي كان يقف لها بالمرصاد، فأعدت عدتها، وأخذت ترقب الأحداث وتتحين الفرص حتى كانت حادثة القنصل الفرنسي المفتعلة في يوم 27 إبريل سنة

1827م الموافق ليلة عيد الفطر حيث ذهب دوڤال قنصل فرنسا بالجزائر إلى قصر الداي ليقدم فروض التهاني، فسأله الداي بهذه المناسبة: لماذا لم يتفضل ملك فرنسا شارل العاشر بالرد على الكتاب الذي أرسله إليه بشأن القروض المالية والعينية التي أمدها الداي لفرنسا عن طريق يهوديين يتمتعان بالرعوية الجزائرية وهما كوهين باكري، والآخر ميشيل بوشناق[1]؟.

فلم يكن جواب القنصل إلّا أن قال في صلف وكبرياء: إن مليكه لا يتنازل إلى حد الرد على داي الجزائر!!! فثارت ثائرة الداي عندئذ وكانت في يده مروحة من ريش النعام، فأشار بها في وجه القنصل وهو يصيح به أن يخرج، فمست أطراف المروحة وجه القنصل الفظ. وخرج من حضرة الداي صاخباً حانقاً محتجاً!! وكان ذلك في نظر فرنسا التي كانت تبحث على أي ذريعة مهما كانت تافهة تعدها مبرراً كافياً لتبعث إلى الجزائر بجيش جرار، دون سابق إنذار أو إعلان حرب في 19 يونيو 1830م.

وفي ذلك اليوم نزلت جحافل فرنسا في مرسى سيدى فريج فأمر الوالي رجاله بإخلاء الحصن، حقناً للدماء، وليشهد الضمير العالمي على الغدر الذي يبيته الفرنسيون لبلد عربي مسلم.. وكان يوماً تلته أيام وسنون، شهدت كفاح الشعب الجزائري في سبيل استرداد حرياته التي سلبها المستعمر الفرنسي الغاشم، والذي أراد على لسان وزير حربية فرنسا في ذاك العهد، أنه يجب القضاء على الشعب الجزائري، أو على الأقل تشريده في داخل البلاد، وإحلال جاليات أوروبية محله في المدن والقرى الساحلية، بحيث تصبح المقاومة الجزائرية ميئوسة منها[2] [*].

---

(1) نفس المرجع: ص، (33).

(2) نفس المرجع: ص، (34).

(*) انظر صفحة 97 في شأن هذه السياسة الاستعمارية البغيضة.

هذا ونعود إلى تفاصيل مؤامرة فرنسا بالتواطىء مع اليهوديين كوهين باكري وميشيل بوشناق بشأن تماطل الحكومة الفرنسية لسنوات عديدة في وفاء ما في ذمتها من ديون متراكمة للجزائر. فتزعم فرنسا التي دفعت لليهوديين الوسيطين المال، وفرّا إلى باريس واستقرا بها، بعد أن نفذا المؤامرة، أن أثمان السلع التي قدر الدين على أساسها مبالغ فيها، وتدعى حيناً آخر أن السلطات الفرنسية لم تتسلم هذه البضائع، وتصم أذنيها عندما تقوم الجزائر بمطالبة حقها، فلا تسمع ولا تجيب!! ولأنها كانت تعتمد على القوة!!.

في هذا الخصوص أجدني مدفوعاً إلى أن أسرد قصة اليهوديين كما جاء في كتاب (المغرب - الجزائر - تونس) للمؤلف ريشارد بريس - ص - 34 - «في عام 1797م زود التاجران اليهوديان - باكري وبوشناق - أحدهما في الجزائر والآخر مقيم في مرسيليا - الجيوش الفرنسية بأوروبا بالقمح الجزائري، بشرط السداد بالأجل مع ارتفاع سعر الفائدة. وعندما عجز اليهوديان عن الوفاء بالتزامهما في الجزائر حسب الاتفاق، تدخل الداي حسين في موضوع الدين، إلَّا أن القضية ظلت قائمة وقتاً طويلاً بحجج زائفة بإيعاز من الحكومة الفرنسية في عهد الملك شارل العاشر. وقد كان على اليهوديين - باكري وبوشناق - أن يقوما بسداد الدين في الجزائر عندما تسدد فرنسا دينها. وتظاهرت فرنسا أنها سوف تقوم بسداد ما عليها من الديون غير أن الداي ظل في انتظار نقوده دون جدوى. وفي عام 1827م اتضح أن أحد التاجرين يعقوب باكري، شريك بوشناق، قد خدع الداي حسين بناء على تعليمات الحكومة الفرنسية لحاجة في نفسها الغادرة التي كانت تحمل في ثناياها الغزو والعدوان ضد الجزائر التي كانت دائماً عوناً قوياً لفرنسا بالذات في مراحلها الحرجة اقتصادياً ومالياً!!.

وقد استدعى الداي قنصل فرنسا، ديڤال، وقال له: «هل أنا مسؤول عن الالتزامات التي تعاقد عليها اليهوديان؟ فإذا كان الدين المستحق لملك

فرنسا من أي جزائري، فإن العدالة تقتضي أن يسدد الدين المستحق في خلال أربع وعشرين ساعة».

فكتب الداي حسين بعد ذلك إلى ملك فرنسا رأساً طالباً إرسال اليهودي باكري إلى الجزائر. وعند زيارة القنصل ديڤال للداي، سأله الأخير «لماذا لم يكتب وزيرك إلي رأساً؟ أنت مسؤول عن هذا الذي حدث. فأجاب ديڤال بشيء من الغطرسة»: «إن حكومته لن تكتب للداي!! وقد اعتبر رد القنصل الفرنسي إساءة متعمدة وغادرة. عندئذ أمر الداي حسين أن ينصرف القنصل. وعندما تحرك القنصل ببطء شديد. قام الداي بالتعجيل برحيله بثلاث ضربات من مضرب الذباب».

بعد هذا الحادث، كتب ديڤال إلى بلاده قائلاً: «إنه هو وفرنسا قد ضربا بمضرب الذباب، مطالباً بقصاص شديد».

ويا لها من مؤامرة غادرة ومكيدة استعمارية قذرة، نفذتها فرنسا بمعاونة اليهوديين كوهين باكري وميشيل بوشناق اللذين كانا على اتصال بقناصل أمريكا في شمال أفريقيا، وذلك حسب ما جاء في كتاب لويس رايت وجوليا ماكليون (الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا) بشأن خدمات شركة باكري وبوشناق لأمريكا في ليبيا والجزائر ص 129.

ويسرد المؤلف المؤامرة الفرنسية ضد الجزائر فيقول: «وقد حدث فيما بعد أن حاصرت فرنسا ميناء الجزائر لمدة ثلاثة سنوات، وقد أضر الحصار بفرنسا وامبراطورها أكثر مما أضرَّ بالجزائر والداي. فقد جنحت السفن وقتل بحاروها نتيجة لاستخدام بطاريات الساحل الجزائري السفن الفرنسية كأهداف تدريب. وأشد ما ساء فرنسا هي تكلفة الحصار الذي بلغ (7,000,000) ملايين فرنك سنوياً. وكانت الالتزامات الفعلية الفرنسية للإمدادات، قد بلغ قيمتها(24,000,000) مليون فرنك، اعترفت فرنسا

بسبعة ملايين منها عام 1819م، حيث سددت منه (4,500,000) فرنك، وأودعت (2,500,000) فرنك لمواجهة المطالبات المتشابكة».

هذا وقد كان الحصار لمدة ثلاثة سنوات بتكلفة قدرها سبعة ملايين فرنك سنوياً. بينما المغامرة الاستعمارية بأكملها كانت تقوم على الاستدانة. ورغم إخفاق الحصار في يناير 1830م، فقد أمر ملك فرنسا شارل العاشر بإرسال جيشه ضد الجزائر. وقد قال الأمير ميترنخ السياسي النمساوي: «إنه ليس للمرء أن ينفق مبلغ (100) مليون فرنك ويخاطر بأربعين ألف جندي من أجل ضربة من مضرب ذباب»!!!.

ومما لا شك فيه أن المقصود من تلك الذريعة الغادرة. هو تنفيذ أطماع فرنسا في الجزائر والتي كانت تسعى إليها منذ عام 1541م، وهي تحاول غزو البلاد تحت أي عذر وإدعاء كاذب. ومهما حَجم حُجم هذه الأكذوبة، فهي كانت تسير وفق القاعدة التي تقول: «كلما كانت الأكذوبة أكثر بشاعة، كلما لزم مضاعفة تكرارها مراراً. ولا يتقن هذا النهج غير الأخلاقي سوى الامبريالية الأوروبية الغربية القديمة والحديثة التي تمكنت عن طريقه شن العدوان والغزو وضم أراضي الآخرين، ثم فرض السيطرة عليها ظلماً وعدواناً. وذلك لنهب وسرقة ثروات البلدان المستعمرة.

وهكذا تلاحقت المؤامرات والدسائس والأكاذيب الواحدة تلو الأخرى دون توقف ضد الجزائر التي وقفت بمفردها ضد فرنسا التي كانت في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر أقوى أمم الأرض وأكثرها سكاناً إذ بلغ عدد سكانها 25 مليوناً، وهو عدد عظيم لم تكن عليه دول أوروبا في ذلك الوقت، وبذلك تفاءل الساسة الأوروبيين بالاتجاه الجديد الذي سارت فيه فرنسا ووجدوا أن من مصلحة السلام والأمن في القارة الأوروبية تشجيع هذا التوسع والتزام سياسة الصمت إزاء هذا العدوان السافر لأنه سيؤدي إلى

شغل قوى فرنسا البحرية وإلى توزيع جهودها الحربية في ناحية لا تضرهم، ولا سيما أن فرنسا قد أسكرتها ذكريات الانتصارات الماضية إذ وجدت مجالاً لنشاطها الحربي في بلاد بعيدة عن القارة الأوروبية بعد أن دوخت أمماً كثيرة بحروب دامت جيلين ـ فارتياح أوروبا إذن لعدوان فرنسا على دولة الجزائر كان لأكثر من سبب واحد[1]!!.

هذا وفي الوقت الذي كانت فرنسا تستعد للعدوان على سيادة الجزائر، كانت حالة العالم العربي والإسلامي لا تبشر بخير ولا تبعث على التفاؤل الأمر الذي جعل فرنسا تقدم على عمل إجرامي بلا مبالاة. ودون أن تحسب حساباً للمساعدات المادية والعسكرية التي كان من المفروض دينياً وقومياً أن يقدمها العرب والمسلمون إلى الشعب الجزائري في محنته وهو يواجه عدو شرير خطط لأجل أن يعصف بأمن الجزائر أرضاً وشعباً ـ كانت الساحة العربية والإسلامية إذ ذاك، كاحلة رديئة وعاجزة عن مواجهة العدوان الفرنسي العسكري الصليبي! فهذه الدولة العثمانية قد دب الفساد في أوصالها، وأصابها الإنحلال وعمت فيها الفوضى، حتى أطلق عليها الساسة في أوروبا اسم «الرجل المريض» فلا خوف إذن من ناحيتها، ولا ينتظر منها خيراً أو مساعدة، إذ كان همها أن تكافح لتبقى، وأن تحول دون مهاجمة الذئاب الجائعة لأراضيها!! وأما مصر في عهد محمد علي الذي كان شبه حليف لفرنسا ومديناً لها بولايته لمصر، كانت في شغل شاغل بفتوحاتها في الشرق العربي لا يمكنها مد يد المساعدة للجزائر ـ بقي بعد ذلك جارتا الجزائر تونس ومراكش حيث كانتا كلتاهما أضعف شأناً وأخف وزناً من أن تثيرا مخاوف فرنسا أو تشغلا بالها ومن ثم لم تقم لهما أي اعتبار!! وأما ليبيا بعد سقوط الأسرة القره مانلية بالشكل المعروف تاريخياً، صارت ميداناً

---

(1) محمود عبد المنعم مرتضى: (كتاب ـ الجزائر المنتصرة)، ص (19).

للتناحر المؤسف بين الشعب والسلطة التركية الحاكمة في عام 1835م، بسبب سوء تصرف الولاة في البلاد الغارقة في بحار الأحزان والتعاسة، والخوف من أطماع ومؤامرات الاستعمار العالمي الغاشم والولايات المتحدة الأمريكية التي ترمي إلى وضع البلاد تحت أقدامها، وما عدوانها الآثم في عام (1801 ـ 1805) في مستهل القرن الثامن عشر إلّا دليلاً على نواياها الإجرامية!![1] وبرهنت أمريكا أنها فعلاً عدوة العرب!!.

ففي هذه الظروف القلقة وقفت الجزائر بمفردها لتواجه العدوان الفرنسي الاستعماري الاستيطاني الظالم والمرتكز على عدد من الأسباب منها على سبيل المثال لا الحصر، النقاط التالية:

(1) إسقاط الحكومة الجزائرية مهما كان الأمر.

(2) توطيد مركز الدولة الفرنسية وكسب تأييد الرأي العام المسيحي في سائر القارة الأوروبية.

(3) السيطرة الاستعمارية على شمال أفريقيا بالنظر إلى ما يمكن أن يكون عليه الشمال الأفريقي من أهمية كبيرة جداً بالنسبة إلى الغرب بسبب اليد العاملة الرخيصة والمواد الخام الاستراتيجية والغلات الزراعية الضرورية للشعوب الأوروبية والسوق المناسبة لتصريف جميع المنتجات الاستهلاكية الزائدة مع استغلال القطر الجزائري واستثمار رأس المال البشري الجزائري بكل الامكانيات. (حسد وحقد ونهب ولصوصية واضحة).

(4) اعتبار القطر الجزائري ميداناً صالحاً لتدريب الجيش الفرنسي ومباشرة أعمال حربية تدريبية به تكمل تقوية وتطوير الجيش ليكون دائماً على استعداد للعدوان على الآخرين!! (ذئاب متوحشة).

---

(1) نفس المرجع: ص (17).

(5) الحرب ضد الجزائر سوف تفتح لها فرصة للتخلص من عدد كبير من العاطلين والمشاغبين غير المرغوب في بقائهم في فرنسا!! (هذه هي حضارة فرنسا بصورة خاصة).

إذن، من الواضح أن الحملة الجزائرية التي جندت لها فرنسا 8 جنرالات يقودون أسطولاً عظيماً يتكون من أكثر من مائة سفينة حربية ويزيد على المائتين من سفن النقل وثلاثة آلاف مقاتل، وطبيعي لم يكن كل ذلك الاستعداد الحربي العدواني من أجل إرضاء شرف فرنسا وكبريائها التي قيل: إنها أهدرت من ضربة مضرب ذباب!!! في وجه قنصلها المتغطرس، ومع ذلك كان الداي في سبيل الاعتذار، ولكن في حقيقة الأمر كانت المؤامرة ضد سيادة الجزائر جاهزة وفق خطة محكمة وضعت منذ وقت طويل لأجل جعل الجزائر فرنسية!!!

ويدلنا التاريخ للكفاح الجزائري المسلح ضد قوى الاستعمار الإسباني والفرنسي، أن الأخير عندما فقد مستعمراته في أمريكا الشمالية ومقاطعاته في الهند في حروبه، بالإضافة إلى اضطرابات الثورة الفرنسية في فرنسا، أخذت الحكومات الفرنسية تتآمر طوال مائة السنة السابقة على اغتصاب القطر الجزائري، لأجل ان تسترجع مكانة فرنسا بين الدول الأوروبية الأخرى!!.

وهكذا بعد هذه الوقائع الواضحة التاريخية التي جعلت فرنسا في يوم 5 يوليو 1830م، تُقدِم على غزو الجزائر، والتزام الدول الأوروبية الصمت إزاء هذا العدوان السافر، واغتنام فرصة مغيب الأسطول الجزائري في معركة (نافاران)، فإننا نستطيع أن نجيب على السؤال المطروح: لماذا قامت فرنسا بالعدوان على الجزائر.. فقد واجهت فرنسا مقاومة شعبية عنيفة في المدن والقرى والجبال والوديان حيث لعبت جغرافية هذه المناطق دوراً إيجابياً هاماً في المقاومة ضد العدوان الصليبي الظالم والذي لقي صدى لدى جل الدول الأوروبية ومعها البابا بيوس الثامن الذي سمح لفرنسا باستخدام

موانيه، وسمح كذلك ملك نابولي للتجار بتزويد الجيش الفرنسي بالقوارب التي يحتاجها[1]. وهكذا نرى كيف تكتل المسيحيون ضد المسلمين! فقد كانت الذرائع التي ارتكز عليها العدوان الفرنسي الهمجي على دولة الجزائر هي كما جاءت في كتاب «فارس الجزائر ـ الأمير عبد القادر ـ ص 135 ـ 142»[*]: «إن هناك غرضين للحملة العسكرية ضد الجزائر ـ أولهما: يخص فرنسا وحدها وهو الانتقام لشرف الراية الفرنسية والحصول على ما يضمن عدم الإعتداء على ممتلكات فرنسا وعلى الحصول على غرامة حربية تعوضها عن نفقات حرب لم تكن هي المسببة لها!! وأما الغرض الثاني فهو يهم المسيحية كلها، وهو إلغاء الاسترقاق والقرصنة واللزمة التي ما تزال أوروبا تدفعها للنيابة.!! وأعلنت مذكرة فرنسا للدول الأوروبية إن فرنسا لن تضع السلاح ولن تسحب قواتها قبل أن تحقق أهدافها!!».

وقد كانت الحكومة الانكليزية في ذلك الوقت الدولة الوحيدة المعارضة لنوايا فرنسا في الجزائر أنها لم تتراجع الحكومة الانكليزية عن ضغطها وإلحاحها في الحصول على تعهد صريح بعدم احتلال الجزائر احتلالاً عسكرياً، ولم تكف عن التهديد بأن البحرية الانكليزية لن تقف مكتوفة الأيدي. ولكن الحكومة الفرنسية التي حشت حملتها بالأكاذيب الصرّاخة والافتراءات التي لا وجود لها في أرضية الواقع، لم تكترث للتهديد الانكليزي الشفهي، وظلت متمسكة بموقفها الظالم رافضة تقييد نفسها بتعهد وكان شارل العاشر يرى أن الدولة الإنكليزية «تُبلف» وأن هذا «البلف» يجعل الوضع كما هو حرجاً وليس مقلقاً!!.

---

(1) العماد مصطفى طلاس: (كتاب ـ فارس الجزائر ـ الأمير عبد القادر) طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ سوريا ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ـ أذار ـ مارس 1984م، ـ ص (139 ـ 140).

(*) للمؤلف العماد مصطفى طلاس.

هذا واستخدمت انكلترا كل إمكاناتها في إقامة العقبات بوجه الحملة، ونشط قناصلها في تونس وطرابلس ولا سيما في اسطنبول. وحاول أبردين أن يقنع السلطان العثماني بأن عليه أن يعاقب بنفسه تابعه، ويلغي بذلك كل ذريعة للتدخل الفرنسي. وألحَّ عليه أن يرسل شخصية كبيرة تحل محل الداي في التفاوض مع فرنسا، وبهذا لا تجد فرنسا أمامها الداي حسين بل السلطان نفسه. وتمت الموافقة، بضغط من انكلترا، على إرسال طاهر باشا وكلفه بالتخلص من الداي واستئناف المحادثات مع فرنسا، إلّا أن فرنسا قد سبق لها أن أعلنت أنها لن تقبل أية وساطة للباب العالي، وإنه في الوضع الحالي على المفاوضات أن تفسح المجال للسلاح!! وماطل السفير الفرنسي في منح طاهر باشا جوازاً، ولم يمنحه إلّا عندما قدر أنه سيصل متأخراً. وعندما وصل طاهر باشا أمام الجزائر في 20 من أيار ـ مايو بعد سفرة بطيئة رفض خلالها باي تونس السماح له بالنزول إلى البر التونسي والمرور بالبر إلى الجزائر، ولم يستطع اختراق الحصار بعدما رفض قائد أسطول الحصار الفرنسي السماح له بدخول الجزائر(1).

فإذا انتقلنا إلى موقف الدول الأوروبية، نجد أن فرنسا لم تلق أية معارضة سواء ما ذكر سلفاً عن انكلترا. ولكن أعلنت الحكومة الروسية «أنها ستنظر بسرور إلى ما تقوم به فرنسا في الجزائر بحيث تؤمن إلى الأبد سلامة الملاحة في المتوسط». ووافقت إسبانيا طلب حكومة فرنسا جارتها باستخدام موانيها في مشروع يفيد كل الدول المسيحية!!! ووافقت أيضاً على السماح بتموين الأسطول الفرنسي من موانيها وإقامة مستشفى عسكري في جزر الباليار.

هكذا رأينا كيف أن الدول المسيحية وقفت مع فرنسا تؤيدها على

(1) نفس المرجع: ص (140 ـ 142).

ارتكاب عدوان آثم لا مبرر له إلّا لكونها قد اتخذت الباطل دخلاً - فقد جعلت فرنسا الباطل مطية لنفسها!! وصارت الدول الأوروبية جميعها على منوالها دون أن تخشى أحداً! لأن العرب كانوا شذر مذر!.

أما الحكومات في شمال أفريقيا، ما عدا طرابلس، فقد أتخذت موقفاً مؤيداً لفرنسا، مخالفة بذلك اتجاه الرأي العام فيها. كان قنصل فرنسا في تونس يتمتع بنفوذ كبير لدى الباي لم تستطع دسائس قناصل انكلترا وسردينيه والولايات المتحدة إضعافه. وكانت فرنسا قد أبلغت باي تونس حسين باشا بما تنوي عمله وحذرته وخوفته وقالت له: «... إن أردت الأمان على بلادك فكن في هذه النازلة حبيباً للفرنسيين، وإن أعنت الجزائر من البر تكن حرباً لنا مثلها...» وكان باي تونس يكره الداي ويأمل أن يفيد من القضاء عليه في إحلال أخيه محله في الجزائر، بمساعدة قنصل فرنسا، أو على الأقل في توسيع رقعة تونس على حساب الجزائر!! ولهذا وبرغم تعاطف الرأي العام التونسي مع الجزائر، اتخذ الباي موقف حياد إيجابي لصالح الحكومة الفرنسية وذلك حين سمح لقوات الحملة الفرنسية بالتمون بالمواشي من تونس، ومنع تهريب البارود من طبرق إلى قسنطينة، ومنع مرور الجند الأتراك من تونس إلى الجزائر. وعندما نزلت الحملة الفرنسية إلى البر الجزائري أرسل بعثة لتهنئة وزير حربية فرنسا بو مونت الذي خان نابليون في معركة واترلو وانضم إلى الحلفاء، (إذن «إن الطيور على أشكالها تقع»).

وكان موقف سلطان المغرب شبيهاً بموقف باي تونس، وكان يأمل أن يسمح له إنهيار السلطة التركية في الجزائر بالتوسع في غرب الجزائر!! ولم يكن يدرك أبعاد الحملة والمخاطر التي سيجرها على المغرب وجود الفرنسيين في الجزائر. وهكذا أعلن صراحة حياده لنائب قنصل فرنسا في طنجة، وسمح للفرنسيين بالتموّن من موانيه كما فعلت تونس!! أما موقف

الشعب المغربي فقد كان مغايراً، إذ أنه خشي أن تكون هذه الحملة صليبية ضد المغرب العربي كله[1].

هذا ولا نبالغ إذا قلنا أن من يعتمد على أعداء العرب والمسلمين، آيل لا محالة إلى السقوط الحتمي آجلاً أم عاجلاً، ولنا في التاريخ القديم والمعاصر خير شاهد على هذا السلوك الخياني في الوطن العربي برمته!!!.

فمثلاً، في سنة 655هـ ـ 1257م، بعث السفاح هولاكو بأحد جواسيسه إلى علاء الدين ابن العلقمي وزير الخليفة العباسي المستعصم بالله ليجعل منه جاسوساً تطبيقاً للسياسة التي جرى عليها التتار في اصطناع العملاء قبل الهجوم على بلد من البلاد. ونجح هولاكو في ضم ابن العلقمي إلى عملائه حيث كان ينقل إليهم: أي: إلى التتار أخبار البلاد، بل تمادى هذا الوزير الخائن نتيجة لحقده على العباسيين السنيين. ولقد كان هناك انقسام مذهبي بين الشيعة والسنة وهو الأمر الذي أدى إلى تمزق وضُعف وحدة العالم الإسلامي، هذا وأخذ هذا الخائن يبث الرعب في نفوس الشعب من الحقد التتار الأسود، مدعياً بأنهم قوم لا يهزمون! وكان ينصح الخليفة العباسي بأن يسرع ويصالح التتار من أجل مصلحة العراق! وفي ذات الوقت كان الخائن يكتب لزعيم التتار هولاكو حاثاً أياه على فتح العراق، طالباً منه أن يعيِّنه نائباً له في العراق!! وذلك ثمن الغدر والخيانة. ويا له من عار يبقى مدون في التاريخ إلى يوم الدين.

وتحت إلحاح الخائن العلقمي توجه الخليفة لمقابلة هولاكو الذي أنزله في خيمة منعزلة عن المعسكر. كما استدعى العلقمي الفقهاء والأعيان بحجة عقد قران بنت هولاكو على ابن الخليفة!! وعندما حضر الفقهاء والأعيان

(1) نفس المرجع: ص، (143).

أمر السفاح هولاكو بضرب أعناقهم جميعاً. ثم وضع الخليفة وابنه في بساط وأمر أتباعه برفسهما حتى ماتا كلاهما!!.

ورغم ما عرف عن التتار بأنهم أهل قتل ودمار، وأنهم لا يحترمون المواثيق ولا العهود لأنهم أهل غدر وخيانة، مثلهم مثل اليهود الصهاينة اليوم، فإن العديد من الخونة الأمراء والقضاة ممن باعوا ضمائرهم وفقدوا صوابهم ورشدهم وعروبتهم كانوا قد انضموا إلى هولاكو ضد بلادهم في سبيل الجاه والكرسي!! ولكن الله سبحانه وتعالى: يُمهل ولا يهمل. فجاءت معركة عين جالوت الخالدة، انهت همجية التتار وأنزلت العقاب الصارم بالخونة من عملاء التتار إلى الأبد. وأنقشع ضباب التتار الكالح بالوحدة العربية.

وعلى ذكر العمالة والخيانة، فهل حقاً إن التاريخ يُعيد نفسه؟ فقد ضاعت الأندلس على أثر العمالة والخيانة وخلافات الحكام العرب المسلمين، وضاعت الإسكندرونة، وكذلك فلسطين العربية نتيجة للعمالة والخيانة، وخلافات الحكام العرب!! ولقد كانت تجزئة الدول العربية في عام 1947/ 1948م، هي السبب الرئيسي للنجاح الصهيوني غير المتوقع، تلك التجزئة التي كانت تحمل في طياتها عوامل الغيرة والحسد!! فعلى الرغم من الكلمات البراقة والخطب البليغة حول الوحدة والإخاء العربيين فإن السياسة العربية كانت تدار على محور المصالح الشخصية الخاصة للأفراد والعروش الصغيرة. ففي مصر، قبل ثورة 23 يوليو 1952م، كان يخشى من أن ينتهز الملك الهاشمي عبد الله الفرصة لتوسيع ملكه وسلطانه! وفي هذه المهزلة العربية لم تكن حرب فلسطين حرباً بين العرب واليهود الصهاينة، بل كانت في نفس الوقت حرباً بين مصر في عهد ملكها فاروق وبين الأردن في عهد ملكها عبد الله!! وهكذا كانت الحرب ضد اليهود

الصهاينة عبارة عن تمثيلية أمام الشعب العربي من الخليج إلى المحيط المغلوب على أمره[1].

وقد تظاهر حكام العرب الآخرون واطمأنوا لحماسة حكام بغداد وعمان ومصر لإنقاذ عرب فلسطين من براثن العصابات الصهيونية في عام 1948م. ولكن الواقع المر كان يشير إلى أن المعارك كانت مرتجلة أولاً وثانياً إن حكام بغداد وعمان ومصر متآمرون مع الانكليز ومتفقون مع اليهود الصهاينة على الوقوف بقواتهم على خط التقسيم الجائر الصادر في 9 نوفمبر 1947م. وعدم الاشتباك مع العصابات اليهودية في حرب جديدة!! ومثّل الحكام العرب أدوارهم الموزعة عليهم بإتقان، فوعود من هنا ووعود من هناك، وخطب من عمان وتصريحات من الجامعة العربية، ونداء من بغداد وبيان من اليمن السعيد، إلى أن طارت فلسطين العربية!!.

وخلاصة القول أنه بالنظر إلى الأحداث السلبية والمواقف الاستراتيجية العربية السيئة التي يصعب حصرها في بحث واحد نظراً لطبيعة تشعبها، فإنني أقول: إن التاريخ العربي يعيد نفسه فعلاً. فبالأمس ترك العرب الجزائر تقاوم العدوان الفرنسي الهمجي، وضاع الأتراك في الأندلس وباعوا ليبيا للطليان، ولكن يبقى أن نكون على بينة بأنه سوف يتغير كل شيء في هذا العالم عاجلاً أم آجلاً، كما تغير كل شيء في أوروبا الشرقية من الهيمنة الشيوعية، فلا بد أن يتغير العالم العربي؛ ومع ذلك سوف يظل التاريخ يردد ذكر خيانات الحكام العرب الذين تآمروا ووضعوا العراقيل والعقبات أمام

(1) أحمد محمد عاشوراكس: (كتاب ـ الإعلام العربي بين المطرقة والسندان)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ـ الجماهيرية ـ العدد 113 ـ 1987، ص (132 ـ 144/ 146).

شعوبهم المكافحة لتأخذ الثأر ضد الاستعمار القديم والحديث وربيبتهما (إسرائيل) التي قامت في الوقت الذي كانت الأقطار العربية مزارع للاستعماريين وعملائهم من الحكام العرب بعد الحرب العالمية الأولى(1).

هذا ومما لا شك فيه ليس هناك مثل المكاشفة والمحاسبة وقول الحقيقة دون لف أو دوران بحيث تكون تفاصيلها مصابيح مضيئة تنير الطريق لنستخلص منها العبر والمعاني التي وقفت حجر عثرة أمام طموحات وآمال ونضال الشعوب لتعيد مجدها وكرامتها وشرفها ونصرها على أعدائها من الاستعماريين والصهاينة والعملاء الذين يسعون بهدف العودة بالعرب المسلمين إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية(2)!! وقد ورد في القرآن المجيد قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: 109]؟.

العدوان الفرنسي وآثاره المأساوية:

هذا ولو كانت الوحدة العربية الإسلامية قائمة حقاً بالإيمان والإخلاص لها، ما كان العدو الفرنسي الآثم ينفرد بدولة الجزائر ويشن عليها حرباً شاملة مدمرة، أكلت الحرث والنسل، وانطوت على ألوان من التنكيل والتعذيب الوحشي، يندى لها جبين الإنسانية(3). ويهمنا أن نورد هنا بعض الفقرات الدالة على حقد رجالات فرنسا نحو الجزائر ـ أرضاً وشعباً ـ والتي عرفت العقلية الاستغلالية التي قام عليها الاستعمار الفرنسي العنصري طيلة 130 سنة دون انقطاع، متوهماً أن أكاذيبه لربط الجزائر بفرنسا سوف

(1) كتاب (شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل)، العدد 8، ص (34).
(2) نفس المرجع: ص (43، 44).
(3) نفس المرجع: ص (35، 36).

تستمر إلى ما لا نهاية، غير أن رجالات فرنسا قد غاب عنهم، أن الهدوء الذي كان سائداً نوعاً ما في الجزائر، بعد كفاح مرير طويل، هو ذلك الهدوء الذي يسبق دائماً العاصفة. وهبت فعلاً العاصفة الجزائرية المباركة في عام 1954م، قوية بدرجة أنها جرفت الاستعمار ومرتكزاته المادية والمعنوية كلية ودفنتها في زبالة التاريخ الفرنسي المشين إلى الأبد.

وقبل بدء الاحتلال الفرنسي اللعين: قال وزير حربية فرنسا في ذلك الوقت أنه يجب القضاء على الجزائر، وقد تعهدت فرنسا، بدء من مليكها إلى رجالات الدين المسيحي، بالعمل على نشر المسيحية بين سكان أفريقيا وردِّهم إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية! وتلقى الملك شارل العاشر تقريراً من وزيره (دوق دي كلير مون تونير) وزير حربية فرنسا في ذلك العهد الأسود، ورد فيه: «أخذاً بثأر تلك الإهانة التي لحقت بممثل فرنسا، وإرضاءً للمسيحيين، وذلك بإبادة المسلمين، أشد أعدائهم طغياناً». ثم نوه هذا الوزير في تقريره الظالم: «إنها المشيئة الإلٰهية التي قضيت بأن تنادي سليل القديس لويس ليأخذ بالثأر، وليقتص للدين وللإنسانية!!، وليغسل عار الإهانة (طبعاً المفتعلة) التي لحقت به هو بالذات». وفي خطاب العرش الذي ألقاه الملك شارل العاشر في مجلس النواب والشيوخ مجتمعين يوم 31 يناير 1830م، جاء فيه: «وسترون أيها السادة أن التعويض الضخم الذي ستحصل عليه حكومتي، رداً لشرف فرنسا، سيؤول بحول الله وقوته، لإخواننا في الدين المسيحي (الاستعمار الغربي واليهودي اتخذا الدين للعدوان على العرب)! أما الجنرال دي مون الذي تولى قيادة الحملة البرية على الجزائر، قال في بيانه الموجه إلى الوعاظ المرافقين للجيش في إحدى المناسبات الدينية: «لقد جئتم لتعيدوا معنا فتح الباب على مصراعيه لتدخل المسيحية أفريقيا، وإنا نأمل أن تعم هذه الربوع قريباً، لتعمل من جديد على ازدهار المدنية التي انطفأ مصباحها منذ عدة قرون»!!.

وبعكس المسلمين المستهدفين من قبل الغزاة الأوروبيين الغربيين المتعطشين لدماء المسلمين الذين يتميزون بالشرف والشهامة والنبل والكرامة التي غرسها فيهم الدين الإسلامي الحنيف سواء كان حاكماً أو محكوماً، واستكنت في وجدان العربي المسلم التقي، القيم النبيلة والقيم السامية التي علمها الخليفة أبو بكر الصديق لقائد جيشه، يزيد بن أبي سفيان، عندما قال له: إني موصيك بعشر: «لا تقتل امرأة، ولا صبياً ولا كبيراً ولا هرماً ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلّا لمأكل، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه، ولا تغلل». وهكذا كان المناخ وطلائع الإسلام في الحكم دائماً. إن قهر المسلمين ذكوراً وإناثاً وشيباً وشباباً وإجبارهم على الاستسلام والتركيع إلى حكمهم الجائر العنصري المستبد بالقوة، هو في صلب استراتيجية الاستعمار الغربي والعصابات اليهودية الحاقدة المعادية لحقوق الإنسان في أرض فلسطين العربية منذ عام 1947م.

وفي معرض نقدنا لتصرفات الاستعمار الفرنسي البربري، نقرأ ما جاء في مقتطفات من التقرير الرسمي الذي رفعته لجنة التحقيق التي أوفدها شارل العاشر ملك فرنسا إلى الجزائر بتاريخ 7 يوليو/ 1833م، أي بعد الاحتلال بثلاث سنوات[1]، يلاحظ أن هناك تشابهاً بين أعمال فرنسا وإسرائيل اليوم. . يقول التقرير: «لو تأملنا ملياً كيف كانت قوات الاحتلال تعامل الأهالي الوطنيين، لاتضح لنا جلياً أن مسلكها لم يكن يتنافى مع أبسط قواعد العدالة فحسب، بل كان يتعارض كذلك مع ما يمليه العقل والحكمة». . . ولقد اهدرت السلطات الفرنسية حقوق الشعب، وداست مقدساته وسلبت حرياته، وبعد ذلك راحت تطالب الأمة بالإخلاد إلى السكينة والكف عن المقاومة!! «بل لقد ضمت السلطات الفرنسية أعيان الأوقاف الدينية إلى مصلحة الأملاك، واعتدت على الملكية الفردية،

وصادرت أموال طبقة من الشعب سبق أن بذلت لها الوعود باحترام أوضاعها القائمة». «قد دنس جنودنا المساجد، ونبشوا القبور، وانتهكوا حرمات منازل المسلمين، وإذا كانت ضرورات الحرب تقضي باتخاذ بعض التدابير القاسية أحياناً، فإن اللجنة ترى أن تحاط هذه التدابير بغلالة رقيقة من الرحمة تخفف من بشاعتها، ولكن سلطات الاحتلال لم تفعل شيئاً من هذا، بل ذهبت إلى حد تعذيب أفراد ثبت بعد وفاتهم أنهم أبرياء، ومع هذا حُرم أعقابهم من تركات مورثيهم، نعم، قد أعيدت إليهم أملاكهم بعد ذلك، ولكن هل ارتدت الحياة إلى من مات منهم؟ وقد ذبح الجنود الفرنسيين أشخاصاً يحملون جوازات مرور صادرة من سلطات الاحتلال العليا، وقضوا دفعة واحدة على جماعات وأفراد لمجرد شبهات واهية حامت حولهم ثم اتضحت فيما بعد براءتهم، كما أعدمت السلطات الفرنسية شيوخاً من أولياء الله الصالحين، لأنهم تجرأوا على الشفاعة لمواطنيهم، وكان على منصة القضاء رجال يمثلون العدالة الفرنسية، ومع ذلك أصدروا أحكاماً بالإعدام على هؤلاء المواطنين، كما كان هناك رجال ممن آلوا على أنفسهم نشر الحضارة والمدنية بين سكان الجزائر، ومع هذا نفذوا أحكام الإعدام في هؤلاء الشجعان».

وأخيراً ألقت سلطات الاحتلال في السجون شيوخ قبائل أبرياء، لأنهم آووا جنوداً فرنسيين كانوا قد فروا من الخدمة، وأنعمت هذه السلطات بالأوسمة على الخونة الذين باعوا بلادهم باسم المفاوضة؛ وجملة القول: إن السلطات الفرنسية فاقت في تصرفاتها الوحشية جرائم البرابرة الذين ذهبت قواتنا ـ فيما تزعم ـ لتحمل إليهم نور المدنية؛ فكيف يجوز لنا بعد ذلك أن نشك في مقاومة الجزائريين للاحتلال الفرنسي»؟.

وبالإضافة إلى فظائع الجيش الفرنسي البربري بالجزائر والتي سجلت

عليه جرائم لا مثيل لها إلَّا جرائم القتل والدمار التي قام بهما جيوش هولاكو الهمجي عندما احتل بغداد ـ أرض السلام سنة 1258م؛ فقد استولى الفرنسيون على الأموال من خزانة الدولة الجزائرية وأن المبالغ التي تم الاستيلاء عليها في يوم الاحتلال، بلغت 150 مليوناً من الفرنكات الذهبية وغيرها من المواد الثمينة التي أخذها الفرنسيون الغاصبون!! فقد كانت أطماع الاستعمار الفرنسي لا حد لها في الاستيلاء والسطو وطرد أصحاب الأرض الشرعيين وتفقيرهم ليقبلوا بواقع الاستعمار المحتوم!!.

ألا وهو قوة فرنسا الحديدية ولكنها تحطمت بإرادة الشعب الذي قام بالثورة إيمانه بأن الحرية ثمنها عالمي.

الشعب الجزائري يتصدى للعدوان الفرنسي الغاشم بقيادة الأمير عبد القادر وغيره من أبطال الجزائر

فيما تقدم حاولنا بقدر المستطاع معالجة بعض من المراحل التاريخية الهامة للقطر الجزائري المناضل إلى غاية العدوان الفرنسي البغيض الذي أراد بكل الوسائل الغادرة فرض وجوده الاستيطاني العنصري بالتعاون مع يهود الجزائر المنافقين، ناكري الجميل، ومع بعض الذين باعوا عروبتهم وضمائرهم وانتماءاتهم للعدو الفرنسي اللدود الذي سيأتي دوره لا محالة وينفض عليه الشعب ليسترد حقه.

هذا وبالرغم من كل دوافع فرنسا الصليبية التي أدت إلى ارتكاب المجازر البشرية، والتمثيل الوحشي البربري بالوطنيين الجزائريين دون استثناء، وعلى الرغم من حالة الارهاب والفزع والقلق في نفوس الشعب وعلى الرغم من التخريب والتدمير والنهب واللصوصية وانتهاك الحرمات في المدن والقرى وتدنيس دور العبادة أينما وجدت، فإن كل هذه التصرفات الرعناء لم تثن عزيمة وإصرار الشعب الجزائري عن الدفاع ضد الغزاة الفرنسيين الهمج دون هوادة باعتبار «لا يلن الحديد إلّا الحديد».

فعندما نزلت القوات الفرنسية المعتدية بمعداتها الثقيلة ومهماتها الأوروبية لتغزوا أرض الجزائر، وجدت أمامها دفاعاً مكوناً من ثلاثة أنواع من القوات المقاتلة؛ هي:

(1) جند الحكومة.

(2) قوات حكام المقاطعات.

(3) الجند النظاميون الذين كونهم الزعيم الجزائري الأمير عبد القادر.



فارس الجزائر الأمير عبد القادر المقدام..... قال: «لم أولد لأكون محارباً... ويبدو لي أنه لم يكن لي أن أكون أبداً حتى ليوم واحد.. ومع ذلك حملت السلاح طيلة حياتي... إنها إرادة الله».

«عبد القادر بن محيي الدين»[1].

---

(1) العماد مصطفى طلاس: (كتاب ـ فارس الجزائر ـ الأمير عبد القادر) طلاس للدراسات ترجمة والنشر ـ سوريا ـ دمشق ـ الطبعة الثانية، 1984م، ص.

ثم أخيراً رجال القبائل الذين لبوا دعوة الجهاد ونسوا خصومتهم للداي حسين في سبيل تحرير أرض الجزائر من الاحتلال الفرنسي. ودارت رحى الحرب سنوات لقي فيها الغزاة الفرنسيون أشد أنواع المصاعب والمقاومة وخصوصاً عندما ظهر في الميدان الأمير عبد القادر الذي ظل يجاهد الفرنسيين ويقاومهم سبعة عشر عاماً، إلى أن أظهرت له استراتيجية إضطرارية في عام 1843، لكي يستأنف جهاده باستنفار القبائل المغربية باسم الإسلام، محاولاً التأثير على سلطان مراكش لكي يعاونه ضد الغزاة الفرنسيين. ولكن سلطان مراكش خاف أن تؤدي معاونته إلى تدخل فرنسا أو غيرها في بلاده، واضطره إلى مغادرة البلاد، ومع ذلك ظل الأمير عبد القادر يجاهد حتى اضطر إلى التسليم سنة 1847م، ومن هذا التاريخ اعتبر الفرنسيون الجزائر جزءاً من فرنسا: (مغالطة كبرى).

ومع ذلك لم يتوقف جهاد الجزائريين لطرد الفرنسيين بل قد انتهزوا في سنة 1871 فرصة إنهزام فرنسا أمام ألمانيا في الحرب الفرنسية البروسية فقامت ثورة أدت إلى عدة مذابح ولكن الإدارة الفرنسية في الجزائر أخمدت حركة الثورة بأقصى ألوان العنف والتعذيب واستولت على مناطق جديدة كانت قد تركتها من قبل لبعض رؤساء القبائل يحكمونها مستقلين. وعملت فرنسا على إدماج الجزائر في الإدارة الداخلية الفرنسية بحيث تتبع وزارة الداخلية وكأنها قطعة من فرنسا!! ثم أخذ الاستعمار الفرنسي يزحف نحو الصحراء الغربية يستولي على واحاتها حتى اتصلت الأملاك الفرنسية بالجزائر بأفريقيا الغربية الفرنسية، وهاجر عدد كبير من الفرنسيين والأوروبيين إلى الجزائر(*). وقد ساعد فرنسا في عدوانها على الجزائر ضعف الدولة التركية صاحبة السيادة

(*) هذه الجالية الحاقدة استوطنت الجزائر، وأُطلق عليها «الأقدام السوداء»، (PIEDS NOIRS) نسبة لصلتها بأفريقيا. وهي فئة شرسة وقد لفظت أنفاسها الأخيرة عندما تحررت الجزائر في عام 1962م. وقد شارك هؤلاء في العديد من المذابح ضد الجزائريين الوطنيين أثناء ثورة عام 1948 و1954م. وسنتحدث عنهم تفصيلياً فيما بعد.

الاسمية على شمال أفريقيا، وانصرفت انكلترا إلى مشاكلها الداخلية سنة 1830، وخصوصاً أنها لم تكن تتوقع في ذلك الوقت أن فرنسا سوف تتخذ الجزائر قاعدة تزحف منها نحو الشرق وتهيمن على تونس، وثم نحو المغرب وتهيمن كذلك على مراكش. فقد أجبر الاستعمار الفرنسي الباي في عام 1881 على توقيع معاهدة الحماية. ولكن الشعب التونسي لم يخضع لها فقامت عدة ثورات في الجنوب وكان الباي راضياً عنها في قرار نفسه، بينما مراكش قُسمت بين إسبانيا وفرنسا بموجب معاهدة استعمارية في عام 1912م، كما احتلت إيطاليا ليبيا في عام 1911(1).

هذا ومما يجدر بنا ذكره للأجيال العربية الصاعدة من المحيط إلى الخليج العربي، إن جميع الانتفاضات والثورات المسلحة الرافضة للعدوان ولوجود الاستعمار الفرنسي البغيض، والتي قام بها الشعب الجزائري المجاهد أحسن قيام في كل جزء من ترابه الطاهر، بدءاً من عام الغزو الأسود سنة 1830م، حتى استتب بالعدو الفرنسي الأمر في فرض وجوده بالحديد والنار طوال 130 سنة!!، فكانت تلك الثورات الوطنية بقيادة العديد من أبطال الجزائر أذكر منهم الأمير عبد القادر والحاج محمد المقراني وأحمد باي المقراني وأبو عمامة وأولاد سيدي الشيخ وغيرهم ممن أعلنوا الجهاد المقدس في سبيل القضاء على العدوان الفرنسي الهمجي وأعوانه الذين أرادوا تقويض دعائم الوطن الجزائري وطمس شخصيته من الوجود بإفتراءات واهية مغرضة ليؤمن اغتصاب البلاد ـ أرضاً وشعباً!! بحيث يتم استغلالهما إلى أقصى ما يمكن!.

ولكن هيهات ـ لقد كانت المعارك الجزائرية الطاحنة جبارة بدرجة أنها

(1) حسن بومالي: (حرب الإبادة في الجزائر)، مجلة المجاهد، العدد 1403ـ 26 يونيو 1987م، ص (34ـ 35).

هزت الدنيا وزلزلت نهج الاستعمار الفرنسي الطاغي طوال سنوات عديدة، وهي تعلن للملأ أن الشعب الجزائري حي يُرزق وكفاحه ضد الغاصب مستمر حتى النصر. . والنصر آتي لا محالة، بإذن الله طالما كان الشعب مصمماً على نيله بالقوة، وليس بالخطب والأناشيد والاحتجاجات التي لا تقتل ذبابة. هذا مهما ارتكب الاستعمار الفرنسي من جرائم وحشية ضد تلك الإرادة.

ولقد تطورت الأحداث المأساوية في القطر الجزائري بشكل فظيع، فتمثلت في القتل عمداً والتدمير والتعذيب للشعب الجزائري دون استثناء الأمر الذي صارت جميع محاولاتهم الإجرامية للابقاء على حكمهم الطاغي الدموي غير مقنع. ولذلك إلتجأ الاستعماريون الفرنسيون إلى شهوة الانتقام وهي نزوة من نزوات سفك دماء الشعب الجزائري، الأعزل إلّا بإيمانه بالله الواحد القهار وبوطنه العزيز.

وقد كشفت مجلة المجاهد الجزائرية ـ عدد 1403 لشهر يونيو/ عام 1987م، مدى وحشية الغزاة الفرنسيين الذين وطأت أقدامهم تراب الجزائر في الخامس من يوليو/ 1830م، فقد ورد في اعتراف الجنرال «روفيقو» يوم 16/ 4/ 1832م، بعد عودته من هجوم على بعض القرى التي باغت جنوده سكانها وهم في عز النوم حيث قال: «كان جنودنا ممتطين ظهور الخيل يحملون الرؤوس البشرية على نصل سيوفهم، أما حيواناتهم فقد بيعت إلى القنصلية الدانماركية، وأما اجزاء الأجسام الملطخة بالدماء فقد أقيم منها معرض في باب عزون، وكان الناس يتفرجون على حلى النساء ثابتة في سواعدهن المقطوعة وآذانهم المبتورة»[1].

كما كتب الماريشال «دي سانت آرنو» في رسالة بتاريخ 1842، قال

(1) نفس المصدر.

فيها: إن بلاد سناسن جميلة للغاية وهي أغنى قطعة أرضية عرفتها في القارة الأفريقية. الناس فيها يسكنون قرى متجاورة. لقد أحرقنا كل شيء فيها، وهدمنا كل ما يعترض سبيلنا. ما أسوأ الحرب! ما أسوأ الحرب، كم من نساء وأطفال فروا منا والتجأوا إلى جبال الأطلس المغطاة بالثلوج وهناك ماتوا جيمعاً من البرد والعرى والبؤس...»[1]، وكتب الجنرال «مونياك» تحت عنوان «رسائل جندي» يصف فيها بعض الجرائم التي كان يعترف بها الجنود الفرنسيين فقال: «لقد قطعت رأسه ويده اليسرى ثم وضعت الرأس في طرف الرمح وعلقت اليد في البندقية وسرت بها إلى المعسكر، وهناك تكلف أحد الجنود بحملها إلى الجنرال «باراني ديلي» الذي كان يعسكر قريباً منا فأحدث ذلك في نفسه أعظم سرور..»[2]، وقال الجنرال «مونتانياك» أيضاً في رسالة وجهها إلى أحد أصدقائه في فرنسا سنة 1845م: «تسألني ماذا نعمل بالنساء الجزائريات اللواتي نأسرهن أثناء المعارك؛ إننا نحتفظ ببعضهن كرهائن، ونبادل بعضهن بعدد من الخيل ثم نبيع الباقي بالمزاد العلني مثل الأمتعة والمواشي. وهذه هي الطريقة المثلى التي نحارب بها هؤلاء العرب... قتل جميع الرجال من سن الخامسة عشر فما فوق. الاستيلاء على جميع الناس والأطفال ونفيهم إلى جزر المركيز أو أي مكان آخر ـ باختصار القضاء على كل من لا ينحني كالكلب تحت أقدامنا»[3].

إن ما أنقله هنا يدعو إلى التقزز والغثيان ولا يمكن نسيانه. وكتب ضابط فرنسي يدعى «بان» هذا الوصف: «إنها مذبحة فظيعة اختلطت فيها الجثث بالحجارة والحيوانات وبيوت الشعر والتراب، وقد تبين من تقرير دقيق قمنا به بعد الانتهاء من العملية أننا قتلنا 2300 شخصاً بين نسوة

(1) نفس المصدر.

(2) نفس المصدر.

(3) نفس المصدر.

وأطفال، وكان جنودنا يهجمون على المنازل ويذبحون فيها كل مخلوق يعثرون عليه أمامهم..»[1]، وقال «جول فيرى» يصف نظرة المعمرين إلى المواطنين الجزائريين: «إن المعمرين يعتبرون الأهالي من جنس بشري منحط لا يصلح إلّا للاعتقال والأعمال الشاقة بدون مقابل، ولا يستحقون إلّا القهر والإذلال.

هذا وقد واصل الاستعمار الفرنسي طيلة سنوات الاحتلال حملة إبادة الشعب الجزائري بحيث كان جنوده يسجلون كل يوم صفحات جديدة من الجرائم كانت أدمى وأشد إلآماً مما شهده تاريخ القرن العشرين[2]!!.

(1) نفس المصدر.

(2) هذه الجرائم البشعة الرهيبة لا يقوم بها إلّا الوحوش!!!.

فرنسا تقوم بالحملات العسكرية والإبادة ضد الشعب الجزائري المكافح

إن الذي حدث للشعب الجزائري لا يصدقه العقل الإنساني الواعي!! ولكن الواقع يرينا كيف كانت تجري حملات الإبادة ضد الشعب الجزائري باعتراف الذين قاموا بها دون أن يكون لهم ضمير إنساني إطلاقاً.

ولقد عمت أعمال القتل والتعذيب والتدمير كافة أرجاء الجزائر لأجل تصفية العناصر النضالية ضد الوجود الفرنسي الذي أسفر عن حقيقة حضارته ومبادئه الثورية الزائفة التي بهرت وبهرجت النفوس العربية الضعيفة والذين بكتاباتهم عن حضارة الدول الغربية ولا سيما حضارة فرنسا يموهون الحقائق المجردة ويضللون الرأي العام العربي إن ما حدث للجزائريين من فرنسا بالذات لا مثيل له!!.

ولقد كانت استراتيجية فرنسا منذ قيامها باحتلال الجزائر 1830، حتى أن ثار الشعب الجزائري الباسل في عام 1954م، ترتكز على هدفين رئيسين، بصرف النظر عن ما ذكر سلفاً، الهدف الأول: هو مقاومة أية فكرة تعارض وجود فرنسا أو أية حركة قومية تحرض الشعب الجزائري ضد حكم فرنسا أو أية حركة تمهد خطوات وحدوية بين أقطار المغرب العربي، أما الهدف الثاني: الإبقاء على تجزئة الشعب الجزائري مع تقسيمه إلى طائفتين: إحداهما تنتسب إلى فرنسا وتحمل جنسيتها، والثانية مذبذبة لم تبلغ بعد ـ في نظر الدولة الفرنسية ـ مرتبة الشرف لتحظى بالرعوية الفرنسية!!! أي

شرف تحلم به فرنسا وهي تقتل وتحرق الجزائريين وتهتك الأعراض عنوة من غير ضمير يردع. ولا أخلاق تمنع!!.

إن قهر المسلمين وإجبارهم على الاستسلام والتركيع إلى حكم الغزاة الأوروبيين عامة دون استثناء هو في صلب استراتيجيتهم الحاقدة. ولننظر اليوم إلى المخطط التآمري الفرنسي ـ البريطاني ـ الأمريكي ـ الإسرائيلي ضد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج! فلا يُجدي من أن ندفن رؤوسنا في الرمال ونتجاهل ما يحمله هذا الرباعي من أخطار مخيفة ضد الوطن العربي برمته!! إذا لم تتصدى له الوحدة العربية.

فمن الواضح وضوح النهار الساطع أن استراتيجية الدول الغربية التي تنم عن الشر ضد الوطن العربي، تنبع من مبادىء ماكياڤيلي كاتب عصر النهضة الأوروبية الذي اشتهر بنصائحه الرامية إلى اتباع سياسة القوة والأساليب المادية الصرفة التي تبنى على أساس الغاية تبرر الواسطة أو الوسيلة مهما يكن الثمن. ويجب أن تبتعد السياسة عن القيم الأخلاقية، ونبذ كل ما يتصل بالدين ومُثل وقيم، وعلى السياسي الذي يتوخى النجاح ألاَّ يفكر في صون العهود إلَّا إذا رأى في ذلك تحقيقاً لمصلحة أو سبيلاً إلى هدف يراد نيله، وعلى السياسي ألاَّ يتمسك بالخصال الحميدة.. فلا أخلاق في السياسة ولا جدوى من تطبيقها، واستغلال الدين في المنفعة الخاصة، والتظاهر بالحنو والعطف واحترام حقوق الغير لفترة وجيزة تقتضيها الظروف وطرحها جانباً حال تحقيق الغرض، وأخيراً إتقان فن النفاق والرياء كأسس لازمة من مستلزمات السياسة والحكم!! إذن بقي على الإنسان العربي أن يفهم فلا ملجأ ولا ملاذاً إلَّا في وحدة المغرب العربي كرافد للوحدة العربية الشاملة بحيث تكون مقدرات الأمة العربية العظمى في أيدي أبنائها، عاملين على سعادتها ورفاهيتها كشعب عربي واحد، وقد جرى الحديث عنه في الفصل الأول.

الاستعمار الفرنسي يسيطر على الجزائر بالقوة وهناك الكثير من الحقائق تثير الدهشة لمن لا يعرف حبائل الاستعمار معرفة جيدة تكشف طبيعته وأساليبه المختلفة لكي يسود وينهب ثروات شعوب العالم الثالث! وقد جرى الحديث عنه تفصيلياً في الفصل الأول من هذا الكتاب. فبعد القتل عمداً والتدمير حقداً، قام الاستعمار الفرنسي الهمجي باسم «الحضارة والمدنية الغربية» التي أراد أن ينشرها في ربوع الجزائر ويتشبث بها الشعب الجزائري، بوضع استراتيجية استعمارية تمكنه من تحقيق أهدافه ومطامعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية.

وإنطلاقاً من هذه الاستراتيجية بدأت السلطات الاستعمارية بالاستيلاء على الأراضي الزراعية الخاصة للمواطنين الجزائريين وإعطائها للمعمريين الفرنسيين وتسخير أصحابها الأصليين للعمل فيها بمقابل زهيد جداً. وإبعاد المواطنون الجزائريون من ممارسة التجارة والصناعة وأعمال المصارف لأنها من خصائص السلطات الاستعمارية!..

وبعد أن زرع الاستعمار الفرنسي العديد من المعمرين الفرنسيين وأصبحوا أَسياد البلاد تدعمهم التشريعات التي اتخذت ذريعة لتنظيم الجزائر باعتبارها قطعة من أرض فرنسا!!! بدأ بث سموم التفرقة بين الشعب الجزائري الواحد المناضل، الذي ضرب أروع الأمثال في الدفاع عن بلاده إبان الغزو الفرنسي البربري. واستعان الاستعمار الفرنسي باليهود في كل ما يعوق منفعة المواطن الجزائري!! فهم فرنسيون استعماريون غلاة أمام الفرنسيين، وهم جزائريون إذا اشتركوا مع المسلمين في تجارة أو نحوها، إلى أن انهارت فرنسا عام 1940م، أمام زحف الألمان، فنزعت حكومة فرنسا الموالية للألمان عن يهود الجزائر جنسيتهم الفرنسية وصادرت أملاكهم فازداد تقربهم للمسلمين بيد أنه ما إن كادت الحرب العالمية الثانية تضع

أوزارها وينتصر الحلفاء حتى عاد هؤلاء اليهود إلى طبيعتهم الحاقدة الأولى. واستعادوا أموالهم وجنسيتهم الفرنسية!! وفي عام 1946 اشتركوا مع الفرنسيين، في مذبحة قسنطينة وقتلوا فريقاً من المسلمين، متذرعين بأن أحد اليهود قتل في أثناء الثورة وأعلن المسلمون في قسنطينة إذ ذاك مقاطعة اليهود مقاطعة تامة تأديباً لهم على مسلكهم الخبيث الخائن[1]، وهذا مسلكهم في كل مكان وزمان!.

هذا ونظراً لما للدين الإسلامي الحنيف من تأثير قوي لدى الشعب الجزائري المسلم، والسلطات الفرنسية الاستعمارية على بيّنة من هذا الأمر، باعتباره العامل الرئيسي في تكوين ذاتية الجزائريين وشخصيتهم، وفرنسا لا تريد شيء يذكر بالشخصية الجزائرية لأن ذلك لا يمكن أن يتوافق وسياسة فرنسا، فقد سارعت لوضع كل ما يتصل بشؤون الدين الإسلامي تحت إدارتها مباشرة بحيث يمكنها تعيين من تراهم أوفياء في خدمة أطماع الاستعمار الفرنسي!!.

فقد كان الدين الإسلامي وشريعته منذ الإحتلال وحتى قيام الثورة المباركة عام 1954م، هدفاً لمختلف التحديات من أعداء الإسلام، الاستعمار الفرنسي الذي لا يدين في الواقع بدين المسيحية الحقيقية واليهود الذين يبثون سمومهم البغيضة لبلبلة الآراء والأفكار، مع أن لا يكون المسلم مسلماً إلّا إذا آمن بالأنبياء ـ موسى وعيسى ومحمد وبالتوراة والإنجيل والقرآن والبعث واليوم الآخر، وهذا الاعتقاد غير مستوعب من لدن الأوروبيين الذين انفصلوا عن الدين المسيحي تماماً واستبدلوه بأيديولوجية العلم الآتي؛ من كارل ماركس، وسيكمند فرويد، وشارلس داروين، وغيرهم ممن أفسدوا

(1) عبد الرحمن محمود الحص: (كتاب ـ الجزائر في معركة البناء) دار النشر الآداب للتأليف والطباعة ـ 1963 ـ ص (13).

النظريات الاقتصادية والنفسية والعلمية!! ورجعوا بالإنسان الأوروبي إلى الوثنية. بينما الإسلام هو دين العلم: يقول الحق جل وعلا: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

وفي الوقت الذي تُشدد فيه سلطات الاستعمار الفرنسي النكير على المسلمين وتعرقل إقامة شعائرهم الدينية، تشجع محاولات المبشرين المسيحيين للعمل على تنصير الجزائريين تمشياً مع برنامج التنصير الذي وضعه الكردينال لافيجري منذ عام 1867م، القائل: إنه «يجب أن نجعل من الأمة الجزائرية مهداً لأمة مسيحية كريمة، وأن نضيء أرجاءها بنور مدنية وحيها الإنجيل، وأن نربط مصير أفريقيا بحياة الشعوب المسيحية.... تلك هي رسالتنا الإلهية! (لا ولن تنجح فرنسا أبداً).

ولا شك أن مشاعر المرارة قد أثارت في نفوس الشعب الجزائري ضد استمرارية نهج الاستعمار الفرنسي في بلادهم بقصد إفقارهم مادياً ومعنوياً، وجعلهم عجزة لا يقدرون على علاج أمراضهم في المستشفيات الخاصة، إمعاناً في أسلوب القهر وغرس في نفوس الشعب الجزائري الخوف من الأوبئة التي جلبها الاستعمار الفرنسي معه مثل مرض الزهري والسيلان وغيرها من الأمراض الفتاكة التي لم تكن معروفة من قبل في القطر الجزائري. وكأكبر دليل على إهمال الاستعمار الفرنسي للناحية الصحية، هو أن عدد الأطباء في سائر انحاء الجزائر لم يتجاوز 600 طبيب، بمعدل طبيب واحد لكل ثمانية عشر ألف نسمة على أساس الاحصائيات الرسمية، إذ بلغ عدد الجزائريين المسلمين (11) مليون نسمة، حرص الاستعمار على إهمالهم!!.

ولم يتوقف إهمال السلطات الفرنسية الاستعمارية في القطر الجزائري عند احتياجات الشعب الاقتصادية والصحية الملحة، بل زادت حدة العداء

والحقد تجاه التعليم ولا سيما باللغة العربية التي يعلم الاستعمار الفرنسي جيداً أنها أداة توحيد، لأمة عربية واحدة من المحيط إلى الخليج، وهي قوة جبارة وطريقاً للمعرفة والعلم، وأن فرنسا على دراية تامة أن القرآن المجيد نزل باللغة العربية ولذلك كله، حارب الاستعمار التعليم وعرقل انتشار اللغة العربية. وفي هذا الصدد كتب ضابط فرنسي اسمه «رين» يقول: «إن سلطات الاستعمار في الجزائر وضعت يدها على جميع الأعيان التي كانت من قبل موقوفة على نشر التعليم، وبذلك تضاءل عدد المكاتب التي كانت توفر التعليم لمن يقصدها، كما تضاءل تبعاً لذلك عدد التلاميذ، فأصبح 30 ألفاً بدلاً من (150) ألفاً، كانت وسائل التعليم مكفولة لهم قبل عهد الاحتلال»[(1)]! وبذلك خلقت ما يطلق عليها بالفرانكوفونية.

وعموماً، لم يكن المقصود من كل ذلك هو إبقاء الشعب الجزائري رازحاً تحت وطأة الجهل فحسب، بل إن المقصود الأول قبل ذلك كله، هو فرنسة الجزائريين، بالمباعدة بينهم وبين اللغة العربية، وقطع كل صلة تربطهم باللغة، وبالعرب والإسلام، لعل ذلك أن يكون سبيلاً إلى سرعة اعترافهم في آخر الأمر بأن ما بينهم وبين العرب من الصلات ليس أقوى مما بينهم وبين الفرنسيين!!! وقد كانت مقتضيات الحياة اليومية ـ إلى ذلك كله ـ تفرض عليهم أن يتحدثوا بلسان المستعمرين في كثير من شؤون العامة والخاصة، فلولا القرآن الذي يقرؤونه في صلواتهم ويتعبدون به في خلواتهم، ولولا المدارس القرآنية التي أنشأها بعض المجاهدين من علماء الجزائر كوسيلة من وسائل الكفاح، لانمحت اللغة العربية في الجزائر منذ عهد غير بعيد! وبعد أن حاول القضاء على اللغة العربية من الشعب

---

(1) كتاب اخترنا لك: العدد (8)، شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل ـ الطبع والنشر دار المعارف ـ مصر ـ ص (70، 71).

الجزائري بإبدالها بلغة الاستعمار، فلم يستطع إلّا عدد قليل من الجزائريين أن ينال قسطاً منها[1].

ولقد كانت الجزائر في واقع الأمر ليست فرنسية، ولم تكن في أي يوم من الأيام فرنسية، بل هي حقاً بلد يستعمره ويستعمره ويضطهده المستعمرون الفرنسيون!! هؤلاء الطغمة الفاسدة كانت متمسكة ببقاء الاستعمار الفرنسي جاثماً على الجزائر ـ أرضاً وشعباً ـ دون منح أو التفكير في إعطاء أي نوع من الحرية؛ لأن ذلك يهدد مستوى حياتهم ومصالحهم المادية التي كانت تمثل أيضاً دعائم جيوش الإحتلال الفرنسية والمستوطنين الأوروبيين وفلولهم من الكولون في مجال الزراعة والصناعة!! وغيرها مما يحرم الشعب الجزائري من حقه في الحياة الكريمة ـ هكذا كان منطق الاستعمار الفرنسي البغيض حتى بعد أن أنقذت الجزائر بأبنائها شرف فرنسا في تحريرها من براثن الاستعمار الألماني في الحرب العالمية الثانية عام 1945م.

لم يقف الشعب الجزائري المناضل رغم كل المظالم والمآسي المادية والمعنوية، أمام سياسة فرنسا الرعناء، ولاّ أيضاً أمام مؤامرات المستوطنين الفرنسيين العنصريين واليهود المنافقين، مكتوفي الأيدي، فقد كان للعرب الجزائريين في الجزائر وفي فرنسا أدوار سياسية ونقابية وحزبية تعمل بطرق سلمية إزالة الحيف اللاحق بالشعب الجزائري، والتغلب على جميع العقبات التي تعترض نيل حقوق الشعب الجزائري في تقرير مصيره طبقاً لما جاء في ميثاق الأمم المتحدة.

ولكن فرنسا أمعنت في غدرها وطغيانها وأصرت على عدم استجابة مطالب الشعب الجزائري مهما كان الأمر، بدليل أن مجزرة 8 مايو/

(1) نفس المرجع: ص (72).

1945م، حيث قام الشعب في ذلك اليوم الرهيب، بمظاهرة سلمية ابتهاجاً بانتهاء الحرب والإنتصار على ألمانيا، كانت رداً دموياً أفرغت القوى الفرنسية الاستيطانية الغاشمة أحقادها في (45000) شهيد من الجزائريين الذين أرادوا التعبير فقط عن وجودهم سلمياً!! وسيرد معنا في مكان آخر في الفصل الرابع حيث نستخلص منه أن الحرية تؤخذ بالقوة. . . .

الفصل الرابع

(1) صدقت الجزائر وكذبت فرنسا على أثر قيام الثورة المسلحة ضدها في أول نوفمبر 1954م.

(2) في هذه الأثناء كانت هناك ثورة شعبية مشتعلة في تونس ضد فرنسا الأمر الذي أجبرتها على منح تونس الاستقلال الداخلي في سنة 1954م، ثم كان هناك في المغرب الأقصى هياج ثوري قائم ضد فرنسا بعد إقصاء الملك محمد الخامس، كما استطاعت حرب الهند الصينية هزيمة فرنسا في عام 1954م. وهكذا تحركت الجزائر لتثبت للعالم:

بطلان خرافة الجزائر فرنسية، وقوضت الثورة المباركة غلواء فرنسا عسكرياً وسياسياً واقتصادياً في العالم. ونزعت الوتد الاستعمار الفرنسي الاستيطاني من أرضها. وكشفت الثورة عن زيف العالم الحر بزعامة أمريكا.

(3) ويأبى التاريخ إلّا أن يدون في سجلاته واقعة 8 ـ 5 ـ 1945، المأساوية التي ذهب ضحيتها 45000 شهيد وشهيدة جزائرية، على يد الاستعمار الفرنسي الاستيطاني البربري الذي أراد تخويف الشعب الجزائري. ولكن فاته إنها كانت الشرارة التي أشعلت نار الثورة العظيمة، التي هزت الدنيا بالرغم من مجازر فرنسا الهمجية التي ستظل نقطة سوداء تصم حكمها بوصمة الخزي والعار إلى الأبد.



بن بلة: نحو قيام الأممية العربية الإسلامية



من المجاهدين الجزائريين

صدقت الجزائر وكذبت فرنسا

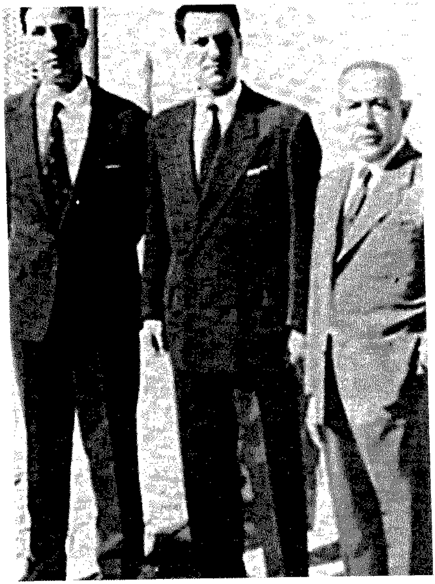
● ثوابت ثورة الجزائر المسلحة في عام 1954، ضد فرنسا.

● أبطلت الثورة خرافة الجزائر فرنسية وبالثورة المسلحة صارت الجزائر للجزائريين وهو حق تاريخي لا غبار عليه كلية.

● قوضت الثورة غلواء فرنسا سياسياً واقتصادياً في العالم. ونزعت الوتد الفرنسي الاستيطاني من أرضها الطاهرة.

● كشفت الثورة عن زيف العالم الحر بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية عدوة العرب جميعاً ودون استثناء.

● أكدت الثورة بما لا يدع مجالاً للشك مقولة «ما ضاع حق وراءه مطالب». واقتحمت أبواب التاريخ بجدارة فائقة. هذه هي بداية الشرارة التي أشعلت الثورة من مدينة صطيف، وذلك عندما انتهت الحرب العالمية الثانية في أوروبا باستسلام ألمانيا في 8 ـ 5 ـ 1945م، قام الشعب الجزائري بمظاهرة الفرح والابتهاج بيوم النصر على النازية والفاشية معاً، كسائر شعوب العالم التي اختبرت مرارة وعذاب سنوات الحرب الطاحنة التي دمرت العمران وقتلت الملايين من البشر من جانب الغالب والمغلوب على حد سواء. قتلت 60 مليون نسمة. وحيث إن أبناء الجزائر قد شاركوا مشاركة فعالة في القتال ضد النازية والفاشية إلى جانب الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال ديغول. . . وحيث أنهم شاركوا أيضاً في تحرير فرنسا بالذات من مخالب الاستعمار النازي. . فإنه كان من حق الشعب الجزائري المكافح



محمد خيضر وحسين آية أحمد وأحمد بن بلة

أن يقوم منطقياً بتلك الأفراح والاحتفالات البريئة بيوم النصر ومطالباً في نفس الوقت بتحسين أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. ولكن يا للهول! فقد كانت تلك الأفراح والتظاهرات الشعبية والمطالب الشرعية من الأمور المحرمة إطلاقاً في قانون وفي عرف سياسة فرنسا الاستعمارية المهزومة، أنها لا تريد أن يرفع الإنسان الجزائري رأسه!!

وإنه لأمر غريب، فقد كانت نتيجة تلك الابتهاجات البريئة سقوط العديد من أبناء الجزائر شهداء ـ الظلم والطغيان ـ سقطوا برصاص جنود فرنسا والذين كانوا بالأمس كالخرفان أمام جنود ألمانيا الزاحفين صوب

باريس (عاصمة الحرية والإخاء والمساواة). فلم يكن للشعب الجزائري أي ذنب ارتكبه في ذلك اليوم بحيث يسقط منه (45,000) شهيد وشهيدة عُزل من أي سلاح اللهمَّ هتافات وطنية مسالمة!! وحصدوهم وكأنهم هنود أمريكا الحمر!!!.

فقد كانت مجرد هذه الإرادة غير المعلنة البريئة كافية في عرف الاستعمار الفرنسي وجنوده لإثارة الغضب بحيث صوبوا فوهات بنادقهم إلى صدور جمهرة المتظاهرين من الشعب الجزائري ـ وهي الصدور التي حمت فرنسا وجنودها من همجية النازية ـ وهي الصدور التي تقاسمت مع جنود فرنسا أعباء المعارك من أجل إنقاذ شرف فرنسا. . (فرنسا الحضارة والتقدم والحرية والمساواة)، مجلة المجاهد العدد 1396، الغرب الحضاري وخاصة أمريكا وبريطانيا لم يعرفوا ويعترفوا بحضارة وتقدم وحرية ومساواة الآخرين أبداً.

فقد أراد الشعب الجزائري في ذلك اليوم، (في يوم احتفال الحلفاء ـ وفي مقدمهم الفرنسيين والأمريكيين)، أن يعبر عن حقه في الحرية والعيش الكريم في وطنه المغتصب ظلماً وعدواناً منذ عام 1830م ـ فقد كان جزاؤه تلك المذبحة الرهيبة غير الإنسانية ـ وهي المذبحة التي أشعلت شرارة الثورة الجزائرية المباركة في أول نوفمبر 1954م، ضد الاستعمار الفرنسي الاستيطاني البغيض ـ وقد ثبت أن الاستعمار لا يفهم إلّا لغة السلاح ـ ولا يمكن أن تسترد الحقوق المسلوبة إلّا بالقوة وبتوحيد الهدف في الشعب الواحد حتى لا يثبط من عزمه على الكفاح لأجل الحرية.

هذا وقد لاحظ زعماء الشعب الجزائري الأحرار أنه لا فائدة ترجى إطلاقاً من الاستعمار الفرنسي العنصري ولا سيما بعد أن جثم بثقله الكريه النتن على أديم التراب الجزائري الطاهر أكثر من قرن!! ولأن طينة الإنسان العربي الجزائري غير طينة الفرنسي الغادر الغاصب ـ فلكل منهما أصل

وعنصر ومقومات دينية ولغوية وتاريخية وحضارة تختلف عن الآخرين والذين استوطنوا أرضه بالقوة - فمن المستحيل حينئذ إدماجهما - فهما كالزيت والماء. إذن كانت فرية كبرى إدعاء فرنسا بأن القطر الجزائري العربي المسلم قطعة من أرض فرنسا[1]!!!.

والملفت للانتباه أن منطق الاستعمار الفرنسي المعكوف تجاه الشعب الجزائري الأصيل، هو مطابق لمنطق الاستعمار الفاشي الإيطالي الذي سلك نفس فلسفة الاستعمار الفرنسي في الإعلان أن ليبيا تعتبر جزءاً لا يتجزأ من(كعب إيطاليا)!! ولكن بفضل نضال وعزم زعماء أقطار شمال أفريقيا الأحرار صار التحدي السافر والمبررات والإدعاءات التي يطلقها الاستعمار الاستيطاني العنصري باطلة، الكل في الكل - ولقد قامت الثورة الجزائرية لتبدد جميع أوهام وأكاذيب حكام فرنسا الذين كان معظمهم من اليهود (ليون بلوم ومنديس فرانس وغيرهم ممن وقفوا ضد مطالب الشعب الجزائري الشرعية). كان هؤلاء الحكام يلقون على مسامع الشعب الجزائري أقاويل كلها معسولة ووعود غير قابلة للتحقيق، تخفي حقيقة النوايا الخبيثة ذات النزعة الاستعمارية الاستيطانية العنصرية تجاه الوطن الجزائري خاصة بعد أن ظهرت رائحة البترول في الجزائر - (وهي المادة الخام الملعونة التي لم تكن إلّا نقمة وليست رحمة، إذ أنها أغرت الاستعمار الغربي القديم والحديث وأمريكا لإنشاء ما يسمى «بإسرائيل»، وسط الوطن العربي بالقوة)! وكان يعني: (نتيجة حتمية للحصول على النفط، ورغبة من شركات النفط الغربية والفرنسية خاصة في الربح، فقد قدم مندبو هذه الشركات الاحتكارية، إلتماساً إلى حكومة بورجيس مونوري - كما تقول جريدة (الصنداي تايمز) - يطالبونها - بعدم منح أي نوع من الحريات للجزائر.

---

(1) كما كانت إيطاليا تدعي أن ليبيا جزء من أرض إيطاليا.

وأبدت هذه الشركات استعدادها لسد العجز في ميزانية القوات المسلحة الفرنسية التي تحارب في الجزائر وذكرت أنها تستثمر 30 مليون جنيه في استغلال نفط حاسي مسعود وحدها ولا تريد تفريطها للضياع، وأن مبلغ مليون جنيه الذي تنفقه فرنسا كل يوم على حرب الإبادة في الجزائر لا يساوي شيئاً بجانب كميات النفط الهائلة التي ستكسبها فرنسا من آبار نفط الجزائر!!.

هذا وبعد أربع سنوات من القتال الدامي بين الثوار الوطنيين الجزائريين وقوى الاستعمار الفرنسي الاستيطاني البغيض قام بعض الضباط من الجيش الفرنسي والفرقة الأجنبية بحركة تمرد عسكرية في مدينة الجزائر كان هدفها إسدال ستار كثيف على فشل الجيش الفرنسي الذي وصل تعداده في عام 1958م، أكثر من نصف مليون جندي وضابط في مواجهة أبطال ثورة التحرير الجزائرية... فقد كان الإخفاق والتدهور السياسي بائناً في الحكومة المركزية في فرنسا ويرجع السبب في ذلك الإفلاس إلى صبر وجلد الثوار في كفاحهم البطولي من أجل تحرير الجزائر من براثن الاستعمار الفرنسي الاستيطاني الغاشم مهما كلف الأمر ـ وهو الاستعمار المدعم تدعيماً كلياً من الحلف الأطلسي ومن أمريكا بالذات التي تحاول اليوم أن تضع العراقيل لكي لا يتم الحدث الوحدوي العربي بين الجماهيرية العربية الليبية وبين الجزائر التي ملكت زمام أمرها بالقوة.

ولقد أراد زعماء التمرد ـ سوستيل المقيم الفرنسي والجنرالان سالان السفاح والجنرال ماسو، أن يشعلوا ناراً شعواء بين صفوف الجنود والمستوطنين الفرنسيين لتساعد على الانقلاب في فرنسا، وتغيير الجمهورية الرابعة المغلوبة على أمرها بحيث تقام بدلها جمهورية خامسة تقبل تنفيذ مطالب المتمردين، وبذلك يتحقق ما كان يدور في مخيلة العصاة في الجزائر من سياسة القمع والإرهاب والمزيد من القتل ومن المذابح البشرية لإفناء

الشعب الجزائري، لتبقى (الجزائر فرنسية) أصلاً وتاريخياً حسب مزاعم المقيم الفرنسي سوسنيل!!.

ونسي إن التاريخ يتحرك في صالح الجزائر بفضل أبنائها الأبرار.

فقد كان تمرد الجنرالات مؤيداً من المستوطنيين الفرنسيين وهي الطبقة التي تملك كل شيء في القطر الجزائر المناضل.

هذا وأمام وحشية فرنسا بأسلحتها الفتاكة ـ وأمام أبواق الدعاية وأراجيف المستوطنين الفرنسيين لم تحدث أية بادرة إنسانية من جانب المسمى زوراً وبهتاناً بالعالم الحر الذي أغض الطرف عن كل المآسي الدامية والدمار وتصرفات الاستعمار الفرنسي الغاشم تجاه الشعب الجزائري، البطل الذي لم يكف عن النضال من أجل أن يعيش في حرية وكرامة في وطنه دون دخيل أجنبي.

ونظراً لصمود أبطال الثورة الجزائرية أمام جبروت ومظالم فرنسا... ونظراً كذلك لوقوف الشعب العربي من محيطه إلى خليجه إلى جانب نصرة الكفاح الجزائري المسلح مادياً ومعنوياً، ولا سيما وقوف ثورة 23 يوليو، بزعامة الثائر جمال عبد الناصر، الذي بذل أقصى ما يمكن من المساعدات المادية والمعنوية لإنجاح ثورة الجزائر الأمر الذي قام كل من الاستعمار الفرنسي بقيادة دي موليه ومن الاستعمار البريطاني بقيادة إيدن بالتعاون مع الكيان اليهودي الصهيوني العدواني للاعتداء على مصر في عام 1956م... كما قامت فرنسا نكاية واستخفافاً بالعرب بتزويد الكيان اليهودي الصهيوني بالمفاعل النووي ـ كما قام أيضاً العالم الحر المتمثل في الدول الغربية بقيادة أمريكا بمد الجناة الفرنسيين بالمؤن والذخيرة والأسلحة المتقدمة كهدية ضد ثورة الجزائر ـ كما كانت السياسة الدولية في ذلك العهد كما هو اليوم لا تعترف إلّا بالقوة!!.

وأية أمة في العالم الثالث تطمح إلى النصر في معركة تقرير المصير، فإنه من الواجب عليها وطنياً وقومياً أن تمتلك القوة والإرادة بالإضافة إلى إيمانها بعدالة قضيتها الوطنية دون تراجع مهما كانت الظروف. ولولا إرادة وقوة الشعب الجزائري وقيادته الشجاعة ما كان في الإمكان التخلص من الاستعمار الاستيطاني الفرنسي وتصفية قواعده من أرض الجزائر المكافحة دوماً. ووفقاً لهذا الواقع الواعي القومي، يقول الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11] صدق الله العظيم.

ومن جهة أخرى نجد في قصيدة الشابي صورة حية عن ما يثير العرب للدفاع عن وجودهم:

«إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها واندثر»

هذا وقد كانت الجزائر بحكم تاريخها النضالي الطويل تمتلك حصيلة لا تنفذ من قوة الإرادة والإيمان بعدالة قضيتها ولكنها أمام قوة فرنسا وجيشها الجرار والجندرمة والكولون زائد التكتل الاستعماري العالمي بقيادة أمريكا، كانت في حقيقة الأمر تفتقر إلى السلاح والذخيرة إلى درجة قصوى كمثال على هذا الاحتياج وبحكم وجودي كدبلوماسي بالمغرب الأقصى تطوعت بتكليف من المرحوم منصور بن قداره، سفير ليبيا آنذاك بالمغرب، بنقل عدد من الحقائب ذات الصبغة الدبلوماسية محتوية على الأسلحة الخفيفة والذخيرة، وعبر رحلة شاقة من المغرب إلى إسبانيا (سفارة تونس)، إلى إيطاليا ثم إلى ليبيا حيث سُلمت جميعها إلى ممثل الجبهة الجزائرية في طرابلس ـ السيد أحمد بوده ـ رئيس مكتب جبهة التحرير الجزائرية في عام 1961م، بحضور ممثل الحكومة الليبية آنذاك لتسلم بعدها إلى الثوار

الجزائريين بساقية سيدي يوسف، التي خاضت معركة وطنية ضد غطرسة فرنسا، كما خاضت قرية (ايسين الليبية) معركة شجاعة ضد العدوان الفرنسي. وهكذا سطرت الجماهير التونسية والليبية أروع مثال في التلاحم الوحدوي ضد العدو الواحد الذي أراد طمس عروبة الجزائر أرضاً وشعباً.



هذا ديجول الجنرال العسكري

وهكذا كانت الثورة الجزائرية في كفاحها البطولي ضد الاستعمار الفرنسي في حاجة ماسة إلى تخزين أكبر كمية ممكنة من الأسلحة والذخيرة على اختلاف أنواعها ومن أي مكان للنصر النهائي على قوى الظلم والبطش والطغيان المسيطر على مصائر الشعب الجزائري ردحاً طويلاً من الزمن.

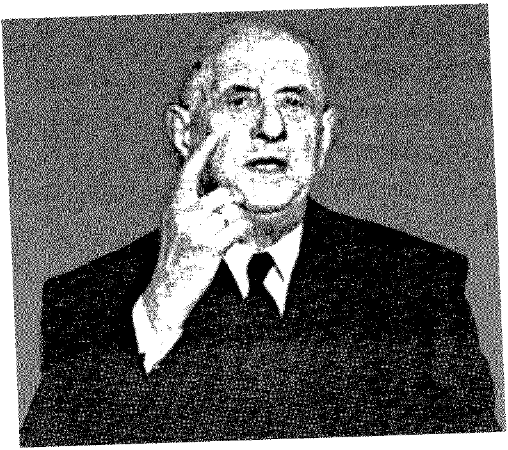
ولكنه لم يستسلم للقنوط بل كان يتذرع بالأمل ومن أجل ذلك ثار ثورة رجل واحد في وجه الاستعمار الفرنسي الذي جاء غازياً بأساطيله قاذفاً المدن الآمنة بحمم محرقة مدمرة لغرض الاستيطان وسرقة خيرات الشعب!!.

ولقد كانت الجزائر مليئة بالمآسي نتيجة لتعصب الاستعمار الفرنسي بقيادة ديغول الذي أراد دحر الثورة بأي ثمن مادي وبشري. ولطالما كانت الدول الغربية تردد في المحافل الدولية تبني الديمقراطية ومساندة الحرية والقضايا المصيرية للشعوب. وكان الإنسان الجزائري المكافح من أجل الحرية والديمقراطية، يلاحظ كيف أن التكتل الغربي كان من ناحية الثورة الجزائرية صاماً أذنيه وعامياً بصيرته عن القتل والمذابح الجماعية والدمار والفظائع المروعة والجرائم البشعة التي كانت فرنسا بزعامة الطاغية ديغول ترتكبها في القطر الجزائري. وهي المأساة المتمثلة في القتل بالألوف ومن غير محاكمة ونهب البيوت وحرق القرى والناس نيام وأعمال التعذيب!! أي حضارة هذه!!.

لقد عرف الغرب هذه المساوىء القذرة ضد الإنسان الجزائري بالكلمة والصورة وبالمشاهدة الفعلية ومع ذلك لم تُحرك ضمير هذا المدعى للحرية. فقد كان المعسكر الغربي بزعامة الامبريالية الأمريكية، مقتنعاً بحجة فرنسا بأنها واصلة إلى هدفها الاستعماري في التراب الجزائري، بالرغم من الثورة والثوار. ولكن خاب ظن أمريكا الظالم.

هذا وقد ثارت الجزائر تنفيذاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وبفضل زعمائها الأحرار، فكانت ثورتها المباركة حلماً وسرعان ما كانت حقيقة واضحة للأجيال الصاعدة في العالم العربي كله.

وقد أدهشت العالم بأسره حتى أطارت عقل قادة فرنسا وفي مقدمهم الجنرال ديغول المسؤول الأول عن ما حدث في القطر الجزائري من مذابح بشرية بدءاً من عام 1945 حتى عام 1962م، حيث استقلت الجزائر العظيمة القوة.



«ديجول جاء على أكتاف المستوطنين الفرنسيين وغلاة الاستعماريين وأصحاب المصالح الحقيقية في استمرار الحرب الجزائرية. إن أحداً في العالم لم يعد يجهل أهداف هذه الفئة الاستعمارية الجشعة التي تريد أن يبقى الشعب الجزائري إلى الأبد مخنوقاً بين قبضة أيديهم». (كتاب سقوط ديجول العدد 140)

وثارت الجزائر وشعبها المناضل بالأسلحة التي كانت لديه في الأول من نوفمبر 1954م، معلناً ساعة الخلاص من الاستعمار الفرنسي ومن

المستوطنين بإذن الله، مؤكداً عزمه على الكفاح ضد الاستعمار وحصونه بغية الاستقلال والسيادة الأمر الذي أطار عقل فرنسا وجيوشها الجرارة وحلفاءها الحاقدين ومن ورائهم الحلف الأطلسي العدواني الاستعماري. وكل ذلك التطور الوطني نتج بفضل بسالة الشعب الجزائري التي لا مثيل لها في تلك الأيام الحاسمة من جهة وبفضل مساعدة قوى التحرر في العالم الثالث ووقوف الشعب العربي إلى جانب الثورة من جهة ثانية. وشتان بين الذي يقاتل عن الحق وبين الذي يقاتل عن الباطل.. فقد كانت الجزائر تقاتل عن الحق وبالحق انتصرت بعون الله القدير.

هذا وبينما كان هناك أغلب شعوب الأرض تنعم بالسلام كان الجزائريون في عذاب وشقاء الحروب وتعاسة التشريد، وبينما كان شهر يوليو يطل من كل عام يحمل بين جنبيه بشرى الاستقلال لدول العالم التي قدر لها أن تنال حريتها في هذا الشهر بالذات، كان يشع بطلعته عن الجزائر الخضراء ببخل بابتسامة يعطيها للشعب الجزائري المجاهد، ولكن شهر يوليو هذا أسرع في الخطى وإذا به يقفز النصر وسرف في توزيع ابتساماته المشروحة على أبناء الجزائر الأحرار، ويمد أياديه البيضاء مصافحاً كل فرد مهنياً باستقلال الجزائر الحبيبة في عام 1962م، والتي نالته الجزائر بالعرق والدم.

هذا ولكن لم يأت هذا الاستقلال هبةً أو منحة من فرنسا أو من المحافل الدولية التي رفعت إليها الجزائر العديد من الشكاوى الواحدة تلو الأخرى بشأن ما تقوم به فرنسا في الجزائر من أعمال إبادة الجنس الجزائري بالرغم من أن الدولة الفرنسية في عهد ديغول وقّعت على اتفاقية تحرُم دولياً جريمة إبادة الجنس!! وفيما يلي مقتطفات من كتاب (ضد التعذيب) للمؤلف الفرنسي بيار هنري سيمون[1].

(1) أحمد محمد عاشوراكس (مقال في جريدة الزحف الأخضر)، العدد 422.

أولاً بناء على الاتفاقية الدولية الخاصة بجريمة إبادة الجنس المبرمة في 9 من ديسمبر 1948، اتهمت الجزائر فرنسا بإبادة شعب الجزائر وتقدمت بها إلى محكمة العدل الدولية لتتحرك وتدين فرنسا بمقتضى الاتفاقية المذكورة سلفاً حتى يؤمن الرأي العام العالمي بأن الإنسانية تعيش في عصر القانون، لا في عصر شريعة الغاب؛ إلّا أنه لم يحدث أي رد فعل ضد ما تقوم به فرنسا ضد الشعب الجزائري منذ عام 1948م، حتى عام 1962م.

قال الكاتب الفرنسي بيار هنري سيمون: (إنني لا أتكلم كثيراً عن القسوة والتعذيب وإلقاء القنابل على المدن والقرى بما فيها من نساء وأطفال ومواشي، ولا أتكلم عن حوادث القتل التي قام بها جنود المظلات، إذ من السهل على كل مسافر بالقطار الحديدي أن يشاهد على طول الطريق آثار دمار الحرب بادية في جميع المدن والقرى التي يمر بها جنودنا، كما يشاهد حطام المنازل التي أوقدت فيها نيران رشاشاتنا للانتقام. إن الجنود الفرنسيين يقومون غالباً بهدم المنازل وإحراقها دون شفقة ولا رحمة بسكانها، وقد قال لي أحد الجنود: هذا جميل جداً، يجب إحراق الجزائريين في مساكنهم الحقيرة لأنهم لا يفهمون إلّا بهذه الطريقة لسفالتهم.

وقال الكاتب أيضاً عن حادث وقع في 6 من يونيو سنة 1956م: (لم يصبني ملل من الحياة كما أصابني في الجزائر، فإن الألمان النازيين في وحشيتهم القاسية ليسوا إلّا أطفالاً صغاراً أمامنا رأيت بعيني إجراءات المكتب الثاني لجنود المظلات الذي كان يعذب الوطنيين الجزائريين طول اليوم بأبشع الوسائل لإرغامهم على الكلام، وذلك بوضع ماسورة في فم الوطني تحت ضغط الماء حتى يخرج الماء من جميع منافذ الجسم والأيدي مكتوفة وراء الظهر، ثم يعلق من رأسه حتى تخرج المفاصل من مواضعها، وحين ذلك ينهال عليه جنود المظلات ضرباً لا هوادة فيه ولا رحمة، وبعد

ذلك إن لم يعترف بشيء يرضيهم ـ يرتكبون عندئذ أشد الأعمال فظاعة ألا وهي تسليط الكهرباء على رأسه ورجله حتى يكاد يموت، وأخيراً يضرب بالخنجر بين الكتفين.

وأورد سيمون في كتابه (ضد التعذيب) هذه المأساة في 28 من مارس سنة 1956م، بقرية «أولاد باشيا»، أُلقي القبض على 32 رجلاً أعدموا دون محاكمة، بعد أن عذبوا العذاب الشديد، ولم تعد وجوههم تعرف بعدما أصابها من تورم وكسر ولم يكن هؤلاء الرجال قد حملوا السلاح أو شاركوا في الثورة، وإنما كانوا يعيشون في قريتهم ويباشرون أعمال الفلاحة وادعين».

وفي 5 من أغسطس سنة 1956م، أعدم 95 جزائرياً رمياً بالرصاص بناحية «دوار صراف» وقد استطاع الفرنسيون بعد هذه العملية أن يستردوا ثلاث بنادق من بنادق الصيد، ونظراً لفقدان النسبة بين عدد الضحايا وعدد البنادق المستردة فقد خفض البلاغ الرسمي عدد القتلى إلى 45، ويدل كشف الأسماء على أن هؤلاء القتلى يشملون نساء وأطفال ومن بينهم طفل عمره ثلاث سنوات، كما جاء في محضر البوليس[1]!!!.

وقال الصحفي الإنكليزي «جون جبتل»: إن متوسط عدد القتلى الجزائريين في سنة 1954 زاد 200 قتيل في الشهر الواحد، أما في سنة 1956م، فقد وصل المتوسط إلى 1400 قتيل في الشهر، ويرتفع العدد في الشهور الأربعة الأولى من سنة 1957، حتى لقد وصل إلى 2600 قتيل في الشهر. وقد قدم إليّ الموظف الفرنسي هذه الإحصائيات.

---

(1) حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي، (كتاب الجزائر بين الأمس واليوم)، العدد 272 ـ المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة ـ ص (66، 68).

وذكرت مجلة (الإكسبريس) الفرنسية بتاريخ 9 من شهر أبريل سنة 1957: «بينما كانت جميلة بوحيرد تجتاز مع اثنين من المجاهدين أحد أزقة القصبة في مدينة الجزائر تصدت لهم دورية فرنسية، وأطلقت عليهم الرصاص، فأصيبت جميلة في كتفها وسقطت على الأرض وتمكن رفيقاها من الهرب. ونقلها الجند الفرنسيون إلى غرفة التحقيق، وبرغم جراحها بدأوا يستجوبونها[1].

وعراها الجند من ثيابها وربطوا أطرافها بالحبال، وجاؤوا بآلة كهربائية ادخلوها في أطراف من جسمها وفي فمها، وكرروا العملية بيد أن جميلة لم تتكلم ومع هذا أحالوها إلى القضاء بتهمة كاذبة أنها ألقت قنبلة. وبالطريقة ذاتها انتزعوا إعترافاً من فتاة جزائرية أخرى، بأن جميلة أعطتها قنبلة لإلقائها على حشد من الفرنسيين، وعندما جاؤوا بالشاهدة إلى ساحة المحكمة لتكرر اعترافها، أصيبت بالجنون وحكموا على جميلة بوحيرد بالأعدام[2].

وتمضي المجلة الفرنسية فتقول: إن أفراد جيش التحرير الذين يقعون في أسر الفرنسيين يحرمون أبسط حقوق المتهم في الدفاع عن نفسه وتصدر عليهم أحكام الإعدام، وهي معدة سلفاً، وتحال إلى رئيس الجمهورية الفرنسية الذي يصدق عليها دون أن يستعمل مرة واحدة حقه في العفو!!.

وتضيف (الإكسبريس) أنه في خلال ستة أشهر صدر 450 حكماً بالإعدام في مدينة الجزائر وحدها، وأن المحكوم عليهم بالإعدام يضربون ضرباً مبرحاً وهم في طريقهم إلى المفصلة. وذلك ليمنعوهم من ترديد أناشيدهم الوطنية التي تتجاوب في سجن الجزائر حيث يجري الإعدام في القصبة. وتروي المجلة الفرنسية: إن الأناشيد التي يطلقها هؤلاء الأبطال

(1) نفس المرجع.
(2) نفس المرجع.

يتحدون بها ظلم فرنسا وبطشها يرددها معهم سكان القصبة كلهم[1].

وبالرغم من أعمال الإبادة ضد الشعب الجزائري، فقد أعلن أحد زعماء القطر الجزائري المناضل الأستاذ فرحات عباس بمناسبة مرور 6 سنوات من قيام الثورة الجزائرية (في أول نوفمبر 1960)، إن الاستعماريين الفرنسيين في الجزائر يقتلون ويذبحون ويعذبون وينهبون، ولكن هذه البربرية لن تجدي فتيلاً لأننا نشهد سواء شاؤوا أو لم يشاؤوا، زوال الاستعمار من الجزائر ومن أنحاء العالم الأخرى[2].



المجاهدة جميلة بوحيرد هي رمز النساء المناضلات في الجزائر اللآئي كن (من العام السابع للثورة) في صلب المعارك التحريرية جنباً إلى جنب أخيها المجاهد في سبيل استقلال الوطن الجزائري من براثن الاستعمار الفرنسي الهمجي. ولقد ارتكب الاستعمار من الجرائم ضد النساء يعف عنها كل إنسان ذو ضمير حي.

(1) نفس المرجع.

(2) مجلة الصياد بتاريخ 24 يوليو 1987م، (ص 6).



لقد شاركت المرأة الجزائرية في تقديم كل ما يشد به أزر المجاهدين الأحرار مادياً ومعنوياً في نضالهم المسلح ضد الغزاة الاستعماريين الفرنسيين وأعوانهم المجرمين. ومتى وصل الأسرى منهن يمارس الاستعمار الفرنسي أقسى وأفجع وأحط الأعمال الإجرامية ضدهن مما يستحي الإنسان أن يذكرها في هذا المقام.

(الصورة ـ المجاهد العدد 1403ـ 1987).



المجاهدون الجزائريون الذين حطموا إدعاءات فرنسا في الجزائر كما نرجو لإسرائيل نفس المصير في فلسطين، إذا اتحد العرب فلا شيء يقف أمامهم للفوز بالنصر.

المستوطنون الفرنسيون ــ الأقدام السوداء
LE (PIEDS NOIRS)

لقد أشرنا فيما سبق إلى المستوطنين الفرنسيين الذين أطلق عليهم «الأقدام السوداء» نسبة لصلتهم بأفريقيا[1]. وكان لهم دور فظيع في سفك دماء الجزائريين!!.

كانت الثورة الجزائرية قد دخلت في بدء عامها الثالث... وكان ضحاياها من الوطنيين، رجالاً ونساء وأطفالاً وكهولاً، قد زادوا بدرجة مخيفة جداً، وكانت طريقة الاستعمار الفرنسي في مقاومة الثورة تنطوي على وحشية وإجرام لا مثيل لهما الأمر الذي أثار ضده الرأي العام العالمي، وحقق أحرار فرنسا ذاتها احتجوا على أعمال بلادهم البشعة، حتى سميت حينئذ «بالحرب القذرة».

وقد ترتب على سياسة فرنسا الإجرامية أن وجدت في الجزائر طبقة «المستوطنين الفرنسيين» وهم أولئك المهاجرين الذين ملكتهم الحكومات الفرنسية المتعاقبة منذ عام 1830م، كل شيء في أرض الجزائر!!. وبلغ تعدادهم مليون مستوطن فرنسي!! وصار لهم قوة رهيبة طاغية؛ لأنها تملك كل ثروات الجزائر، على حساب تعاسة الشعب الجزائري، صاحب الأرض والثروة، وقد بلغ تعداده حينذاك 11 مليون نسمة.

---

(1) مجلة الفكر العربي، مراجعة كتاب (الأقدام السوداء) ـ الإنماء العربي للعلوم الإنسانية العدد 19 السنة الثالثة ـ يناير/فبراير 1981م ـ ص (341، 342).

ولقد قاتل هؤلاء المستوطنون الفرنسيون على نحو مسعور وعدواني بشع ضد الوطنيين الجزائريين، وكان لهم نصيب كبير في مذبحة يوم 8 ـ 5 ـ 1945م في عهد الجنرال ديغول الذي تنكر لمساهمة الجزائر في تحرير فرنسا من الاستعمار النازي في الحرب العالمية الثانية!! «الأقدام السوداء: تاريخ مجموعة، وصورتها» كتاب لدانيال لوكونت(*)، يتناول فيه الأقلية الاستيطانية الفرنسية في الجزائر ما قبل الاستقلال، والتي سماها الفرنسيون (الأقدام السوداء)، وهي التي جعلت سمعة فرنسا إلى الحضيض.

هذه الصلة يقول الكاتب دانيال لوكونت، بدأت تلفظ أنفاسها الأخيرة مع صيف عام 1962م، حين تدفق حوالي 800 ألف مستوطن فرنسي، عائدين إلى بلادهم الأصلية من الجزائر حديثة الاستقلال: لم تقاتل الوطنيين الجزائريين وتزهق أرواحهم دون غيرهم فحسب، بل قاتلت أيضاً ضد حكومة ديغول الفرنسية التي أحسوا أنها «خانتهم». وتخلت عنهم، بالموافقة على استقلال الجزائر، أو الجزائر «الفرنسية»، كما كان الاستعماريون الفرنسيون يسمونها. وتمثلت ردود أفعالهم الأخيرة في تفجير المباني، والمباني العامة في قلب مدينة الجزائر، وإحراق مكتبة الجامعة، وتمزيق أثاث بيوتهم، ورمي سياراتهم في البحر: لقد اختلط العدوان بالانتحار في لحظة اليأس.

وبعد عربدة التدمير هذه، تجمعوا في المراكب التي تنتظرهم وانطلقوا باتجاه فرنسا، مع أن الكثيرين منهم لم يكونوا قد رأوا فرنسا، كما أن غالبيتهم كانت تكرهها، وتحقد عليها؛ انطلاقاً من وعي حاد... «لخيانة ديغول»، الذي يقولون أنهم أتوا به إلى السلطة في عام 1958 (لكنهم حاولوا فيما بعد أن يغتالوه مرتين).

(*) دنيال لوكونت ـ تاريخ المستوطنين الفرنسيين ـ متناولاً فيه الحقبة من غزو الجزائر عام 1830 حتى الزمن الحاضر. DANIEL LECONTE- LES PIEDS NOIRS- HISTOIRE ET PORTRAIT D'UNE CONNUNAUTÈ, PARIS- SEUIL 316 pp.

هذا وقد استقر العائدون المستوطنون الفرنسيون من الجزائر في جنوب فرنسا وقد اتخذ الرئيس جيسكار ديستان منهم الحرس الشخصي في عام 1974م. هذا الامتياز الخاص جعل هذه المجموعة من الأقدام السوداء، تتصرف بفجاجة بالغة. واقتصادياً سهل لهم الحصول على القروض والتأمينات مقابل الأملاك التي تركوها في الجزائر. وانتقل من المستوطنين الفرنسيين ـ الأقدام السوداء إلى مونتريال بكندا حيث ساعدوا بعد ذلك في إثارة الشغب الانفصالي في مقاطعة كوبيك. كما انتقل آخرون إلى الأرجنتين في جنوب أمريكا! واستقر الأقل حظاً بينهم في كورسيكا حيث ساهم نجاحهم الاقتصادي في إثارة روح «الإنفصالية» الكورسيكية، ودفع الفدائيين الكورسيكيين لأن يدرسوا تجارب منظمة الجيش السري في القنابل البلاستيكية، ويستعملوها ضد مزارع «الأقدام السوداء» في الجزيرة الفرنسية.

ولقد حلّ الدمار إذن حيث حلت أقلياتهم! ويضيف الكاتب مشيراً إلى انهيار الحكم الاستعماري في الجزائر حيث واجهت اليهود الجزائريين معضلة خاصة بهم: فإلى جانب الصراع العربي ـ الإسرائيلي ومفاعيله، غالباً ما كان اليهود يمثلون الضحية التي يقدمها الحكم الاستعماري الفرنسي لإسكات أو «تهذيب»، الاحتجاج الوطني الجزائري: لقد غادر حوالي 30 ألف يهودي متوجهين إلى «إسرائيل» ليكتشفوا أن الأخيرة «تعاني صراعاتها العرقية الخاصة بها، بين يهود أوروبيين ويهود غير أوروبيين»، كذلك توجه بعضهم إلى فرنسا، واستقرت مجموعة منهم «بيلفيل» شمالي باريس، حيث يعيش الكثيرون من العرب، «وحيث تمتلىء الجدران بالكتابات المضادة بين الجاليتين، كلما اندلع نزاع في الشرق الأوسط»[1].

هذا وبقيت لنا ملاحظة هامة في هذا الموضوع بالذات الذي لا يعرفه معرفة جيدة إلّا أولئك الذين عاشوا عصر حكم هذه الطغمة الشرسة التي

(1) نفس المرجع.

جاءت مع الغزو الاستعماري الفرنسي والتي أسْتخْدِمَتْ لقهر الشعب الجزائري ونشر، بل فرض الجهل والفقر والعوز والمرض في ربوع الجزائر ليطول بقاء الاستعمار جاثماً على أديم أرض الجزائر لاستغلالها وسرقة خيراتها دون عائق. لقد كان الاستعمار الفرنسي طوال فترة وجوده في الجزائر يعمل بكل جهوده وإمكانياته على حرمان الشعب الجزائري من العلم والثقافة. وكان شعاره في ذلك: «عدو جاهل أفضل من عدو متعلم»[1]؛ لأنه كان يعتقد بأن العدو الجاهل يمكن السيطرة عليه وتسخيره لخدمة أهدافه الاستعمارية بكل سهولة ويسر إلى حد ما، بخلاف العدو المتعلم، فإنه من الصعوبة بمكان السيطرة عليه وتسخيره لخدمة الأهداف الاستعمارية التي يرسمها دهاقين الاستعمار ضد مصالح الشعوب ومستقبلها وسيادتها وكرامتها[2]. وقد كان المستوطنون الأوروبيون ـ وهم المسيطرون الفعليون على مصادر الثروة في الجزائر خلال العهد الاستعماري ـ يعارضون بدورهم معارضة شديدة قضية تعليم الجزائريين، سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية. ولذلك، كان تعليم أبناء الجزائر طيلة فترة الاحتلال الطويلة محدوداً للغاية. فقد كانت الأمية بين الجزائريين تمثل نسبة 95% بين الرجال، ونسبة 99% بين النساء عند نهاية الاستعمار الفرنسي في الجزائر في عام 1962م[3].

وفور حصول الجزائر على استقلالها بالقوة، بدأت معركتها من أجل التنمية الشاملة تحت شعار الثورات الثلاث التالية:

1 ـ الثورة الثقافية.

---

(1) د/تركي رابح (مشكلة الأمية في الجزائر مجلة الفكر ـ الإنماء العربي للعلوم الإنسانية ـ العدد 19 السنة الثالثة ـ يناير/فبراير 1981م ص (205، 209).

(2) نفس المرجع.

(3) مجلة المجاهد: (إعداد شباب الغد) من تقرير الأمين العام للحزب في المؤتمر الخامس ـ الجمعة 12 يونيو 1987م، العدد 1401، (الغلاف).

2 ـ لثورة الصناعية.

3 ـ الثورة الزراعية.

فقد كانت تلك الثورات الثلاث الهامة هي الأساس التي ارتكزت عليها الجزائر الحرة المستقلة بالرغم من المخلفات الثقيلة المعقدة التي خلفها الاستعمار وراءه!! طوال فترة تزيد على 130 سنة بعد تحررها من ظلم فرنسا واستشهد في سبيل استقلال الجزائر العربية مليون ونصف مليون من أبنائها المجاهدين. وبذلك لا يكون للاستقلال السياسي معنى إلَّا إذا دُعم دعماً شاملاً بالتنمية التعليمية والثقافية والصناعية الخفيفة والثقيلة والتنمية الزراعية ليستفيد الشعب من واقع الاستقلال السياسي.



ملاحظة، (الرئيس بن جديد) أثناء كتابتي لهذا التاريخ أولاً وثانياً لكون كنت مرتين في الجزائر للاحتفال والمشاركة بالنصر وثانياً الإتفاقية الإعلامية مع الجزائر.

ونستشهد بهذا الاتجاه القومي الصريح من تقرير الرئيس الشاذلي بن جديد القائل: «إن الأمر في نظرنا لا يتعلق فقط بتمكين المجتمع من أن يقطف الثمار الاقتصادية الصرفة، ولكنه يتعلق أيضاً وعلى الخصوص بإيجاد توازن وانسجام بين مطالب الجسد والفكر والروح، بصورة تساعدنا على تكوين مجتمع عارف بشخصيته معتد بماضيه وتراثه، معتمداً على ذاته وإمكانياته، متوجه إلى مستقبله وربه. تلك هي الاتجاهات الرئيسية التي يجب أن تركز عليها أنشطتنا ومساعينا لأعداد شباب الغد. ولذلك يقول الرئيس الشاذلي بن جديد يجب أن توفر له في هذا الإطار:

- تعليماً عصرياً متفتحاً على التقدم العلمي، يهتم بالظواهر التي تحدد التطور المستقبلي للإنسانية بعيداً عن الإنغلاق بين جدران المحافظة الجامعة وحدود التقليد الشكلي.

- ظروفاً مادية وتنظيمية تحقق تنمية اقتصادية[1]. واجتماعية وثقافية تستمد طاقتها من قدراتنا، وتكون موجهة نحو الانسجام والعدالة الاجتماعية في إطار قانون يسوي بين الجميع ويحظى باحترام الجميع ويطبق بوضوح وانصاف على الجميع (وهذا ما تستحقه الجزائر بعد الاستعمار الفرنسي).

ومن أجل قيام الجزائر البطلة بمهام الدولة الحضرية قولاً وعملاً وهذا ما تستحقه الجزائر بعد الاستعمار الفرنسي. مع توجيهاً وتطوراً ثقافياً متخلصاً من رواسب الجهل والإنغلاق، يشد شبابنا إلى موقعه الحضاري ويصله بجذور تاريخية والقيم الثقافية والروحية لشعبه».

---

(1) في الإتجاه نلاحظ جدية مسعى الرئيس بوتفليقة. ومن أجل قيام الجزائر البطلة بمهام الدولة الحضرية قولاً وعملاً.



مشهد للمستوطنين الفرنسيين العنصريين الذين سلبوا المزارع من أصحابها الشرعيين وفرضوا عليهم خدمتها دون مقابل ظلماً وعدواناً، الصورة من مجلة المجاهد ـ العدد 1403.

الفصل الخامس

(1) يضم هذا الفصل مجموعة من المقالات الإنتقادية السياسية التي كتبتها باسمي الصريح[1]، تحت عناوين مختلفة عن ثورة الجزائر العظيمة ضد سياسة الاستعمار الفرنسي الهمجي الذي حاول بكل ما يملك من القوة العسكرية القتالية ـ جنوداً وسلاحاً ـ أن يُصفي الثورة الجزائرية المظفرة!!! ومع ذلك انتصر الشعب الجزائري البطل الذي واجه بشجاعة نادرة ما اتخذه هذا الاستعمار الشرس من إجراءات حرب الإبادة الجماعية ضده لكي يضمن السيطرة على الجزائر!!.

(2) سيظل تاريخ النضال الجزائري الدامي الذي فاق ما مارسه الاستعمار الفرنسي من القتل والذبح والإرهاب، مأساة دير ياسين وصبرا وشاتيلا وحرب الإبادة في لبنان على يد البرابرة اليهود الصهاينة، سيظل هذا التاريخ الجزائري يردد مصاداته الأدباء والكُتَّاب والصحفيين والمؤرخين إلى يوم الدين.

(3) هناك من كان يعتقد أن ثورة الجزائر ضد قوة فرنسا هي ضرب من الجنون... ولكن كان من غير شك جنون مستحب للغاية. فقد حطم كبرياء فرنسا الأجوف وتحصل على نصر عسكري حاسم لا ينسى.

---

(1) أحمد محمد عاشوراكس/ كاتب وصحفي ومستشار إعلامي.

كلمة صريحة ضد العدوان الفرنسي

ماذا دهى دولة فرنسا ذات النزعة الآثمة في هذه الأيام العاصفة، تريد أن تضفي في سجل خطاياها.. الأسود.. رقماً قياسياً آخر في ضروب الوحشية ونذالة الضمير، فتطوح بفتاة في ربيع العمر، جميلة بوحيرد، في غياهب السجن تحت طائلة التعذيب.. وترمي بالملايين من شعب تلك الفتاة البطلة في جحيم مُستعر يقضي على كل أخضر ويابس!! ومتجسماً في شراذمة فرنسا الجائعة الحانقة على المساعدات والمعونات المتوالية التي تؤديها تونس الشقيقة لذاك الشعب المناضل. فأرادت والغيظ قد أطار صوابها أن توقف هذه المدد، فقطعت حبل المواصلات بين تونس والجزائر بأن أنشأت المنطقة المحرمة، وذلك لتظل سداً منيعاً أمام تونس.. الدولة العربية التي ضحت بالمئات من أبنائها البررة مشاركة منها، مشاركة إيجابية مع جيش التحرير الجزائري في بناء صرح الجزائر المنتظر[1]... ووقف رئيسها خطيباً يناشد العالم المتمدن الذي يعترف بالضمير الإنساني بحقوق الجزائر التي ابتلعتها بطون فرنسا منذ ما يقرب قرن بأكمله!!.

ومن بعيد.. بعيد جداً.. خلف البحر الأبيض المتوسط حيث توجد أرض فرنسا وقد أغرق ساستها جثثهم في بحر خضم من الإفلاس والكبت الاقتصادي، وذلك نتيجة ما تجره الحروب النكراء على شعب فرنسا الصامد من خسائر فادحة عليه في الأموال والأرواح.. الأرواح من أبناء فرنسا

---

(1) هذه هي الوحدة المطلوبة في الضراء والسراء.

الذين تكبلهم بسلك الجندية قسراً لتسوقهم بأيديها إلى الفناء حيث مقصلة المجاهدين الجزائريين.. المقصلة التي تفني وتحصد كل فرنسي آثم يتجرأ وتطأ قدماه بلادهم.. في حين أنها ـ أي: فرنسا ـ تدعي إرهابهم وتذليل عزائمهم وهممهم بالقبض على حفنة من أسرى معدودين تطيح برؤوسهم الشهيدة بمقصلتها التي عراها الصدأ من جراء ما أخفقت فيه عصابة «روبير لاكوست» السفاح من اقتناص أحرار الجزائر الكرماء.

في عهد جي موليه (1956 ـ 1957) عُين روبير لاكوست الذي طلب زيادة قواته العسكرية إلى نصف مليون جندي بالإضافة إلى المليون مستوطن فرنسي عنصري وفرق جنود المظلات لفرض بالقوة الخضوع والاستسلام على الشعب الجزائري الثائر. وقد بلغ عدد ضحايا الجزائريين في عهد لاكوست وحده نصف مليون جزائري أي خمسمائة ألف، 99% منهم من المدنيين العزل الذين لا يحملون سلاحاً ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.. من الشيوخ والنساء والأطفال وضحايا معسكرات التعذيب.

هذه هي فرنسا بلد الحريات ومعقل الثورة الكبرى تدور بها المقادير فتنقلب رأساً على عقب!! وإذا هي سفاكة آثمة تسلب حرية الآخرين وتقضي على الضعفاء والمستكين من الشعوب، في حين أنها كانت فيما مضى تتذوق الويل من الذل والهوان والعذاب الذي يصبه حكامها الإقطاعيين الطغاة.. ومات الآلاف من أفرادها ضحية سائغة بين هؤلاء الحكام. وعندما انفرج عنها عصر الطغيان والهوان كشفت عن وجهها نقاب جديد!! فانتفخت أوداجها..... وسخنت جيوبها وطار صيتها في الآفاق وتبتغي أن تجرب مبدأ السياط التي نهشت أجسادها منذ قرون في شعوب صغيرة ـ في أسيا وأفريقيا والشمال الأفريقي ـ لا تملك من أسباب الدفاع عن نفسها سوى معنويات وعزائم من فولاذ، رسخت كرسوخ الجبال تجاوبت وتماسكت

فأزالت بعضها كابوس الاستعمار الفرنسي ـ وأذكر هزيمة فرنسا وجنرالاتها في معركة ديان بيان فو ـ والبعض الآخر لا زال يكافح من أجل الانطلاق والتحرر من أغلال بلد ڤولتير وروسو، التي حطمت مبادئهما في هذا العصر.. والتي أضحت أمام العالم فقيرة تستجدي العون لتنعش اقتصادها وخزينتها من جديد! (فمنذ سنة 1954 إلى سنة 1957 ارتفع نفقات فرنسا العسكرية بمبلغ 616 ملياراً في كل عام. وبعد أن انتهت من حرب الهند الصينية لم تكتف بعدم إنقاص نفقاتها العسكرية فحسب بل أنها إزدادت عما كانت عليه بالنسبة لتلك الحروب أو بعبارة أخرى: إن حرب الجزائر تكلف فرنسا نفقات حرب الهند الصينية مضافاً إليها 600 مليار في العام)..

وها هي فرنسا الآن وفي موجة من السخط والحنق تعتريها وبحركة تمتزج فيها عوامل الجنون والعنف والانفعال تجبر ربع مليون جزائري على الجلاء من أراضيهم على طول الحدود ما بين تونس والجزائر.. لتتفرغ بعد ذلك في سحق الجزائريين المناضلين الأحرار!

(ولقد كان عهد فيلكس جايار أقذر العهود الاستعمارية إطلاقاً. كان عهده أشد عهود الاستعمار الفرنسي في الجزائر بشاعة وإجراماً وتدميراً.. لأن قواد الجيش الفرنسي في الجزائر ومن ورائهم المستوطنون كانوا يعرفون إن جايار لا يفهم في الحرب ولا في تكتيك أي شيء. ولذلك أطلقوا لأنفسهم العنان وانتهزوها فرصة ذهبية وحلموا بالربع ساعة الأخيرة!! وعلى رأسهم نفس السفاح لاكوست... فقام هؤلاء القواد في هذه المنطقة المحرمة وعلى طول الحدود التونسية الجزائرية بمذبحة بشعة حيث قتل فيها وشرد ثلاثمائة ألف جزائري. وتمت هذه العملية الإجرامية الرهيبة خلال أسبوع واحد.. وكل ضحاياها من المدنيين العزل، والقرى الآمنة!! بل إن حلماً جنونياً طالما راود أذهان القواد العسكريين وغلاة المستوطنيين

الفرنسيين في الجزائر لغزو تونس بالذات ومد نطاق المعركة إليها باعتبارها أنها كانت الطريق الذي ينفذ منه الثوار الجزائريين ويأتون من خلاله بالسلاح والمال والرجال.. وقد سمح جايار بالبدء في تنفيذ هذه الخطة.. فوقع الهجوم الفرنسي المعروف على ساقية سيدي يوسف، فدمرت تدميراً شنيعاً)[1]، إننا إزاء هذا الجور الفرنسي الهمجي لا نملك إلّا أن نستصرخ العالم الحر على أن يكبح جماح فرنسا العنيدة وتهورها الذي يفوق حدود العقل والمنطق.. وأن ينشل بطلة الجزائر جميلة بوحيرد من بين يديه التي تفوح منها رائحة الإجرام والمجرمين ـ نسأل الله العون إنه سميع مجيب[2].

***

(1) نشرت في جريدة، «طرابلس الغرب»، بتاريخ 9 ـ 3 ـ 1958م.

(2) المقتطف رقم (1) رقم (2) من كتاب «سقوط ديغول»، من تأليف السيد الشربجي ـ العدد 140 ـ الصادر في 3 يناير 1960م ـ ص 23/ 24. (كتب سياسية صادرة من الدار القومية للطباعة والنشر/ شارع منصور ـ القاهرة).

ستستمر الجزائر في إسقاط الوزارات الفرنسية

من المعلوم أن فرنسا قد وضعت الآن مقاليد أمورها في أيدي زعماء اتفقت وجهتهم الاستعمارية في القضاء على الثورة الجزائرية.. ومنذ حرب الجهاد الذي أعلنه الأحرار في الجزائر في أول نوفمبر 1954م.. لم تستقر وزارة فرنسية على كرسي الحكم، بل توالت وزارة تلو أخرى بمشاريع استغلالية.. أرادت أن تمتص دماء الشعب الجزائري المناضل وتجعل منه بقرة حلوباً ومركزاً اقتصادياً هاماً لفرنسا والمستوطنين الفرنسيين في الجزائر!! ورغم كل هذا فشلت تلك المشاريع الاستعمارية وسقطت الوزارات.

تقول مجلة نيوزويك الأمريكية ـ في مايو 1958م، ما يلي: «صرح أحد أعضاء الجمعية الفرنسية قبل إسقاط وزارة «فيلكس جايار» قائلاً: باستطاعة الأمريكيين أن يحزنوا على جايار اليوم ولكنهم وهم الذين قد أسقطوه وصاح (سوستيل) ـ من أتباع الجنرال شارل ديغول والذي قاد الهجوم ضد جايار وكان سبباً في إسقاطه قال: «إن أمريكا يقع عليها اللوم فيما حدث.. وأنه إذا كانت سياسة فرنسا تدار في واشنطن، فماذا إذن عملنا هنا».

ونتيجة لذلك صوتت الجمعية الوطنية الفرنسية ضد سياسة رئيس الوزراء بعد 162 يوماً من حكمه الجائر وتعتبر وزارته الخامسة والعشرين

بعد الحرب العالمية الثانية التي تصبح فيها فرنسا بدون حكومة تدير دفتها، وتجابه بها الإضطرابات السياسية والمظاهرات بالإضافة إلى نزيف مالي حاد ـ وكل هذا حدث لأن فرنسا لا تملك أن تجابه الحقيقة بشجاعة مرة واحدة! فبقذفها قرية ساقية سيدي يوسف ودمرتها في فبراير الماضي 1958م، والتي ادعت فيها أن هذه القرية كانت ملتجأ وملاذ للأحرار الجزائريين ـ كاد يكون هذا الإعتداء الغاشم شرارة ونواة لاندلاع حرب في الشمال الأفريقي.. ومن ذلك أسرعت كل من أمريكا وبريطانيا تقدمان وساطتهما في فض النزاع القائم بين تونس وفرنسا.

هذا وفي بدء الأمر وافق جايار على سحب معظم القوات الفرنسية من تونس مع احتفاظه ببعض شروطه على الحدود التونسية الجزائرية... وعندما تأزم الموقف بين الطرفين المتنازعين طلب الرئيس الأمريكي أيزنهاور منهما أن يحاولا الوصول إلى حل سلمي وفض المشكلة بطريقة ترضي الجانبين المتخاصمين، ولكنه عندما هَمَّ جايار أن يتفاوض مع رئيس جمهورية تونس للمرة الثانية على أساس شروط مساعي التوفيق جاءت هذه الوثبة كأنها حكم بالإعدام السياسي عليه.

وبمجرد إسقاط وزارة جايار اتسعت رقعة الشقاق بين أمريكا وفرنسا وذلك من جراء تدخل السياسة الأمريكية في شؤون فرنسا الداخلية! هذا وفق مزاعم النائب سوستيل الذي قاد الحملة ضد جايار حينذاك، لأجل أن يتولى مكانه في القتل والإرهاب.

ويعتبر «جاك سوستيل» الساعد الأيمن لديغول، والقائل أن أمريكا وبريطانيا تريدان طرد فرنسا من الشمال الأفريقي ليكون من نصيبهما وفق مشروع الرئيس الأمريكي أيزنهاور!! وعلى إثر هذه المزاعم نظمت أحزاب فرنسا اليمينية المتطرفة مظاهرات اجتاحت باريس ومحتجة أشد الاحتجاج

على تدخل أميركا في شؤون فرنسا.. وفي أثناء هذه المظاهرات التي كانت تديرها دوائر المستعمرين والرأسماليين، طُلب عودة شارل ديغول كي يحقق أهداف سياسة الاستعماريين في الجزائر!!.

وبعكس مزاعم جاك سوستيل، تريد أمريكا عن طريق وسيطها «ميرفي» أن تقوم فرنسا بالتشاور مع جبهة التحرير الجزائرية. وعندما استفسرت الدوائر الفرنسية لدى المختصين الأمريكيين عن وجهة نظر الأمريكي هذه، كان الرد أنه «لا تغير في السياسة» بل إن الدوائر الأمريكية تحبذ أن تقوم فرنسا تلقائياً، بمجهودات من نفسها، لتصل إلى حل ديمقراطي عادل للقضية الجزائرية.. وذلك تنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة كما طالبت في جلستها الأخيرة.. لأنه في اعتقاد المسؤولين الأمريكان أن قضية الجزائر ليست بعد الآن مشكلة تخص فرنسا بالذات بل جميع حلفائها.. وأن أي تأخير في إنهاء هذا الخلاف الناشيء بين فرنسا وبين الجزائر سوف يقود الأولى إلى عوامل جد عويصة يصعب حلها في الميدان العسكري والاقتصادي.

فهذه المسائل قد تشكل كارثة على فرنسا من جميع النواحي الأمر الذي سوف تدفع الجزائر إلى إعلان حكومة معترف بها من قبل عدة دول من ضمنها الاتحاد السوفياتي، وتصادم بين الشعب التونسي وأل 22 ألف جندي فرنسي المرابط حالياً في ثكناته بتونس.. وفقدان سمعة الغرب في الشمال الأفريقي بأجمعه.. وإثارة القضية من جديد إذا اقتضى الأمر إلى مجلس الأمن. هذا مع انتقال العدوى إلى مراكش حيث توجد فيها قاعدة استراتيجية للأمريكان!!.

إذن، إن أي انفجار يحدث في الشمال الأفريقي سيحطم الأحلاف الغربية هذا مع تضارب الآراء السياسية في نفس فرنسا بين زعماء الذين منهم من يطالب باستقلال الجزائر ومنهم من يقول: إن الجزائر ما هي إلّا

«جزء من فرنسا» والبعض الآخر يريد إصلاح الإدارة فقط.. ثمة من يقول: إن فرنسا لا يمكنها أن تستمر في سياستها في الجزائر بدون مساعدة أمريكا!!(عن مجلة نيوزويك الأمريكية)[1].

(1) نشرت في جريدة، «طرابلس الغرب»، بتاريخ 5 ـ 5 ـ 1958م.

الانهيار الحتمي للجمهورية الديغولية

لا يوجد هناك أي شك على الإطلاق بأن سياسة فرنسا الحالية تقودها نحو الإضمحلال السريع وتحط من شأنها ومكانتها بين الأمم التي أدانتها أخيراً وتألبت عليها وتركتها وحيدة تجر ذيول الهزيمة والإنكسار، وهي لا تملك حجة أو ذريعة منطقية تستند إليها.. فتراها تنفر من أن تجابه الحقائق الدامغة في جلسات الهيئة العالمية وتنسحب إنسحاباً مخزياً أمام الرأي العام المتمثل في الدول الحرة التي أيدت القضية الجزائرية.

والجمهورية الحالية التي يقودها رائدها الجنرال شارل ديغول تتخبط في أزمات لا حصر لها من عسكرية واقتصادية ومالية تتخبط عشواء لا تبصر.. حيث أنها أسست على أنقاض ورماد الجمهورية الرابعة التي أودت بفرنسا من قبل إلى الهاوية.. وظروفها الحالية زجت بها في ذراعي الفاشية واعتنقت مبادئه الاستعمارية الهدامة بعد أن طبق ديغول وأعوانه من بقايا حركة التمرد العسكرية في 14 مايو الصارم سياسة الحديد والنار!! بقيادة الجنرال «جاك ماسو»، قائد فرقة المظلات في الجزائر وصانع معسكرات التعذيب الدامية وحملات الإبادة والذبح الجماعي للمدنيين الجزائريين العزل.

وقد جعل النظام الديغولي الديكتاتوري من الجزائر منطقة بركان ثائر يجري فيه مناوراته وتدريباته العسكرية، ومسرحاً يتصارع فيه النور مع الظلام والحرية مع الإضطهاد.. ونظام كهذا مصيره حتماً الإنهيار عاجلاً أم آجلاً.. الثورة أصلاً لا تعترف بانصاف الحلول.. فالثورة الجزائرية لم تقم

من أجل المطالبة بتغيير حكام مدنيين كلاكوست السفاح بسالان الذي لا يقل عنه فظاظة وثم أخيراً بدولفري.. بل قامت على أساس جوهري واحد هو طرد المستعمر الغاصب الذي جثم على كرامة وعزة وحرية الشعب الجزائري بأكمله سنوات مجحفة طويلة... وترك هذا الشعب الثائر وشأنه يقرر مصيره بيديه، لا كما يريد الاستعمار الذي نفقهه تماماً ونعلم نواياه الخبيثة التي يُبيتها على أي شعب يحاول أن يضمه في منطقة نفوذه؛ لأننا عشنا في كابوسه مدة تزيد على 40 سنة، ذقنا خلالها الأمرين من الطليان والإنكليز... فنحن الليبيون نطالب جميعاً بأن الجزائر يجب أن تترك لأصحابها الشرعيين كما تركت ليبيا رغم أنف المؤامرات والدسائس التي دبرتها الدوائر الإيطالية والإنكليزية ضد إرادة الشعب العربي الليبي قبل عام 1951م.

هذا ومن الغريب أن نرى من مهازل أصدقاء فرنسا يولولون ويصرخون ويشفقون على قردة وكلبة صعدتا إلى طبقات الجو العليا، ويحتجون على الذين مانعوا في القيام بثورة المجر وانقلبت الدنيا رأساً على عقب آنذاك ولم تتحرك شعرة واحدة للمذابح والمجازر الجماعية التي تقام في أرض الجزائر، وعلى الأطفال والنساء والشيوخ العزل الذين شردهم الاستعمار الفرنسي من ديارهم وتركوهم يهيمون على وجوههم بدون مأوى أو كساء!! فبأي حق أو عدالة! تريد فرنسا الديغولية أن تحكم شعباً لا يمت بأي صلة تاريخية أو دينية أو لغوية أو قومية بها إطلاقاً. وبأي حق ومنطق تسلط جميع إمكانياتها وإمكانيات حلفاءها من الدول الغربية المادية والمعنوية على حد سواء على قوم عزل؟.

ولكن هيهات أن تنجح سياستها العقيمة هذه لأنه أي ـ المجاهدين الجزائريين البواسل ـ إذا انعدمت منهم الإمكانيات المادية، فإن لهم إيمان

راسخ ومعنوية قوية جعلتهم يصمدون ضد أسلحة حلف الأطلسي ويقف على قدميه طيلة أربع سنوات أو يزيد.. ولا يفوتني القول للقائمين على تلك المسرحيات الهزيلة أن يتداركوا قبل فوات الأوان الانهيار الحتمي للجمهورية الخامسة وما بعد الخامسة ويقبلون الشروط الشريفة المعروضة من قبل الحكومة الجزائرية الشرعية[1].

---

(1) نشرت في جريدة «الطليعة» بتاريخ 15 ـ 5 ـ 1958م.

الخطر الذري يطرق أبوابنا(1)
انتحار فرنسا في الصحراء

كان الضرر الذي أحدثته القنبلة الذرية.. خلال الحرب الأخيرة في كل من «هيروشيما ونجازاكي» في اليابان أثره الكبير بين شعوب العالم قاطبة.. إذ أن محدثي الإنفجار الذري هذا.. كان هدفهم المباشر القضاء على اليابان وتقصير مدة الحرب العالمية الثانية التي طحنت الإنسان والعمران!!.

وبهذا الإنفجار قد قدر لهم إبادة ما يقارب من ربع مليون من أطفال.. ونساء.. وشيوخ، بالإضافة إلى تدمير المدينتين تدميراً كاملاً.. واستفحال الإشعاع الذري بين ما بقي من حطام الكارثة.. وكانت هذه المأساة درساً حاسماً لكل من تسوله نفسه بأن يقترف جريمة تجاه الإنسانية بأسرها ويكون سبباً في فناء الجنس البشري.

وفي هذه الأثناء بينما أمريكا وبريطانيا تريدان أن تحذوا حذو روسيا على وقف انتاجهما وتجاربهما للقنبلة الذرية.. وذلك حسماً للنزاع وتفادياً لما تحدثه التجارب من أضرار جسيمة في الأرواح والممتلكات ورضوخاً لصيحات شعوب وبرلمانات والحكومات العالم في هذا المضمار، نرى فرنسا الديغولية بنزعتها الشاذة ومحالفتها لتدبير الشيطان لا تبالي بما أثير من

(1) وإن نسينا لا يمكن نسيان فرنسا قد زودت إسرائيل. بكل ما تحتاجه لبناء مفاعيل لصناعة القنبلة النووية. وهي في حوزتها (200) قنبلة نووية عدا الأسلحة الأخرى الخطيرة.

الاحتجاجات والاعتراضات لأجل وقف وإنجاح هذا السلاح الفتاك.. وما أوردته الأخبار من أن ما يقارب من (9) آلاف عالم من مجموعة 44 دولة قد قدموا استنكاراتهم ومعارضتهم إلى أمين هيئة الأمم المتحدة.. بمطالبة الإسراع بوقف هذه التجارب والوصول إلى اتفاق مرضي.. وحل سلمي.. تقوم فرنسا في هذه الآونة لتبني على الفشل الذي منيت به في الصين الهندية وأراضي الجزائر المكافحة، وانتفاضات الشعوب الحرة التي تحت سيطرتها - بعمل استفزازي وحشي أزمعت القيام به في الصحراء الجزائرية الأفريقية وذلك بإلقاء أول قنبلة ذرية لها والقصد منها لإرهاب الوطنيين الجزائريين وإرجاع مكانتها بين الكتل الكبرى.

وبديهياً أن ما يحيط بالصحراء الأفريقية من شعوب الجزائر ومراكش وتونس وليبيا.. ستكون جميعها قد تطرق ببابها الخطر الذري وتعرض لشعاعها المميت سكانها الآمنين - لذا ينبغي ألا نترك لهذا الجرم أن يرتكب ويمر بسلام دون أن نفقه مدى خطورته لنا ولأحفادنا من بعدنا ويجب أن نقوم بدعاية واسعة النطاق حتى نشعر الرجل العادي منا أننا في خطر ماحق لم تجابهه شعوب أفريقيا في أي وقت من الأوقات وحتى لا نحفر قبورنا بأيدينا.. ولا نظل صامتين فلا نحرك ساكناً.. بل من الأفضل أن نصرخ عالياً متحدين ومحتجين مع بقية شعوب العالم عامة وشعوب أفريقيا خاصة، بكل الأساليب التي من شأنها أن تقف التيار الجارف الذي يهددنا ويقرع أبوابنا.. وأننا من رأينا في هذا الصدد.. أن فرنسا لا تهدد الجزائر - أرضاً وشعباً - فحسب بل هي تهدد سلامتنا أيضاً نحن سكان ليبيا وتونس ومراكش.. وهذا يُعد تجرؤ منها ومخالفة للقوانين الدولية.. وشريعة وثيقة حقوق الإنسان!!.

ولكن لا أظن أن فرنسا سوف تحترم القوانين الدولية ولا شريعة حقوق

الإنسان طالما أن تاريخ الذي يحكم فرنسا اليوم هو ديغول ذاته الذي يحفل تاريخه بالمواقف الظالمة والجرائم الاستعمارية التي تكفي لوضعه ضمن قائمة أقذر الاستعماريين في العالم والتاريخ.

وعلى العموم، فمن حقنا نحن شعوب أفريقيا أن نوقف تجاربه الذرية عند حدها دون ارتكاب هذه المأساة المرتقبة على يد ديغول حليف الجنرالان جاك ماسو وسالان اللذين مهدا الطريق للأول لكي يتولى الحكم ترضية للمستوطنين الفرنسيين العنصريين أصحاب المصالح الحقيقية في استمرار حرب الإبادة في الجزائر[1].

* * *

(1) نشرت في جريدة، «طرابلس الغرب»، بتاريخ 8/ 8/ 1958م.

الدستور الفرنسي الجديد

وظهور ديغول على مسرح السياسة بعد غياب طويل

إن واجب المواطن العربي حيال قضية الجزائر يحتم عليه أن يقف وقفة المدافع عنها بكل الوسائل والأساليب التي من شأنها أن توضح للرأي العام العالمي والرأي العام العربي كافة ما يتصل بهذه القضية من غموض متعمد وملابسات تاريخية مزورة صاغها الاستعمار الفرنسي الغاشم لمنفعته الخاصة لسنوات طويلة!!.

وأن يكون على أتم الاستعداد والصمود للتعبير عن موقفه إزاء دعاوي الفرنسيين وأعوانهم ـ بإسرافهم في تزوير الحقائق وترويج الأقاويل المفتعلة ـ بالسيف والقلم.. ولعل هناك أو أكاد أجزم إخوان عرب تطوعوا مجندين على بطلان هذه المزاعم والإشاعات غير الواقعية.

إن فرنسا لم تنقطع يوماً واحد منذ اندلاع الثورة الجزائرية عن ترويج الإشاعات بين فترة الانتقال العصيبة التي آلت إليها رئاسة الوزراء في فرنسا وظهور شارل ديغول على مسرح السياسة بعد غياب طويل.. فقد تواردت الأنباء بعد مضي بضعة أشهر على الوزارة الحالية بخبر الدستور الجديد الذي أقره مجلس «ديغول» الذي ينوي شرحه أمام شعب فرنسا وشعب الجزائر على حد سواء دون أن يبدأ في استفتائه في هذه الأيام!!.

نكتب هذه السطور عند ظهور الدستور الديغولي الجديد الذي لن يكون

له فائدة مرجوة للجزائر خاصة، وهي التي ثارت على الظلم والطغيان من أجل حريتها واستقلالها المسلوبين عنوة.. ولا يمكن أن ترتضي بهذه الوثيقة التي ستشوه معالم الجزائر وتقضي على الروح الوطنية فيها.. وأن الدستور الذي لا ينبثق من صميم الشعب صاحب الكلمة الأولى والأخيرة... من الشعب الجزائري المناضل الذي عبر عن عدائه المتمكن للاستعمار الفرنسي الظالم بكلمة صريحة ألا وهي الثورة، فإنه يعتبر دستوراً خارجاً عن شريعة البلاد وعن مبادىء وتصميم الشعب الأبي الجزائري المناضل.

وإن لكلمة الثورة الصريحة التي يواجه بها المجاهدون البواسل.. الاستعمار الفرنسي الغازي... لأفضل تعبير صريح حاسم للفرنسيين العتاة الذين باعوا ضمائرهم وتجردوا من روح الإنسانية.. وكأنهم يتخلصون من عبء ثقيل قد يجرهم إلى الفشل الحقيقي، الفشل في عدم الحصول على أي انتصار ضد الثورة الجزائرية. بدليل أن مجلة «المجاهد» الجزائرية المؤرخة في أول أبريل 1958م، قالت: «إن المؤرخ الذي سيكتب في يوم من الأيام تاريخ الانحلال الذي تجتازه فرنسا الآن سيضطر إلى تقسيمه إلى عدة أبواب.. الانحلال الاقتصادي ـ الأخلاقي ـ والإداري والعسكري والسياسي.. إلى آخره».

ولقد بدأت الدعاية المغرضة في نشر أخبار من حين إلى آخر قبل بدء جولة الجنرال ديغول إلى الجزائر بالذات لكي يشرح أهمية الدستور بالنسبة للشعب الجزائري.. هذه الدعاية التي لا تستند على أساس منطقي.. تقول: إن (3) ملايين من الجزائريين قد صوتوا بالموافقة على اندماجهم «بالأم فرنسا» ـ كما يدعون ـ وذلك بحكم الدستور الجديد هذا!! ويستغرب المرء كيف يكون هذا «الاندماج».. وحرب الإبادة بالجملة وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ وتدمير القرى بكاملها بقصد الانتقام لأنهم رفضوا

ويرفضون الاندماج «بالأم فرنسا» الحنونة!!! فمتى وأين كان التصويت؟!

هذا وتتوارد من مصادر أجنبية غربية مطلعة على سير الأحداث في الجزائر.. فتقول: إن حوالي 300 ألف ضحية جزائرية في ظرف سنتين فقط قد قتلوا لأنهم أرادوا أن يعيشوا أحرار مستقلين في أراضي أجداد أجدادهم... وبعد هذا.. فكيف يكون الاندماج حقيقة وواقعاً في نظر «الأم فرنسا».

ففي الوقت الذي تحتفل فرنسا سنوياً بثورة عام 1789م، التي ضمت من أجلها الكثير لكي تكون حرة من الإقطاع والطغيان.. تراها ترفض الاعتراف بالحق الطبيعي للآخرين بأن يعيشوا مثلها أسياداً في أوطانهم.. طبقاً لتصريح 14 أغسطس 1941م ولميثاق «سان فرانسيسكو» الذي كان أهم مبادئه هو مبدأ «حق الشعوب في تقرير مصيرها». وطبعاً هذا منطق غير وارد في عقل فرنسا!!.

والعجيب والغريب حقاً أن فرنسا نست أو تناست استعمار ألمانيا النازية في عام 1940، وبعد أن تحررت بفضل الحلفاء ومساهمة الجندي الجزائري البطل، تعد مطالبة الشعب الجزائري بحقه في الحرية والاستقلال جريمة!! بينما يكون للمليون فرنسي المستوطنين في الأرض الجزائرية (الحق) في السيطرة على العشرة ملايين من الوطنيين الجزائريين.. بل (الحق) في إبادة الشعب الجزائري لأنه رفض ويرفض أن تداس كرامته من هذه الفئة الحاقدة الذين عبثوا طويلاً بالبلاد.

فلو أن فرنسا ترجع إلى رشدها وتعترف بالأمر الواقع وتمنح الاستقلال لطالبيه. فبهذا لا أظن أنها تخسر شيئاً.. فلا ينفع لها سياسة التآمر والبطش والاعتداء على الشعب.. وتضليل العالم.. لأن القومية عامل فعال تدفع الأمم المستضعفة إلى الشعور بأن لها كيان في أوطانها

المغتصبة أو المغصوبة.. وعندما تشعر أمة ـ أو شعب ـ كالشعب الجزائري ـ بما يربطها من اعتقادات ومبادىء ووحدة العادات ووحدة اللغة والعنصر والتراث وطريقة الحياة التي تحياها.. عندئذ هذه العوامل جميعها توحدها وتسير بها إلى شاطىء السلام.. هذه الإحساسات تشعرها بعدم الاستقرار وبعدم الرضى وبالكبت والهوان عندما تفقدها. ولذلك تكافح الأمة أو الشعب.. على الدوام حتى ينالها للاطمئنان على وحدته وحريته.... والشعب الجزائري سائر في نفس الاتجاه[1].

في هذا المقال لم أتناول المدارس المختلفة في مفهوم التعريفات والمقومات الخاصة بالقومية واللاقومية والأمة والشعب لأن هذا كله ليس مجاله للبحث... ولكن كما يقوله المؤرخون القدماء: إن القومية العربية قد وجدت منذ تاريخ بعيد على مدى عصور طويلة في ظل عالم عربي واحد الذي يمتد حدوده من الإسكندرونة إلى جبل طارق على ساحل البحر الأبيض، ويمتد من المحيط الهندي والخليج العربي إلى جبال الموصل في الشمال، كما يمتد في أفريقيا إلى منابع النيل. ففي هذه الرقعة البارزة فقد كانت وما زالت تعيش القومية العربية واقعاً حياً... فألَّفت بين شعوب وربطت بين دماء وأحكمت أواصر القربى بين أشقاء في السراء والضراء وفي تسامح وتساهل حتى جاء الاستعمار الغربي فبدأ في تمزيقه وبث الفرقة والإنقسام ليسود ويبتز خيراته!! وثار الشعب العربي في وطنه لأجل إجلاء المستعمر البغيض ليحقق وحدته وحريته وتقدمه في عالم غربي جديد هدفه تفتيت وحدة الشعب العربي بعد أن نال حريته بحد السيف مرة أخرى!!.

* * *

(1) نشرت في جريدة، «طرابلس الغرب»، بتاريخ 18/ 8/ 1958م.

الحكومة الجزائرية الحرة

تضرب بالدستور الفرنسي الجديد عرض الحائط

ومما لا شك فيه كان يوماً فاصلاً حاسماً.. ذلك الذي أعلن فيه قيام حكومة حرة لشعب حر مكافح... قد اعتدت على استقلاله وسيادته دولة قد اشتهرت بين الدول.. بنذالة الضمير وفساد الخلق ووحشية السياسة والتدبير.. إنه ليوم تاريخي خالد وعيد قومي شامل.. يوم أذيع نبأ انبثاق انتصار مؤزر حققته الثورة الجزائرية بعد مضي أعوام أربع.. ظلت خلالها صامدة لكل ضروب التنكيل والقتل والتقتيل والإبادة الجماعية قررتها فرنسا لسكان الجزائر المناضلين.

وذلك لخطة أولية في قمع كل من يقف عقبة صعبة لإرادتها التعسفية!!. إن مولد الجمهورية الجزائرية المرتقبة لحدث عظيم وخطوة جريئة نحو مستقبل باسم، يزخر بالحرية والاطمئنان ويبشر بقرب إضمحلال سلطان فرنسا الغاشم في الشمال الأفريقي بأجمعه إلى الأبد.

ولقد كان للجزائر ماضي حافل يذكره التاريخ بأسطر بارزة.. تحكي مدى ما كانت عليه الجزائر من قوة وبأس وجاه وثراء ورفاهية.. في حين كانت هناك دول المسماة (بالعظمى) في وقتنا هذا لم تنل استقلالها بعد كأميريكا مثلاً.. وكانت الجزائر مهما يذكر من وفائها وحسن معاملاتها لفرنسا الجاحدة الغادرة.. المناط الأول في حروبها التوسعية التي اشتهرت بها في التاريخ وبأبناء الجزائر كونت فرنسا منهم جيوشاً تحت أمرتها

وإشرافها لتحارب بها أعداءها ورمت بهم وقوداً وضحايا بريئة دون هوادة ولا رحمة في الحروب التي خاضتها فرنسا مع الفيتناميين وجنود المحور.. كان الجزائريون المجندون المعول والمساعد الأيمن الذي اعتمدت عليه في إحراز النصر!!.

ورغم ما قدمته الجزائر من دماء سخية في سبيل فرنسا على سبيل الإعانة، فإن فرنسا تنكر المعروف وتدفع بالمثل العليا التي نادت بها قديماً.. فتغدر بالجزائر.. أرضاً وشعباً ـ غدراً ترك أثره بليغاً في أعين الجزائريين ووطدوا العزم مهما كانت الظروف على الكفاح ونيل مطلبهم في الاستقلال والحرية.. وقابلتهم فرنسا بتمسكها وتعلقها بأرض الجزائر لأنها تعتقد فيما بينها وبين نفسها أنها غير قادرة أن تترك الجزائر بسهولة ويسر.. فهي في مقامة قلبها النابض الحي الذي منه يمكن أن تحتفظ بمكانتها كدولة (كبرى) بين الدول على حساب الجزائر!! وزد على ذلك تريدها بقرة حلوب لأن فرنسا صارت مفلسة مادياً ومعنوياً... وهو نفس الإعتقاد والمنطق الاستعماري الذي وعته أسماعنا من دول أخرى.. فالهند كانت في نفس الوضع آنذاك بالنسبة لبريطانيا، وقد نالت استقلالها بفضل جهادها، والآن لها كلمتها المسموعة في المحافل الدولية.. ومصر كانت تعتبر هي الأخرى عنق بريطانيا في الشرق الأوسط.. ولكنها تملصت من الاحتلال البغيض ببتر العنق الذي منه ينتهي الذنب، وأصبحت بين عشية وضحاها كلمتها هي العليا.. بفضل حنكة وكياسة أحرارها رجال الثورة الذين تمكنوا من طرد الإنكليز من أرض مصر بعد أن جثم على صدرها أكثر من سبعين سنة حتى قامت ثورة 23 يوليو 1953م.

وبما أن للجزائر ظروفاً تطابق كلا البلدين من حيث تجارب الاستعمار الهمجي فيها وامتناعه من الجلاء إلّا بالقوة.. فإننا كشعب شقيق لهذا

الشعب المناضل، نهيب بهذا اليوم الأغر ونقدره حق تقديره من حيث الأهمية العظيمة بقيام حكومة من صلب الشعب الجزائري، بددت حلم فرنسا التوسعي في الجزائر وما حولها من أقطار الشمال الأفريقي ـ وأزاحت اللثام عن وجهه الحقيقي، لتكون الحرب بينها وبين فرنسا المتعجرفة حرباً فاصلة بين دولة ودولة لا بين عبيد وسيد!!.

هذا وقد كان هدف الثورة الجزائرية كما هو معلوم توفير الظروف لحفز الكفاح التحرري في الداخل لأجل نيل الاستقلال والعمل الجدي على إيجاد ما يساعد على الحصول ما تبغيه الثورة من الأشقاء العرب مادياً ومعنوياً وكذلك من الأصدقاء في العالم[1].

* * *

(1) نشرت في جريدة «طرابلس الغرب» بتاريخ 23 ـ 9 ـ 1958م.

على هامش قنبلة فرنسا الذرية!!

قد سبق وأن كتبنا عن الخطر الذري الذي يطرق أبواب شمال أفريقيا دون استثناء.. واليوم نقول: إن فرنسا تعاني من الأَزمات ـ رغم تكتمها وتضليلها للرأي العام، ما هو جدير بالذكر ومن المآسي الداخلية والخارجية الشيء الكثير.. وتريد فرنسا أن تعيد هيبتها بالقنبلة الذرية!!!.

فمنذ دخول فرنسا في معركة طاحنة رهيبة مع أحرار الجزائريين إلى يومنا هذا وهي تتخبط وتتعثر في مشاكلها التي لا تحصى، وذلك عندما صممت بأن تتمسك بأساليبها الاستعمارية في جميع ممتلكاتها الواسعة وخاصة في الجزائر الشقيقة بعدما وضعت الحرب أوزارها في عام 1945، وكشفت عن شخصيتها المعروفة لدينا فدأبت على سياسة التقتيل والإبادة لمستعمراتها التي كتب لها القدر أن تكون ضمن منطقة نفوذها.. وأعتنقت مبدأ الحديد والنار!! (فقد سبق لديغول الذي أعلن من الجزائر حكومة فرنسا الحرة بعد إنزال قوات الحلفاء بها في 8 ـ 11 ـ 1942م، أن رفض رفع الحماية الغاشمة عن تونس وعزل «أحمد المنصف ـ باي تونس» وتصرف ديغول مع المغرب الأقصى نفس السياسة الظالمة، وكذلك مع سوريا بعد أن عادت القوات الفرنسية بواسطة الحلفاء)، فقد ظهر ديغول على حقيقته يحلم بالإمبراطورية الفرنسية على نحو ما كان حكام القرن الماضي يحلمون!!.

إن قولنا هذا لا يمت للخيال بصلة.. بيد أنه من صميم الواقع

للتجارب والأحداث التاريخية التي مرت سنوات ما بعد الحرب وفقدت فرنسا قواتها وإتزانها العقليين وأصيبت بأمراض عدة نذكر منها ـ مركب النقص ـ ولا ريب فجميعنا يعلم نتيجة هذا الداء ـ فحكام فرنسا وعلى رأسهم الجنرال ديغول وشركاه الذين يسيرون في نفس التيار المتعجرف الذين فقدوا به جمهوريتهم الرابعة، هم بدون أدنى شك، مرضى مساكين وأحق بهم أن يلزموا جانب الحكمة والعقل ليتداركوا مأساة الجمهورية الراحلة ويعيدوا لكل ذي حق حقه.

وإننا لنرثي لهم وما أحوجهم لهذا الرثاء الذي قد يخفف عليهم في مواقفهم الحالية والقادمة!! ومن المفارقات العجيبة التي نراها اليوم تحدث في أرض الخزعبلات والخيال أنها ـ أي: فرنسا ـ قد صرحت منذ أشهر بأن لديها سلاحاً ذرياً فتاكاً تريد أن تفجره في الصحراء الكبرى وذلك داخل ضمن منطقة التجارب التي حددت موقعها!!.

ولقد قامت تجاه هذا التصريح العدائي، أصوات احتجاج وعدم استكانة لما تقرره فرنسا الديغولية بالقضاء على مصادر الحياة في الشمال الأفريقي وخراب ما يحيط بمكان التجارب من مساكن قائمة وإفناء الجنس البشري هناك.. ليس هناك أي مبرر السكوت على الخطر!!.

وإلى جانب تلك الأصوات الاحتجاجية خيمت على ليبيا في تلك الآونة سُحب تفكير غاضبة خانقة ومرتقبة معبرة عن الجرم الفادح الذي ستقودنا نحن عرب المغرب العربي الكبير فرنسا به إلى هاوية الهلاك دون معين إلّا العلي القدير لما سبق أن ذكرناه من النزعة الوحشية الجاثمة على حكام فرنسا ونتيجة للتحول الطارىء الذي ترددت فيه فرنسا... وقف رئيسها الجنرال ديغول خطيباً في إحدى بياناته وصرح أن القنبلة الذرية

ستصنع بكل الوسائل الممكنة وستفجر قبل الموعد الذي حدد من قبل الدول التي تملك هذه القنابل وذلك في 31 أكتوبر الفارط.

إلاَّ أن هذا كله كان يمارس الإرهاب والتضليل، فالأنباء الأخيرة تطلعنا بتصريح ينقض ما قاله الجنرال ديغول.. فقد أعلن وزير الدفاع الفرنسي في حكومة ديغول بأنه من المستحيل أن تقوم فرنسا بتجربتها لعدم وجود مادة التفرقع، وأكد أنه من الصعب بمكان إيجادها حتى في السوق السوداء. «والواقع أن فرنسا ستحصل على نصيبها من هذه المادة البعيدة المنال من حلفائها الغربيين بالذات وبطريقة ملتوية.. كما علمتنا التجارب سابقاً في جميع المناسبات التي يتعسر على فرنسا أن تحقق أحلامها وأمالها فيها بنفسها». فقد كانت فرنسا تعتمد كثيراً على موقف وتأييد الحلف الأطلسي بقيادة أمريكا.

ونحن العرب إزاء هذا التصريح الفرنسي سواء كان صحيحاً أو تضليلاً ينبغي علينا أن نحتاط للأمر الخطير؛ لأن الطبقة الحاكمة في فرنسا ومن وراءها المستوطنيين الفرنسيين المتعطشين إلى سفك دماء الأبرياء بدون هوادة كسوف يجر ظميء الطغاة الجارف إلى التملك بتلك القوة الرهيبة التي عجزت عنها فرنسا بسبب مادة ـ البلتوميوم ـ عاجلاً أم آجلاً في الوقت الذي تقوم الشعوب الحرة المكافحة في هيئة الأمم المتحدة على إيجاد حل لوقف هذا السلاح المدمر للإنسان والعمران..

هذا بالرغم من أن معظم الفرنسيين في فرنسا يعرفون جيداً أن حرب الجزائر تجر في أذيالها الخراب والدمار للشعب الفرنسي الذي ينفق الأموال الطائلة في حرب خاسرة 100%.. فإن الجنرال ديغول الذي يسير وفق أهواء المستوطنين الفرنسيين، لا وفق مصالح فرنسا، يريد أن يفجر القنبلة الذرية لإرهاب الشعب الجزائري فقط!!.

إن ما ينهي عذاب فرنسا سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ليس في استمرارية الحرب، بل الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال بعد أن رفض أي حل يتعارض مع مطالبه الوطنية الخالصة[1].

(1) نشرت في جريدة «الطليعة» في شهر نوفمبر 1958م.

منطق فرنسا اليائسة ومنطق الجزائر الحرة

بادىء ذي بدء لا نكتب ولا ننتقد إلّا ما ننفعل به من غير إبهام ولا غموض سالكين منهج الذي يتفق مع واقع الأشياء المنطقية. ومن الطبيعي أن يصبح الوعي الوطني قوة ضرورية لا غنى عنها في إعطاء صورة تنطبق على الواقع. فالحقيقة تطف دائماً على السطح. ولا يمكن أن تنطلي ما قامت وتقوم به فرنسا تحت عهود مختلفة في الجزائر ـ أرضاً وشعباً منذ 1830 على ذوي الوعي الثاقب في وقتنا الحاضر.

من هنا يتبين أن الواقعية في هذه الأيام تلقي أضواءها الكاشفة عبر الأنباء.. حيث يلوح بصيص من نور لا يلبث أن ينجلي عن هالة وضاءة تقشع سحباً من الرياء والزيف قد سيطرت زمناً على أرض الكفاح الجزائري وتنتصب بقامتها في شموخ لتسطر في لوح القدر أكذوبة فرنسا وتعلن ظهور الحق بعد احتجاب طويل.

ولقد طالعتنا الأخبار الأخيرة ببيان الجنرال ديغول الذي يتعلق بالوضع الراهن في الجزائر الشقيقة حيث اتضحت من خلال حديثه، سياسة فرنسا العوجاء وظهرت للعالم أجمع الحقيقة التي لا غبار عليها وذلك فيما يتعلق بالانتخابات التي زورت حقاً كما توقعها الأحرار في كافة الأقطار.. وأن الأصوات هي أيضاً مزورة بطرق الخداع التي خبرها السادة الفرنسيون البغاة مثل موريس بورجيس.. بدليل أن هذا البيان الديغولي جاء ليفضح دون قصد منه وليؤكد بصراحة لاذعة بطلان العملية التي أجريت بها بما يسمى بالانتخابات في الجزائر!!.

وعلى ضوء هذه النتائج التي كان لحكام فرنسا أن يتوخوها من هذه

الانتخابات.. نرى أنها سلبية بالمعنى الصحيح وإيجابية في آن واحد للشعب الجزائري الذي استطاع بكفاحه المستميت وتمسكه بحقه في الحرية والاستقلال.. أن يبدد الوهم الامبراطوري الباطل الذي كانت فرنسا متمسكة به حتى عام 1958. ورأى ديغول أن يضيف بعد بطلان عملية الانتخابات.. إن النضال الفرنسي في الحرب العالمية الثانية كان على أكتاف الجزائريين البواسل.. وأن إنعاش ورخاء بلدة فرنسا في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والعلمية مرتبط إرتباطاً كلياً بالجزائر..

هذا الكلام جاء بطبيعة الحال بعد أن اكتشف في الصحراء الجزائرية الذهب الأسود.. وبعد أن رأى خزينة دولته المنهارة على وشك الافلاس حيث تغرق في كل عام في عجز مالي فظيع لا يقل عن ألف مليار فرنك بالإضافة إلى فساد النظام السياسي المتذبذب والمعتمد على مصالح المستوطنين الفرنسيين العنصريين في الجزائر المكافحة.

لذا يتبين لنا مما تقدم أن عناد وإصرار القائمين بأمر فرنسا من الرأسماليين والاشتراكيين والاستعماريين يعزا إلى حياة أو موت دولتهم في المجال الدولي ببقاء أو ضياع أرض الجزائر من بين حوزتهم خاصة بعد اكتشاف البترول!!.

يقول جون ستراشي في كتابه «نهاية الاستعمار» ص 162: ـ «من أجل مصلحة فرنسا نفسها ـ أن تترك البلاد (الجزائر) لأهلها. إن ما حدث لفرنسا ليوحي إلينا بما كانت بريطانيا قد تتعرض له لو أنها صممت عام 1945 على خوض معركة من أجل الاحتفاظ بإمبراطوريتها. لقد كانت الامبراطورية البريطانية أكبر والحركات السياسية في ممتلكاتها الكبرى (الهند) كانت أشد وأقوى منها في الامبراطوريتين الفرنسية والهولندية، وإذاً فلو أن بريطانيا حاولت المحافظة على امبراطوريتها بالقوة لكان في ذلك هلاك محتوم. فقد تجنبت بريطانيا هذا الخطر بعد أن تخلصت من هذا البهرج الزائف الذي خلقته أيام عز الامبراطورية».

ولا يفوتني في هذا الصدد أن أذكر أنه طالما وجد منطقان متناقضان معاً فإن انفجاراً ما سيحدث بينهما يؤدي إلى فوز الأصلح منهما.. وثورة التحرير الجزائرية إنما قامت لا لكي تطالب بإجراء انتخابات وإصلاحات جديدة زائفة.. بل لتجعل الاعتراف بحقها الشرعي في الاستقلال التام من غير مُزايدات المنافية لمبادىء جبهة التحرير الوطني التي تخوض حرباً حقيقية ضد الاستعمار الفرنسي البربري.. ولتجعل الثورة من تراب الجزائر الطاهر مقبرة لجنود فرنسا الذين ذبحوا الأطفال وبقروا بطون النساء وأعدموا الشيوخ دون أن يخشوا رادعاً ويخافوا عقاباً.

أما وقد سارت الثورة الجزائرية أشواطاً ناجحة جادة في تحقيق أهدافها الثورية ضد الاستعمار الفرنسي.. فإن الانتخابات المزيفة والمشاريع الوهمية التي نوه بها الجنرال ديغول في بيانه.. لا تجدي فتيلاً تجاه عزيمة الشعب الجزائري المكافح الذي صمم على أن يبذل آخر رمق من حياته من أجل الحرية والاستقلال لكي يصل إلى ما يريده من مكانة تكفل الحرية والسيادة والحياة الكريمة في طول البلاد الجزائرية وعرضها محطماً أسطورة «الجزائر فرنسية» بل الجزائر للجزائريين الأحرار(1).

دموع التماسيح والاستعمار الغربي القبيح

سوف نعرض بالتحليل ما نقصد بدموع التماسيح. إنه غالباً ما تخاض معارك طاحنة بين نفسي وضميري وينشب صراع لا يفتر بين هاتين القوتين حيث يحرز ضميري الانتصار ويقبض زمام نفسي ويقودها نحو شاطىء الأمان.. ولشد ما يؤلمني ويحز في قرارتي حالما تقع عيناي على ما ينافي

(1) نشرت في جريدة «طرابلس الغرب»، بتاريخ 29 ـ 1 ـ 1959م.

الوعي والوجدان. . إذا كان هناك وعي ووجدان حقيقتان في هذا العالم المتكهرب الذي يحمل بين جوانحه المتناقضات. . من حقد وحب. . ونفاق وإخلاص وحرية واستعباد.

وكثيراً ما تتغلب غريزة التملك وحب السيطرة وتضرب حصارها في انحاء متفرقة من عالمنا فتنقض على الشعوب المستضعفة بدون أي حق تستند إليه. . اللهم إلّا الأنانية واللصوصية والإجرام والإبادة الذي يتمثل في الاستعمار بأنواعه المختلفة. . وتضرب هذه الغريزة الفاشية بالمواثيق الدولية الصريحة التي نحث على حفظ كيان الإنسان. . . والهيئات العالمية التي تسهر على سعادة البشر عرض الحائط!!.

وبالرغم من استهتار هذه الغريزة السلطوية بالقيم والمبادىء إلّا أنها تذرف دموع التماسيح على من نفذ فيهم كاسترو زعيم كوبا حكم الإعدام في المدة الأخيرة لأنهم أعاثوا الفساد في أرضهم وجعلوها مطية تحت أقدام الاحتكاريين والمستغلين!! وقامت القيامة حينئذ في الدول الاستعمارية التي تتزعم أجزاءاً من أقطار العالم ونعتت أعمال فيدل كاسترو بأنصار باتيستا بالوحشية!! بيد أنه لم تقم صيحة احتجاج أو لوم للجرائم والذبح والدمار والمحرمات التي تنتهك يومياً وعلى مسمع من العالم المتمدن في أرض الجزائر ضحية الاستعمار الفرنسي الغاشم!!.

أجل لم أقرأ قط أو أسمع أن إحدى تلك الدول تقدمت لتحد من هذه المجازر البشعة التي تقوم بها فرنسا ـ أم الحضارة الغربية!!. . . بل على النقيض من هذا فهناك مساعدات وامدادات مادية تنفق وما أكثرها في سبيل الظلم واستعباد الشعب المغلوبة على أمرها والإجحاف بحقوق الإنسان المدونة في وثيقة الإنسان الدولية!!.

لقد أعدم فيدل كاسترو 150 شخصاً، فأثار ضجة عنيفة في الدول الغربية الكبرى المعروفة وصدرت عنها أصوات استنكار على عملية الإعدام،

ولكن.. يا للعجب.. إن هناك ما يقارب النصف مليون جزائري قد شردوا بين أنياب الصواعق المحرقة وبالتالي هناك مليون فلسطيني طوح بهم الاستعمار الصهيوني البغيض في العراء ومنهم اللاجئين الذين هبت عليهم عواصف وأنواء شديدة في الأيام الصارمة وتركت خيامهم وأمتعتهم في مهب الريح كما زهقت أرواحاً بريئة منهم على أيدي الطغاة الحمقى في محاولة الإبقاء على حكمهم في الأراضي العربية.

والآن وبعد أن استعرضنا المآسي التي تقشعر منها أبدان الاستعمار وتنسكب من مقلتيه دموع العطف!! والمآسي التي تضطرم نارها ولا تتحرك عاطفته تجاهها.. نرى أنه لا يعترف إطلاقاً بأن هؤلاء المستضعفين في الأرض من جزائريين وفلسطينيين وعمانيين وبقية من غللوا بالقيود وثاروا لتحطيمها.. هم بشر من لحم ودم تتمشى معهم القوانين والحقوق التي شرعت لبني الإنسان بعد الحرب العالمية الثانية... ولكن إنني على ثقة وقلبي عامر بالأمل أنه سيبزغ يوم قريب يكتب فيه النصر للأحرار[1].

---

(1) نشرت في جريدة «طرابلس الغرب»، بتاريخ 30 ـ 1 ـ 1959م.

فرنسا تلعب بالنار في ضاحية النهار!!

ما أكاد أمسك بالقلم لأخوض في مضمار السياسة ناقداً ومعلقاً على الأحداث التي تستجد على العالم من آن إلى آخر حتى يجول بخلدي ما يردده العامة والخاصة من الناس في الأيام الأخيرة عن مدى تأثير أضرار امتداد الغبار الذري من قطر إلى قطر في أفريقيا وآسيا والأطراف الجنوبية من أوروبا.. وذلك لأن أفريقيا تعيش في حالة اضطراب. فالغبار الذري يشرف على القارة الحرة في الأجواء كآبة كأنه السيف المسلط على رؤوس الأبرياء!!.

تجارب فرنسا الذرية:

إن فرنسا تلعب بالنار في ضاحية النهار وتُقدم على افتتاح موسم تجاربها الذرية تحدياً سافراً للشعوب التي تحويها قارة أفريقيا.. وغانا ومراكش ترفعان صوتيهما عالياً يصفعان فرنسا ويعلنان بكل قوة وحزم استنكارهما على تصرفاتها النكراء وتقطعان علاقاتهما معها سياسياً واقتصادياً.. ودول آسيا تمد اليد لتصافح دول أفريقيا في تونس ضمن مباحثاتها على تكوين فرق من المتطوعين لتشارك مع جيش التحرير الجزائري في نضالهم المرير إزاء قوى العدوان الفرنسي الذي لم ينقطع يوماً واحداً عن العدوان ضد الآخرين منذ عام 1939 ـ أي ما يفوق عن ثمانية عشر عاماً، وهي في حرب دامية فقدت فيها فرنسا زهرة أولادها دون فائدة أدت بها في النهاية إلى كارثة واستسلمت مرغمة بأن تتخلى عن الهند الصينية وتونس والمغرب الأقصى.. والجزائر في طريقها إلى النصر إن شاء الله.

الخطر اليهودي الصهيوني:

إن الظلم الذي لحق بالعرب في فلسطين لا مثيل له في التاريخ!! ظُلم قد أدى إلى تشريد شعب عربي بكامله خارج وطنه بالقوة.. ولن يرجع إلَّا بالقوة.

ومن نوافل القول.. الحديث عن الحالة التي كانت فيها الأمة العربية في الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918). فعندما تقاعس العرب في تلك الفترة ضاعت منهم الإسكندرونة.. وهبت فرنسا هذا اللواء العربي لتركيا تماماً مثل ما تقاعس العرب في قضية فلسطين العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (1939ـ 1947).. فوهبت بريطانيا صديقة العرب فلسطين العربية إلى اليهود في عام 1917!!.

«وهكذا أعطى من لا يملك لمن لا يستحق»

إذن فالخطر اليهودي الصهيوني يحيق بالعالم العربي ويدهمه من حيث لا يشعر.. فعلينا نحن العرب وحتى لا نكون كالهنود الحمر في أمريكا ـ أن نبادر باتجاه إيجابي موحد حيال اعتداءات الكيان الإسرائيلي المتعددة.. وأن نعلن للغرب صانع هذا الكيان بأننا في حالة حرب سجال منذ عام 1948 إلى يومنا هذا فلا سلام ولا أمان طالما وجدت «إسرائيل» شوكة في طريق الوحدة العربية الكبرى.. وما دامت العصابات الصهيونية المتآمرة محتلة فلسطين العربية، فلنهب إلى جمع الكلمة ولمّ الشمل ونعيد للعرب مجدهم الأثيل ومكانتهم التليد من الخليج العربي إلى محيطه غرور فرنسا.

وهكذا تثير فرنسا بلبلة وتوتراً في الاطراد النسبي الذي ساد العالم في أوائل يناير الماضي حيث كان يتوقع في المجال الدولي امتناع إجراء التجارب النووية والاتفاق على حل وسط يزيل من عقبات مباحثات نزع السلاح.. ولكن الغرور والكبرياء المصطنع اللذان اجتاحا عقلية زعماء فرنسا صوروا لهم احلاماً وأماني عذاباً تأتي أثر اقترافهم لإحدى الحماقات

التي قد تحدث في قلوب أمم العالم التهليل والإكبار بقوة فرنسا (الزائفة) ومركزها «العظيم» في قهر الشعوب المغلوبة على أمرها!!.

ولكن إذا ما نقبنا في حقيقة تلك النفخة الكاذبة التي تعتري فرنسا الآن لرأينا أنه لولا المارك الألماني والدولار الأمريكي والجنيه الاسترليني لما كانت هناك فرنسا!! فعلام إذن تنفخ فرنسا أوداجها وتتعالى على المستكينين من الشعوب وتدعي.. أما دعت من أراجيف وأباطيل.. كقولها: «الجزائر فرنسية»!!

فصبراً على فرنسا وحليماً.. فقد أدركت القارة الأفريقية أن الأساليب السليمة، كالاكتفاء بتقديم الإحتجاجات والتعبير عن السخط بالمظاهرات لا يقودها إلى نيل الحرية والانعتاق من ربقة الاستعمار الغربي، وإنما وعت أن محاربة العدو تأتي في الجزائر وحماقتها في مباشرتها تفجير القنبلة الذرية يعتبر إتجاهاً لائقاً بالاسم الذي يتخذه نقاباً وقناعاً له!!.

هل وقوفه ضد مؤتمر باندونج ومحاولة تخريبه.. وضد مؤتمر تضامن شعوب آسيا وأفريقيا والذي عقد في القاهرة.. ومحاولة تعطيله وإبقائه يعد تصرفاً مناسباً (للعالم الحر) الذي يصرح بأنه درع آمن للسلام وملاذ لأمن بقتاله ومناضلته بعين السلاح الذي يجابهها به؟! فإلى غد قريب تلقن فيه أفريقيا بصورة عامة والجزائر خاصة الدرس الأخير للغاصب المستغل الذي ناء بكلكله وخيم بظلامه عليها منذ زمن بعيد يكيل لها ضروب العسف والطغيان، وفي سواعد أبنائها ووعيهم خير معول لهدم معاقل الاستعمار وإجلائهم عن التراب الطاهر إلى غير رجعة.

آثار التراخي العربي:

كان للتراخي.. والسلبية والاحتجاجات العديدة التي عمل على منوالها العرب منذ أن أطلق الاستعمار لصنيعته (إسرائيل) اليد للتحرش

بقوات العرب وتعكير صفو السلام في منطقة الشرق العربي أكبر محرك ومشجع على أن تعيد (إسرائيل) الكرة مرة ومرات لضرب الأردن أو الإقليم السوري أو قطاع غزة بالنار دون أن تهاب في ذلك لومة لائم!! فقد دأب العرب لعاداتهم في اتباع القوانين الدولية والخاصة بالهدنة القائمة بينهما وبين (إسرائيل).. وحرصوا تمام الحرص على عدم خرق شروطها ليظهروا أمام العالم بأنهم أباة مسالمين كما دأبت (إسرائيل) أن تكون مثال الدويلة المعتدية الآثمة.. وإذا سار الحال هكذا بين إقبال وأدبار ومد وجزر.. في وقت كان أولى بالعرب أن يتضامنوا في سقف واحد صوناً للإستقلال والحرية!!.

خرافة (العالم الحر)!!:

إن التلاعب بالألفاظ لا يمكن بحال من الأحوال أن تُخفي الحقيقة، إن الغرب يمارس حرفة الكذب والتضليل ضد العرب الذين يحاربون على جبهتين.. العدوان الفرنسي ضد الشعب الجزائري والعدوان اليهودي الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني.

فمن هذا المنطلق تبرز أسئلة كثيرة تُثير الدهشة والحيرة.. أين وأين - وهل وهل؟؟ أننا بهذه الدلائل المادية ندين بصراحة حماة ودعاة هذه الخرافة الكبرى والأسطورة الخيالية.. ونقول لهم بملء الفم: إن العالم (الحر) الحقيقي هو الذي يؤيد الشعوب المظلومة التي تحارب في سبيل حريتها والتي لا ترضى بالكفاح بديلاً. وبالماديات الملموسة لا بالخيال والأوهام والوعود الخلابة التي خلقت المآسي في دنيا العرب!!.

ومما تقدم نستطيع أن نقول: إن بعض الساسة الذائعي الصيت في الحقل السياسي يتشدقون بأسطورة قديمة أعيدت عشرات المرات دون أن نجني من ورائها طائل أو ثمار يذكر.. وهي ما يطلقون عليها بكلمة (العالم

الحر). . أي: أن هناك عالمين وفق وجهة نظرهم يحكمان هذه المعمورة: فجزء تتوفر فيه (الحرية) بأسمى معانيها وآخر تتوفر فيه العبودية بأحط معانيها!!.

وليت شعري أين تكمن هي الحقيقة؟ فقد أغرق هذا (العالم الحر) الوطن العربي ـ أرضاً وشعباً ـ في مشاكل سياسية واقتصادية وثقافية لا تعد ولا تحصى بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة!! أين هي قراراته العادلة في قضية فلسطين وعمان والجنوب العربي. وهل استجابته لنداء (إسرائيل) بعدم الإسهام في مشروع السد العالي يُعد عملاً عادلاً حراً؟! وهل التجاهل الذي يتخذه إزاء مطالب الجزائر يُعد عادلاً حراً؟! هيهات لا يعرف معنى الحرية إلَّا من فقدها ـ ولا يعرف الظماء الحقيقي إلَّا من افتقد الماء[1].

---

(1) نشرت في مجلة «طرابلس الغرب»، في شهر مارس 1959م.

تصارع الحرية مع الاضطهاد في الجزائر

في الآونة الأخيرة وفي غمرة الانتصارات المتلاحقة التي يحرزها جيش التحرير الجزائري في جميع الميادين لا سيما العسكري منها والسياسي إزاء العناصر الاستبدادية المسيطرة على مقاليد الحكم في فرنسا. . . أصيب هؤلاء الساسة المهيمنون نداء الهستيريا ومضوا في عقلية القرون الوسطى وشريعة الغاب نتيجة لسقوط سياستهم العقيمة إلى الحضيض وفشلهم في تثبيت أقدامهم في تراب الجزائر الطاهر بدليل أن تصرفاتهم وتصريحاتهم تجاه القضية الجزائرية جاءت متضاربة ومتناقضة في آن واحد. . وهم بهذا يحاولون. . والانهيار والخذلان في ركابهم أينما حلوا. . إخفاء الحقائق عن الشعب الفرنسي الذي يدرك اعوجاج مسلكهم في الجزائر.

ولا زالت الأبواق الاستعمارية للدعاية تنصب شباكها في ربوع أرض الجهاد الجزائر العربية وعلى رأسها «جاك سوستيل» الفاشيستي المتعصب الذي يرغد ويزبد منذداً بالأكذوبة المشهورة بأن الجزائر تابعة «لفرنسا الأم» ـ رغم كفاح أبنائها البواسل المستميت من أجل حريتهم وحقهم الشرعي في بلادهم. . وغير سوستيل كثيرون ـ منهم روبير لاكوست الوحش، وجي موليه العدواني، وبورجيس مونوري الإرهابي، وعلى الجنرال ديغول وجماعته الذين لا يقلون عنه خبثاً ومراوغة وإجرام كالجنرال ماسو السفّاح. . فجميعهم ينعتون الجيش الجزائري وقادته وحكومته بأنهم (شلة من المتمردين العصاة) وعلى هذا النمط تنفث الأفاعي البشرية الفرنسية ـ الكلون ـ بالجزائر

سمومها بين السذج من الناس لتصطفي منهم عملاء وأتباع لا يتورعون عن بيع ضمائرهم بثمن بخس!!!.

هذا وترد لنا الأنباء الأخيرة بأن الاشتراكي المعروف جي موليه الذي جاء لخدمة المستوطنين الفرنسيين الذين يكلفون خزانة فرنسا أكثر من ثلاثة ملايين دولار يومياً للقضاء على الثورة الجزائرية!! قد صرح مقراً بالأمر الواقع عن القضية الجزائرية ومؤكداً أنها لن تتأتى بالمشاريع الاقتصادية والعسكرية التي ليس للشعب الجزائري ناقة فيها ولا جمل... ولكن بما يرتضيه هذا الشعب من استقلال وانطلاق تحرري من أغلال الاستعمار!!! فقد كانت الخزانة الفرنسية في عهده الأسود عاجزة عن مواصلة دفع تكاليف جرائمه ضد الشعب الجزائري مما اضطر إلى تقديم استقالته كرئيس وزراء فاشل لأن الثورة الجزائرية صارت قوة وتضرب في جبهة فرنسية منقسمة على نفسها بسبب نجاح الثورة الجزائرية عسكرياً وإعلامياً مما استطاعت أن تنجح في استقطاب الرأي العام الأفريقي والآسيوي حول سياستها الهادفة إلى نيل مطالبها الشرعية في الحرية والاستقلال مهما كلف ذلك من الفداء والاستشهاد.

ونتيجة لما تقدم شرحه يستنتج المرء الكثير من المتناقضات تعكر صفو جو فرنسا التي أصبح الانقسام والشقاق بين صفوف زعمائها شيئاً بديهياً تعتاده المسامع والتي أضحت المشاكل والمعضلات السياسية من صميم الحياة العملية لحكامها المتهورين الذين لم يألوا جهداً في ارتكاب المجازر في عموم الجزائر لفرض صيغة الاستسلام!! ولكن لقد جرف التيار الذي أغرق من قبل هؤلاء الساسة الدول الاستعمارية عابدة «الإلهة مارس»! والتي تريد البقاء في أراضي الغير وراء غاية الإستغلال والاستعباد مما يجعل الاستعمار لا يبالي أو أوقد نار الحرب ضد الشعوب المستضعفة ما دامت الغاية تبررها الوسيلة.

والأحرار في كل مكان ولا سيما بالجزائر.. فإن حقوقهم المهضومة تنال بأنهار من الدماء وباستشهاد عديد من المجاهدين دون أن يلتزموا مقر الديار وينتظروا من السماء أن تمطر الحمم والصواعق على الأعداء.. والجزائر ستكون نداء حبيباً يردده الملايين في مجالس الوطنية حيث تغدو رمز الكفاح والبطولة وأغنية المناضلين في ساحة الوغى واحتدام القتال[1].

---

(1) نشرت في جريدة «الطليعة»، بتاريخ 14 ـ 4 ـ 1959م.

جحيم لا يطاق.. ودوامة من الأهوال

الجزائر تقاوم قوى العدوان الفرنسي:

ألسنة من النيران.. تستعر وتتوهج.. أناس عجزة.. شيباً وأحداثاً قد التفت حولهم كالأخطبوط لترضخهم تحت سطوتها وجبروتها.. رؤوس بشرية قد طرحت متقاربة في صف طويل.. وأيادي حيوانية شريرة تقف تجاه الرؤوس وتشرع في وحشية في حصدها وبترها واحدة تلو الأخرى.... الدماء تنفجر وتزمجر وتمسك بتلابيب الجناة! وأناة القتلى تخفت رويداً رويداً عن الأنين.. الأرض والسماء قد عقدتا ما بين حاجبيها في غضب وحنق.. فرعد قاصف مروع.. وقنابل مهلكة تتطاير بخفة واندفاع من كل جانب دون توقف أنها قوى الخير تتصارع مع قوى الشر.. تلك هي أرض الجزائر منذ أن وطأتها أقدام الطغاة الفرنسيين إلى يومنا هذا.. كما رآها الأمريكي - بيلي ري - الذي كان ضمن اللفيف الأجنبي المرتزق في معسكرات الفرنسيين بسيد بالعباس. لقد رأى ما لا تصدقه عين، ولا يقره عقل.. ضمائر من صخر.. ونفوس وضيعة وجحيم لا يطاق.. وبالمقابل لاحظ بسالة المجاهدين الجزائريين الأحرار أبناء الوطن الثائر على العسف والاستبداد.

لقد كان - بيلى ري - قبل أن تجره الأقدار إلى الانضمام في فرقة الجنود الذين تجندهم فرنسا من جميع بقاع أوروبا ومعظمهم من المجرمين وقطاع الطرق واللصوص للعمل معها كمتطوعين يحاربون في صفها الظالم.. كان فناناً قد قدم إلى باريس ليتعلم الرسم.. ومكث بها مدة حيث رحل عنها عقب وفاة والده ثم رجع إليها ثانية ليجد أن كل ما تركه أثراً بعد

حين. . . فأزمع بيع كل ما في حوزته من متاع وبادر بالسفر إلى سيد بالعباس. . بالجزائر منخرطاً في سلك الجندية.

وقد عاش هناك في دوامة من الأهوال. . ونعت المدينة التي بها فرقته بأنها وكر للرذائل والموبقات. فقد كان الضباط الفرنسيين يأمرون جماعة من اللفيف الأجنبي المرتزق بالطواف على القرى والمدن الجزائرية وجلب رؤوس العزل من السكان مقابل 3000 فرنك للواحد. . . شريطة أن تكون سالمة من العبث الذي قد يحدثه هؤلاء الجنود بها. . وكان ـ بيلي ـ يعاني من هذا عذاباً نفسياً لا يحتمل إطلاقاً. . مما جعله يفر هارباً بجلده تحت جنح الظلام إلى الجبال حيث يربض المكافحون الجزائريون ليوقعوا بالغاصبين الويلات والدمار. . . والتجأ في حمايتهم.

وقد دأب منذ ذلك الحين على كتابة مجموعة من الرسائل إلى صديق له بأمريكا يمتهن الصحافة في مجلة ـ الحقيقة ـ الأمريكية. . ويصف له فيها نذالة الفرنسيين الذين عرفوا بمناوئتهم وعدم صبرهم للضيم الذي أوقعه الاحتلال النازي في بلادهم. . وكيف أنهم عندما يهضمون حقوق الجزائر. . إنما يثبتون للعالم على أنانيتهم المتعجرفة. . وأنهم كان لزاماً عليهم أن يغيروا أشعارهم المعروف بهذا الشعار الذي ربما يكون مناسباً ـ عبودية ـ عنصرية ـ عداء.

هذا وقد ذكر في إحدى رسائله إلى صديقه بأن يدعو جميع الأمريكيين للذهاب إلى الجزائر والإطلاع على حقيقة الوضع هناك حتى يلموا إلماماً تاماً بالأعمال الجنونية التي يدبرها الفرنسيون البغاة والتي يندر أن يقوم بها آكلة لحوم البشر ـ CANNIBALS ـ في مجاهل أفريقيا[1].

(1) نشر في جريدة ـ «طرابلس الغرب» ـ بتاريخ 20 ـ 4 ـ 1959م.

وفي هذا التاريخ ـ 15 ـ 4 ـ 1959م، وقعت معركة رهيبة قرب (برواقية) بولاية الجزائر.. تواصل القتال فيها بأشد ما يكون العنف يومين كاملين.. انتصر فيها جيش التحرير انتصاراً باهراً. وأضاف إلى سجل بطولاته صفحة جديدة مشرقة تزهو بها الأيام مدى الحياة حيث انهزم فيها الجيش الفرنسي أشنع انهزام.. وقد كشف عن هذه المعركة أحد أبطالها الأحرار لهذه الجريدة ـ طرابلس الغرب ـ.

الجزائر.. على كف عفريت!!

إن المؤرخ الإنكليزي ـ أرنولد توينبي الذي كانت آراؤه وأبحاثه تجاه مظالم الاستعمار الغربي في الأقطار العربية لمدة 160 عاماً.. مدار حديثي.. قد تطرق إلى طريقة مثلى.. لو اقتد الغرب بها لقضي على النزعة الاستعمارية التي لا تزال جاثمة بكابوسها على بضعة شعوب من العالم العربي بصورة خاصة.

فيطالعنا في بادىء ذي بدء بتطورات قصتي فلسطين والجزائر اللتين طالما غلت مراجل الأقلام الثائرة.. في إيضاح حقيقة الوضع في (إسرائيل).. ومن ورائها دعاة العدوان حكام فرنسا في الجزائر.. ومن ثم يسوق نخبة من الحقائق تكون في مجملها حلاً صريحاً عن قضية الجزائر حيث يقول: «إن هذه المعضلة هي بلا أدنى شك إتاحة الجو الطلق للشعب الجزائري لكي ينال استقلاله.. مع ضمان حقوق المستوطنين هناك». ويردف الكاتب تعليقاً طفيفاً لهذا فيقول: «ليس عملياً أن تقنع الجزائر على قبول غير ذلك حتى لو اندمجت مع فرنسا بكامل مستلزماتها وبالحكم الذاتي». فهذا الإجراء، يقول توينبي، لا ينطبق على الجزائر الثائرة ولا ترضى به لأن شقيقاتها تونس ومراكش وليبيا المتاخمين لحدودها قد استردوا كرامتهم واستقلالهم.. فهي إلى ذلك لا تخلو الجزائر من مقومات تؤهلها إلى مستوى جيرانها.. ولكن فرنسا تتذرع بحجة واهية لإبقائها ضمن منطقة نفوذها حيث تزعم أنه لم تكن للجزائر حكومة وطنية على غرار تونس ومراكش، بل كانت جزءاً حيوياً من فرنسا!! إدعاء باطل لا يسند إلى

الحقيقة كلية. وبهذا الإدعاء فإن فرنسا لا يمكنها التنازل عن جزء من أرضها!!.

ولكن، يقول توينبي: الجزائريين البواسل غير ملزمين بقرار فرنسا هذا، فقد أعلن هتلر فيما مضى أن منطقتي الألزاس واللورين، جزءان لا ينفصلان عن الأم ألمانيا.. ولكن ماذا كانت قيمة هذا الطلب في نظر الفرنسيين!.

وينتقل الكاتب والمؤرخ الشهير توينبي إلى آفاق أخرى ذات إتصال وثيق بقضية الجزائر، فيقر أن (للمستوطنين حقوقاً يتحتم المحافظة عليها)!! إن تقرير مصير الجزائر بانطلاقها من ربقة فرنسا وأن دواعي الاستياء نحو المستوطنين من قبل سكان الجزائر الوطنيين الشرعيين مبعثها أنه بين العناصر المقيمة الداخلية والأحرار الجزائريين تباين وتضاد ـ فالأولى تمتلك الثروة!! وأما الثانية: الثورة، وتلك الأقلية ضئيلة تعرقل الأغلبية الساحقة في إحراز النصر على الغاصبين لأن نفوذها يسري مفعوله في شرايين الساسة المهيمنين على دواليب فرنسا!.

هذا ويقدم الكاتب بعض الإقتراحات على فرنسا: (أما أن تغدو أرواح المستوطنين (وممتلكاتهم) في صيانة تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة.. وأما الإقامة بالتراب الجزائري أو الهجرة منه على أساس (تعويضات) تامة، مع إحضار خبراء لتقدير جميع مصالحهم هناك، على أن تدفع الجزائر بشروط منطقية!!! من تمويل البنك الدولي.. وأن على الولايات المتحدة الأمريكية والدول التي تدور في فلكها أن تفتح الأبواب على مصراعيها لأجل استقبال وفود المهاجرين من الجزائر والاعتراف بهم كمواطنين لديها.

وفي آخر الشوط يسدي الكاتب النصح للغرب بأنه إذا تأخر حل هذه القضية فإن المخاطر ستحيق بالعالم ويتأزم الموقف الدولي؛ لأن حرمة

حقوق الإنسان وتقرير المصير تنتهك بصورة بشعة وعلى درجة واسعة في هذا القطر العربي حيث يقارن وضعه بوضع الهند الصينية التي طالما بذلت الولايات المتحدة العتاد لفرنسا للتغلب عليها ولكن القدر وقف بالمرصاد دون انتصار فرنسا. فقد اضمحلت سلطتها في الهند الصينية. لذا فإن مآل هذه الدولة الاستعمارية في الجزائر الإخفاق والفشل مثل ما حصل لها في الهند الصينية[1].

(1) نشر في جريدة «طرابلس الغرب»، بتاريخ 22/ 6/ 1959م.

لكي لا نحفر قبورنا بأيدينا..

فرنسا وقانون الغاب البدائي:

من الأمور التي تدعو إلى العجب والاستغراب في فترة سلطنت فيها العقلية التقدمية على جل مرافق حياتنا وأصبحت المعيار الذي تمتاز به دولة عن أخرى في ميدان العلم والنهضة الفكرية والإيمان بالمثل العليا التي تسعى من أجل سعادة البشر، نرى أن هناك من يقيم في عصر هذه المفاهيم الحضارية، وقد منع عقليته من الانطلاق والتقدم تماماً، مثل ما كانت التقاليد الجامدة المتوارثة في الصين تحجز أقدام النساء، في طبقات متينة من الكتان حتى لا تنمو!!.

ومن مظاهر تأخر تلك العينة أنها لم تزل تتصرف على غرار جنكيزخان وتيمورلنك ونيرون وغيرهم ممن كان وما زال دينهم البطش ورؤية الدم المهدار وبناء القصور من جماجم الضحايا.. وغدت هذه العقلية المتحجرة عقبة كأداء في عهد اندثر فيه قانون الغاب البدائي وسمت فيه الشرائع العادلة وفقاً لمبدأ التطور.. وتجاوباً مع المنطق والضمير البشري.

ومن الدول الوثيقة الصلة بتلك المظاهر الرجعية والسباقة في هذا المضمار الظالم.. فرنسا التي يوجهها شارل ديغول وزمرته إلى شاطىء الهلاك والانحطاط عندما أعلن عن خطته الجهنمية بتفجير القنبلة في الصحراء الكبرى التي تتاخم أقطار أفريقيا الوسطى والشمالية.

فبهذا كان إعلان (الدوتشي) الفرنسي العجوز بمثابة تهديد وتخويف

صريحين لشعوب هذه البلدان الآمنة بالفناء السريع أو البطيء.. وبالتالي فإن أثر هذه التجربة الذرية ستأتي على كل كائن حي في المنطقة فضلاً عن تعرض مصالح الدول المسماة (بالعظمى) في هذه الأراضي لخطر الإشعاع الذري!.

كل هذا نتيجة للغرور الذي ألمّ بحكام باريس، ليبرهنوا على أن لفرنسا عضلات مفتولة في حقل توازن القوى، والشيء المناط لنا في ظروف كهذه هو: أن نقوم بعمل إيجابي تجاه الخطر المحيق بنا.. باشتراكنا في احتجاجات صارخة تقف كتلة واحدة شعوباً وحكومات ومنظمات لإرغام فرنسا على العدول عن تجربتها الهدامة لمعالم الحياة في أجزاء من أفريقيا.. وإذا ما صممت فرنسا على فعلها الإجرامي وتشبثت به فالأولى بها إذن أن تجريه في داخل نطاق بلادها.. فرنسا.

وقد كان إجراء حكومة غانا الأخير أمام قرار فرنسا إلّا بداية، فهي أول خطوة إيجابية.. ستفسح المجال لخطوات مماثلة لبقية الدول المعنية وغير المعنية.. وإننا لمنتظرون![1].

---

(1) نشرت في جريدة «الطليعة»، 21/ 5/ 1959م.

ماذا وراء قناع حماة الحرية!!

الحرية.. نغم عذب في جوقة الأحرار ودوحة وارفة يلجأ إليها كل مستكين مكلوم.. الطريق إليها أشواك ودماء وأشلاء.. أشلاء الضحايا الأبرياء الذين وجدوا الكفاح والتضحية سبيلاً إلى نيل الحرية الحقيقية.. والإنطلاق نحو جو طليق يتوالد فيه الوعي والإدراك بمعالم الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تحيط بهم.

آلاف الكلمات عبر عنها.. بشتى النعوت منذ الأزل إلى يوم الناس هذا. ووراء تلك الكلمات كُتاب وعظماء ناضلوا بأقلامهم وسيوفهم لإحياء الحرية وحقوق الإنسان في تقرير مصيره.. الكثيرون من مستعمرين وغزاة تظاهروا بأنهم حماة الحرية ودعاتها!! ولكن كم من الآثام والجرائم والمظالم ارتكبوها باسمها وتحت ستار الحق والمثل السامية!!!.

هذا ولا ننسى عبارة ماري انطوانيت القائلة: أيتها الحرية كم من الآثام تقترف باسمك؟!.

وعصرنا هذا الذي ارتفعت فيه موجة التحرر ونبذ الأحلاف إلى عنفوانها وقوتها إلى جانب موجة الاستعباد الغربي الذي يكتنف بقاعاً من الوطن العربي الكبير بطرق مختلفة يزخر بأمثال أولئك الذين جعلوا من الحرية قناعاً ولباساً لإيهام الرأي العام العالمي بأنهم «يقدمون يد العون إلى الذين بحاجة إليه وبالتالي يؤيدون الشعوب في تحقيق أمانيها الشرعية»، وذلك كما جاء في حديث لأحد زعماء المعسكر الغربي (الحر) الرئيس أيزنهاور!!!.

هذا وعندما نتقصى أخبار ذلك التأييد المزعوم وتلك الإمدادات

السخية! نجد بعد التحريات من هنا وهناك أن كل ذلك كان من نصيب الدول التي تدين بالولاء للكتلة الغربية والتي تخضع لقيادتها.. فالدولة الفرنسية كان بطبيعة الحال حظها من المساعدات كبيراً بعد أن أصابها الوهن والإندحار أيام الغزو الهتلري.. وحصار المحور.. و(إسرائيل) ذلك الدمل الحقير اكتسبت من السلاح الثقيل وذخائر تقيها حيال الحملات العنيفة التي شنها العرب ضدها في حرب الجهاد بفلسطين حتى عام 1955م.

أما من باب تحقيق أماني الشعوب الشرعية، فقد ظهر للعيان أن ذلك جاء في صالح (شعب صهيون الشريد اللقيط) حيث رأينا تفاني دعاة الحرية في توطينهم بأرض فلسطين العربية العريقة.. ثم وقوف هؤلاء المقنعون بالحرية لا يحركون ساكناً إزاء العمليات التعسفية الإجرامية التي تقوم بها فرنسا بالجزائر!! هذه حقائق قد لا تخفى عن كل مطلع خبير بدسائس الملثمين!!! دعاة الحرية.

وحتى لا نفقد الأمل كلية منهم.. نود أن تبادر الولايات المتحدة الأمريكية بمناصرة قضية الجزائر في مطالبها الشرعية سيما وأنها ستعرض في اجتماعات هيئة الأمم المتحدة المقبلة أمام وفود العالم من شرقية وغربية لمناقشتها على ضوء العدل والإنصاف.. وأن لا تلجأ إلى الحياد تجاه قضية لم تكن محلية، محلية كما تدعى فرنسا.. بل هي قضية تتطلب إجماع دول العالم على إحراز الجزائر استقلالها وحريتها.. والأمل وطيد بأن تحوز هذه القضية التأييد الكافي لدمغ فرنسا وتدان بجرائمها الوحشية المتعددة ضد الشعب الجزائري الباسل الذي سيحالفه النصر بفضل سواعد أبنائه وعناية الله.. ولا يضيع حق وراءه مطالب[1].

---

(1) نشرت في صحيفة «الطليعة»، بتاريخ 1 ـ 9 ـ 1959م.

الموقف الدولي وقضية الجزائر..

فقد سئمت الشعوب الحروب وما تجلبه من خراب ومجازر وحشية.. وصقيع بارد يزعج المشاعر ويقلق الأفئدة.. ومن هنا ظهرت فكرة مؤتمر الأقطاب. وتعثرت الفكرة في مبدأها ثم ظهرت بوادر تنفيذها إذ التقى خروتشوف زعيم روسيا بالرئيس الأمريكي أيزنهاور في العاصمة الأمريكية وساد جو مباحثاتهما نوع من التفاهم أقل ما يوصف به أنه نتيجة رغبة أكيدة من الزعيمين محاولة إزالة كل ما يعكر السياسة العالمية ومناطق نفوذهما!!!.

وانتهى الاجتماع على أمل اللقاء في القريب العاجل حول مائدة مستديرة تضم جميع أقطاب الغرب!! فأجمع المعلقون أن اجتماع الرئيسين بادرة طيبة وبداية حسنة وتجربة ناجحة أعطت الدليل على أن التفاوض خير من التهديد.. والنقاش أجدى من التلويح بالقوة وأن الخطوة الثانية يجب أن تبدأ فيعقد الأقطار اجتماعهم لمناقشة المشاكل المعلقة.

وبناء عليه وافق ثلاثة من الأقطاب أيزنهاور وماكميلان وخروتشوف على استعدادهم لحضور المؤتمر الذي يجب أن يعقد لحل تلك المشاكل.. إلّا أن فرنسا فقد تلكأت وتقاعست بادىء الأمر ثم جاء ردها تقترح أن يؤجل إلى موعد آخر.. وسرى الهمس في الأوساط الغربية أن معنى هذا أن خلافاً قد دب في معسكرهم. وأسرعت الدوائر الدبلوماسية الغربية تعلن أن رؤساء دول الغرب سيجتمعون في التاسع عشر من شهر أكتوبر في باريس فهل يتمكن أيزنهاور وماكميلان من كبح جماح زميلهما الجنرال ديغول ورده صاغراً عن طيشه واقتراحاته التي يكتبها بلا إمعان أو تمهل!!.

وفي هذه العجالة نقول بأن الشعوب أيّاً، كانت التي ذاقت مرارة الحروب والظلم والاعتداء والمجازر البربرية التي لا يرتكبها إلّا الوحوش الضارية.. فهي تطالب بالحلول العادلة وإعطاء لكل ذي حق حقه.. ولقد وضعت مأساة الجزائر كلها أمام الجنرال ديغول. وكانت واضحة ومذهلة في آن واحد. ولم تكن تشير هذه الحقائق جميعها منذ عام 1954، حتى ربيع 1958، إلّا إلى حل واحد فقط يتحقق معه إنقاذ فرنسا والشعب الفرنسي وذلك بالاعتراف دون إبطاء بحق الشعب الجزائري الرافض للهيمنة الاستعمارية الفرنسية ولا يبغي غير الحرية والاستقلال.

هذا وقد قفزت المشكلة الجزائرية لتحتل مكانها بين المشاكل الدولية.. ففي العام الماضي (1958) قدمت مجموعة الدول الآسيوية والأفريقية خطاباً شديد اللهجة إلى الأمم المتحدة بينت فيه مدى الأعمال الإجرامية التي ترتكبها فرنسا في الجزائر المناضلة مخالفة بذلك مبادىء ومواثيق الأمم المتحدة التي تبعد عن العدوان، وتحث على صيانة السلام وعدم التعرض لحريات الشعوب. وثار يومها المندوب الفرنسي وزعم بأن مشكلة الجزائر.. مشكلة داخلية تخص فرنسا وحدها لأنها قطعة منها «وجزء لا يتجزأ من كيانها»، وبعد أخذ ورد.. أجري التصويت فأيدت مشروع القضية الجزائرية الدول الشيوعية مع مجموعة الدول الآسيوية والأفريقية كلها باستثناء أثيوبيا وتركيا.. وتركيا هذه التي تتغنى كل يوم بصداقتها للعرب!!! يطأطىء مندوبها في الأمم المتحدة ليقول: إن مشكلة الجزائر في نظره لا تستحق تأييده واهتمامه!! مع أنه يدري دون أدنى شك أن فرنسا تقوم بقتل الشعب الجزائري دون هوادة وقد بلغ عدد ضحايا الجزائريين في عام 1953 فقط خمسمائة ألف قتيل من المدنيين العزل الذين لا يحملون سلاحاً ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.. من المد والنساء والأطفال وضحايا معسكرات التعذيب!!.

وقد سيطر مؤتمر الأقطاب الغرب على أذهان العالم، ولكن أن يقتصر على اجتماع الأربعة الكبار فقط فهذا مما لا تقبله الشعوب الحرة التي تنادي بالحياد والتعايش السلمي. والاعتقاد السائد للمتفائلين حول هذا المؤتمر، فقد أجمع على أنه سيتحدد فيه معالم السياسة الدولية.. بين الكتلتين الاشتراكية والرأسمالية، ومن ضمنها مناقشة وقف التجارب النووية ومشكلة نزع السلاح ورسم خطط التعايش السلمي بين النظامين وجعل منطقة محايدة في وسط أوروبا، وتحقيق السلام في ربوع العالم وذلك بالاتفاق على نقاط الاختلاف.. ولكن إن هذا المسعى سينشطر العالم إلى مناطق نفوذ بحيث لا تتعارض وتتزاحم مصالح الأربعة الكبار الواحدة مع الأخرى مستقبلاً..

وبهذا النهج السياسي الأناني الخاطيء، فإنه سينتشر تبعاً لزعم الأربعة الكبار «السلم والأمن المنشود» في أرجاء المعمورة!! مع العلم أنه كم من شعب خدع وكم من جريمة اقترفت إلّا وكانت تحت شعار الأمان والرخاء!! والحربين العالميتين الأولى والثانية خير مثال على ذلك الخداع الصارخ.

وعلى أية حال لنطل على رواق هيئة الأمم المتحدة حيث نشاط الدول الآسيوية والأفريقية التي تؤكد أن القضية الجزائرية ستحظى بعطف واهتمام الضمير العالمي الممثل في هيئة، التي جعلت رسالتها انقاذ الإنسان المظلوم الذي يشكو دائماً عسف الجائرين واضطهاد أعداء الإنسان من تجار الحروب والاستغلال. وقد نفذ صبر العرب لإفهام الضمير العالمي بما لحق بهم ولم يقف الشعب الفلسطيني وكذلك الشعب الجزائري أمام الاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي مكتوف اليدين.. بل أخذ كلاهما يقاومان غزو الاستعمار بعنف حتى صارا رمزان للبطولة والفداء في أسمى معانيهما.

وفي هذا العالم الموصوف خطأ بالمتمدن والمتحضر.. وفي عصر السرعة والأقمار الصناعية.. يعاني فيهما الشعب الفلسطيني والشعب

الجزائري أقصى صنوف الظلم والقهر والتعذيب والحرمان ما قبل إنشاء عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة من جانب استعمار غاشم لدولتين ادعتا دون خجل «الإنسانية والعدالة وتحقيق مصير الإنسان»، وتتشدقان «بالمثل العليا والسلام»!!!.

فحرب القمع والفناء التي تحصد النسل البشري منذ أعوام سبعة في الجزائر لم تؤثر ولو تأثيراً طفيفاً في عاطفة الغرب عامة و(زعيمة العالم الحر) خاصة للحد من غلواء الغزاة الفرنسيين في مجازرهم البشرية التي لم نقرأ عنها إلا في كتب القرون الوسطى التي لم تقم للشرائع السماوية والقوانين الوضعية وزناً واحتراماً!! فقد دلت الوقائع المؤلمة أن فرنسا متعطشة للدم البشري في الجزائر وتريد أن تقيم مجدها على جماجم الضحايا من الجزائريين الأبرياء.

ففي أثناء الحقبة العصيبة التي تخيم على الجزائر الباسلة، العالم بأسره على إدراك بأن الضمير الغربي يغط في سبات عميق لم يظهر بمحاولة إيجابية لإيقاف النزعة الهيستيرية التي ألمت بفرنسا منذ قرن ونيف من الزمن.. فالغرب بلا مراء يلعب دوراً خطيراً في هذه القضية العربية.. إذ أنه عن طريق الحلف الأطلسي يناصر فرنسا مادياً ومعنوياً في قضية أيقنت نحوها فرنسا ذاتها أنها خاسرة كالتي خاضت غمارها في الهند الصينية.

ولكن كما يقول المثل القديم: «كخبط العشواء» تعيش فرنسا الحرب وسخرت كل امكانياتها وما تجود به خزينتها وخزائن حلفائها من أجل حلم راودها سنين طوال في آن تؤكد ضرورة التسليم بأن الجزائر «قطعة من ترابها الذي يقع في القارة الأوروبية»!! أي منطق هزيل هذا وأي ادراك مريض هذا!!.

لا أقول جديداً فإن الجزائر منذ أن وجد اسمها في سجل الوجود دولة

ذات كيان متين وروابط أخوية قومية قوية مع شقيقاتها غرباً وشرقاً، وهي حقيقة جغرافية وتربة واحدة وتاريخية واضحة بعيدة عن إدعاءات فرنسا كبعد السماء عن الأرض. وقد كانت الجزائر كما لا ينكرها عاقل معترف بها كدولة ذات سيادة وجاه وقوة قبل فرنسا بعينها.

فللجزائر أبناء بررة يمتشقون الحسام للذود عن كيانها فهم رجال حرب وسلم وسياسة يتمتعون بالقدرة الدبلوماسية والسياسة لمجابهة دسائس وألآعيب فرنسا السياسية والعدوانية التي ما فتئت تحيك خيوطها منذ أن وضعت أقدامها في عام 1830م، على تراب الجزائر الطاهر وبعد انهزامها في أوروبا إلى يومنا هذا.

واعتقدت فرنسا فيما بينها وبين نفسها أن أحابيلها ذات الطابع المعوج ستنطلي على الرأي العام العالمي والعربي على وجه الخصوص.. فاحتلالها ذلك في الحقيقة قد كلفها ثلاثون سنة لأن تخضع الجزائريين الميامين فقد كان لإيمانهم بما يربطهم بجيرانهم العرب الأشقاء من وحدة متكاملة الأواصر في اللغة والاعتقادات والتقاليد وطرق الحياة ما جعلهم يقفون كالطود الشامخ يصدون بصدورهم الفولاذية جحافل الدخلاء الفرنسيين الطغاة.

فالجزائر كما تشهد الوقائع التاريخية أباة لا يقبلون الضيم ولا يصبرون على حيف أو مكروه.. فالحرية والاستقلال مرادهم وأمنيتهم القصوى. ولذا لم يستسلموا للقنوط، بل تذرعوا بالأمل وثاروا ثورة رجل واحد في وجه الغاصب منذ أن رأوه يجر اساطيله الحربية ويقذف مدنهم الآمنة بحمم محرقة مدمرة سنة 1830م.

والآن بعد مئة وثلاثين سنة والغرب ما زال كما هو!! وهو الذي طالما ردد في المحافل الثقافية والسياسية تبنيه للديمقراطية والحرية بأنواعها..

نلاحظه بعد ثورة الجزائر التي قامت من أجل حريتها واستقلالها، صاداً أذنيه عامياً بصيرته عن الفظائع التي اشتهرت بارتكابها فرنسا في الجزائر والتي لم تحرك قط من ضميره الذي كما يلوح أنه في إجازة مرضية!!.

ندعوه إذا كان حقاً إلى جانب الحرية والأمن والرخاء.. بأن يوجه كل حواسه إلى أعظم مشكلة في عصرنا المتمدن بالنسبة للعالم وللعرب خاصة، ألا وهي حرية الجزائر بعد فلسطين حيث تأتي في القائمة الأولى من القضايا العالمية كنزع السلاح أو برلين.. وأن يساهم هذا الغرب مساهمة فعالة بالاشتراك مع الأمم المحبة للحرية في البحث عن حل يتيح للجزائر أن تنال حقها في تقرير مصيرها من الدائرة الفرنسية وذلك بمقتضى مبادىء منظمة الأمم المتحدة الصريحة.

هذا وكل ما يتطلبه الشعب الجزائري في قضيته الوطنية هو تحكيم الضمير لمصلحة الجميع.. والحرية الحقيقية لا تتجزأ بحيث لا تكون في بقعة من بقاع العالم دون غيرها، بل حرية عامة كما جاءت في دباجة الأمم المتحدة.

والثابت ومن المؤكد أن الأحرار المجاهدين في الجزائر وكل من كان يعاونهم من أقصى العالم إلى أقصاه في جهادهم أخذوا يستمرون في كفاحهم ومعاركهم سواء كتب للأمم المتحدة النجاح أو الفشل في إنهاء قضية الجزائر التي ثار أبناءها الأحرار من أجل تحقيق وحدتها وحريتها وتقدمها بالرغم من ضيم الاستعمار الفرنسي لتبرير سياسته في مقاومة الثورة.. وكما قيل فمهما تكاتفت قوى الشر فإنها لا تطفىء جذوة الحرية أو تسكت صوت العدالة[1].

---

(1) نشرت في مجلة «طرابلس الغرب»، سبتمبر/ اكتوبر 1959م.

الخاتمة

ما ضاع حق وراءه مطالب..

بادىء ذي بدء إنه ليوم أغر، تحقق فيه بعون الله تعالى ثمار جهاد ثورة الجزائر العظيمة ـ فهذا اليوم ـ 5 يوليو 1962م ـ يعتبر نصراً قومياً حقيقياً للشعب الجزائري المناضل دوماً. فقد كان الاستعمار الفرنسي الاستيطاني العنصري البغيض حقاً حملاً ثقيلاً على كاهل الشعب الجزائري الذي كافح وجاهد وضحى كثيراً أثناء ثورته المباركة ضد الاستعمار ومرتزقته المتوحشة. فقد بذل العرق والدم والنفس بسخى في سبيل أن ينال حريته وسيادته كاملين على ترابه الطيب دون أن تدنسه أقدام الدخلاء المستعمرين وقواعدهم المختلفة الرهيبة الخطيرة.

هذا ومهما حاول أن يكتب الإنسان من كتب في تاريخ ثورة الجزائر الشجاعة ضد غزواة أوروبا وفرنسا بالذات لا يمكن أن يفي بجوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية إلَّا شذر مذر. فكتابي هذا يعتبر محاولة متواضعة لجعل القارىء العربي أينما وجد على اتصال بالكفاح الجزائري وحقائقه دون رتوش.

هذا وبثورة الجزائر قد انجلى الليل فعلاً ـ ليل الاستعمار الفرنسي الظالم حيث نال الشعب الجزائري حريته بحد السيف.. فليس ما ناله إذن منّة من أحد أبداً.. فقد قامت الثورة تعبيراً لإرادة الشعب في أن يكون سيد مصيره دون قيد أو شرط وبذلك فقد اعتبرت الثورة الجزائرية معجزة القرن العشرين قولاً وفعلاً نظراً لوقوفه أمام قوة الاستعمار الفرنسي ـ جيشاً مدرباً

على القتل والذبح.. وسلاحاً أرضاً وجواً وبحراً مدمراً دون شفقة إطلاقاً!! ورغم كل ذلك فقد انتصر الحق وهزم الباطل.

هذا وعبق النسيم الهادي بأريج زهور يوليو فامتد عبيره من قسنطينة شرقاً إلى تلمسان غرباً وانطلقت مع الحمائم البيض زغاريد الفرحة الكبرى والانتصار العظيم. فقد آن لشواطىء الشمال الأفريقي أن تغسلها مياه البحر طاهرة مقدسة بعد أن كانت ملطخة بالدماء الحمر إلى عهد قريب!!.

كان يوماً لا كالأيام الذي نشهد فيه ميلاد الشمس في الفجر وانتحارها عند الغروب.. ولكنه يوم أشرقت فيه شمس من نوع جديد وهاجة ناصعة تعلن للملأ نبأ لا كالأنباء التي يسوقها لنا الروتين من آن لآخر.. بل تعلق خبر انفلاق صبح الحرية الذي سيطول ويعم ضوءه أرجاء القطر الجزائري البطل واندحار ليل العبودية ودياجير ظلم وجبروت الاستعمار الفرنسي الاستيطاني البغيض.

إنه اليوم المنتظر والغد المأمول والمستقبل الباسم، الذي طالما اشرأبت له الأعناق، أعناق المليون شهيد، الذين أتاحت لهم الأقدار أن ينالوا الحرية في السماء، كما قدر للأحياء من المجاهدين أن ينالوا الحرية على الأرض. يقول الحق جل وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169] صدق اللّه العظيم.

عمت الغبطة والسرور دنيا المعمورة بأسرها، وكان لدنيا العرب النصيب الأكبر من الإنشراح والحبور والسعادة، بفوز الجزائر أسطورة القرن العشرين، باستقلالها المظفر الذي احتفلت به في الخامس من يوليو من عامنا هذا، وهي ذكرى تصادف، وما أغرب الصدف في حياة الدول يوم احتلال الغاصب الفرنسي الجزائر عنوة بقوة الحديد والنار وخبث الساسة ودهاء الحكام.

وقال الدخيل الغاصب: إن الجزائر منذ اليوم فرنسية وأن لفرنسا الحق في استثمار خيراتها إلى ما شاء الله وقال العرب.. بل قال المواطن العربي في الجزائر أنها أرضي وسمائي وسأذود عن حماها إلى ما شاء الله، وشاء الله أن غدت الجزائر للجزائريين بالقوة.. وما كانت فنون المستعمر في التعذيب والقهر والاستبداد والقتل، أن تنل من عزائم أبطال الجزائر وأحرارهم، فالجزائريون عرفوا طريقهم وسبيلهم المستقيم منذ يوم مأساة مايو من عام 1945م، تلك المجزرة المشهورة التي ذهب ضحيتها أكثر من 45 ألف شهيد غدراً وعدواناً وجريرة هؤلاء العظمى أنهم طالبوا بتقرير مصيرهم بعد 115 سنة حكم استبدادي عنصري.. طالبوا الأبرياء مقابل ما بذلوه من جهد جسماني لإنقاذ فرنسا من براثن النازيين في الحرب العالمية الثانية (1939 ـ 1945).

ولكن منطق فرنسا كان الكبرياء الأجوف حيث أنها لم تكن تفقه سوى الإذلال والعجرفة وتجاهل حقوق الإنسان التي قيل أنها مصدرها وموطنها الأصيل.. ثم ما زاد الطين بلة أنها حاولت قمع الشعب الجزائري بأسره دون أي وازع من ضمير حي ناسية أو متناسية أنها بهذا التصرف سوف توقد نار الثورة في نفوس الشعب المظلوم وأنه لا ينسى الثأر مطلقاً مهما طال الأمد.

فثارت الجزائر بما تملك.. فكانت ثورتها حلماً وسرعان ما كان حقيقة لأجيال أدهشت العالم بأجمعه حتى أطارت عقل فرنسا وجيوشها الجرارة وحلفاءها ومن ورائهم الحلف العسكري الأطلسي.. كل هذا لأن بسالة الشعب الجزائري لا مثيل لها في عصرنا هذا.. عصر الرفاهية والدعة ورغد العيش.. فبينما كان هناك أغلب شعوب الأرض تنعم بالسلام كان الجزائريون في شقاء الحرب وتعاسة التشريد وبينما كان شهر يوليو يطل من

كل عام يحمل بين جنبيه بشرى الاستقلال لدول العالم التي قدر لها أن تنال حريتها في هذا الشهر بالذات كان يشيح بطلعته عن الجزائر الخضراء ويبخل بابتسامة يعطيها للجزائريين البواسل.

ولكن يوليو يسرع في الخطى وإذا به يقفز قفزة النصر ويسرف في توزيع ابتساماته على أبناء الجزائر ويمد أياديه البيضاء مصافحاً كل فرد مهنئاً باستقلال الجزائر الحبيبة..

فلقد كانت حرب السبع سنين التي دارت رحاها منذ أول نوفمبر 1954، كفيلة بأن أخضعت فرنسا لمنطق الحق وصدق أحمد شوقي عندما قال:

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة تدق.

فقد بذل الجزائريون من دمائهم ما يملأ المحيط الأطلسي غزارة وتدفقاً ونالوا بحق مبتغاهم وأمانيهم لأنهم اعتصموا بحبل متين ومثل سائر قديم ألا وهو «ما ضاع حق وراءه مطالب طال الزمن أم قصر..» واستقلال الجزائر بعد انتصاره الساحق على عدوه.. هو نصر مبين ليس للجزائر فحسب ولكنه لجميع الشعوب التواقة للحرية وتقرير المصير لفلسطين العربية اليوم وغداً[1].

* * *

---

(1) نشر في مجلة «صوت المغرب»، بتاريخ 20 ـ 7 ـ 1962م.

بعد عشر سنوات يعمل هذا المدعو الجنرال «جاك ماسو» ومحاولاً طمس حقيقة ثورة الجزائر الخالدة ونالت حريتها بالقوة

حقاً يستغرب المرء أن هناك بعض الأشخاص من كانوا سبباً مباشراً في إزهاق الأرواح وقتل الأبرياء دون شفقة أو رحمة في سبيل إخضاع الأحرار لكبوس الاستعمار واحتكاراته الاستغلالية إلى الأبد.. فيحاولون طمس الحقائق بأساليبهم الرخيصة وغير الشريفة التي لا يصدقها إلّا من هم على منوالهم.. ومن أمثال هؤلاء الجنرالات الحاقدين الذين فشلوا في إثبات أنفسهم في ميدان المعارك مثل الجنرال المتقاعد السفاح «جاك ماسو» الذي كان إبان الثورة الجزائرية المظفرة قائد لفرقة المظلات والذي قام بالانقلاب العسكري عام 1958م.

وقد اشتهر ماسو بقسوته اللاإنسانية وتعذيبه للأحرار الجزائريين يومياً من أجل الحصول على أتفه المعلومات عن الثوار في ميادين القتال.. ومن هنا لا يعرف قصة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ولا يوجد مثيله إلا في ليبيا التي ذاقت مرارة الاستعمار الإيطالي الهمجي الذي كان يتلذذ بقتل وشنق الأحرار في كل مكان دون هوادة.

يقول الجنرال السفاح ماسو أن الجيش الفرنسي لم ينهزم على أيدي الجزائريين.. ولكن الذي انهزم فعلاً هي سياسة فرنسا في الجبهة الداخلية

والخارجية، بينما بقي الجيش الفرنسي في جبهته منتصراً حتى تولى ديغول زمام الحكم في فرنسا فمنح الاستقلال للجزائر. ويضيف الجنرال ماسو قائلاً أنه لولا تصرفات الجنرال ديغول لاستمر الجيش يحارب ممن سماهم (بالقتلة). هكذا يصف الأحرار الذين عرفوا كيف يلقنون الجنرال ماسو وغيره من الجنرالات ممن كانوا سنداً للاستعمار البغيض في الجزائر، آمرّ الدروس في القتال والموت راضياً في سبيل حرية الوطن والاستقلال وكرامة الإنسان.

فقد كتب انتوني ناتنج وزير الدولة البريطاني المحافظ تحقيقاً صحفياً عن حرب الجزائر في أواخر سنة 1957 بعد العدوان الثلاثي على مصر.. وقبل أن يتفاقم مركز فرنسا إلى الدرجة التي واجهت ديغول.. قال: «ستخسر فرنسا الحرب في الجزائر بصفة تامة في آخر الأمر، وإلى أن تخسرها نهائياً لن تكون التسوية القريبة أمراً ممكناً». ثم أضاف إلى رأيه هذا بقوله: «في الجزائر الآن نصف مليون جندي فرنسي. وهم يكلفون فرنسا بين ألف مليون و1550 مليون دولار في السنة، ولما كانت فرنسا على وشك أن تصاب بأزمة اقتصادية طاحنة فإنه سيتعذر عليها أن تستمر في الإنفاق على حملة الجزائر العسكرية بهذا المنوال». والجنرال ماسو على علم بهذا غير أنه يريد أن يخالط نفسه.. فهزيمة فرنسا كانت واردة عند العقلاء.

لقد نالت الجزائر حريتها واستقلالها باستحقاق وبعد أن قدمت مليون ونصف المليون شهيد على مذبح الحرية وهي ضريبة لمن يريد الحرية والاستقلال التام وما عدا ذلك فإنه زيف.

ولا شك فإن الصحافة وكُتاب الجزائر سيحاولون الرد على افتراءات هذا الجنرال الذي يعتقد أنه في استطاعته وعن طريق كتابه الزائف إخفاء الحقيقة وحجبها عن مدارك الناس في عالمنا اليوم وخاصة الأحرار في

فرنسا بالذات والذين كتبوا معترفين بفشل بلادهم سياسياً وعسكرياً في كسب النصر على الجزائرين.

إن الوقائع التي جاء بها الجنرال ماسو قد نشرتها جريدة هيرالد تربيون البريطانية في الأسبوع الماضي الموافق 16 نوفمبر1971م.. حيث كتبت تقول إن الجنرال ماسو (يتحدث عن الجزائر) في كتابه.. بعد عشر سنوات ـ والذي يباع منه بمعدل ألف نسخة في اليوم.. ومن ضمن ما قاله الجنرال ماسو أنه كان لفرنسا إبان الثورة الجزائرية ثلاثة جبهات ـ جبهة في الجزائر وجبهة في باريس والأخرى عالمية.. وكان على الجيش الفرنسي أن يقاتل في جبهة واحدة وهي الجزائر وقد «انتصر فيها» ولكن فرنسا خسرت في مواجهة الجبهات الأخرى.. وبذلك انتصرت الجزائر ولكن كيف انتصرت الجزائر.

❁ ❁ ❁

(حقيقة حرب الجزائر) وأكاذيب الجنرال ماسو

انتصرت الجزائر حسب رأي الجنرال ماسو.. في حرب الدعاية فقط والتي كانت قوية ولم تستطع فرنسا مواجهتها لأنها لا تريد أن تنفق المال.. ثم يضيف الجنرال ماسو الحاقد قائلاً أنه «لم يعذب أحداً من الجزائريين كما يقال عني».. ولكن من ناحية أخرى كان عليه أن يستعمل الشدة من أجل الحصول على المعلومات من الخارجين على القانون في سبيل الاستقرار والسلم!!! أي استقرار وأي سلم!!.

وتتلخص الحكاية في كون هذا الجنرال قد ألف كتاباً عنوانه (حقيقة حرب الجزائر) وذلك على أثر مشاهدته لفيلم خاص يصور الثورة الجزائرية المظفرة بطريقة أثرت في أعصابه ولم يرض عنه وانتقده بشدة ضارباً بيده المنضدة أمامه قائلاً: إن الجزائر لم تنتصر عسكرياً وأن الفيلم يشوه الحقيقة ويحط من كرامة الجيش وأي جيش فرنسي هذا؟. فبالرغم من حرفته القتل والذبح والتدمير، فقد هُزم شر هزيمة أمام الجيش النازي واحتل عاصمة بلاده ـ فرنسا ـ ثم هزم في الحرب الهند الصينية بقيادة الزعيم (هو شي منه) والبطل الجنرال جياب وثم هزم في ثورة الجزائر العظيمة. فمن الذي يستطيع أن ينكر هذا؟

وعموماً فقد خرج الجنرال ماسو بهذا الكتاب ليرفع من معنوية الجيش الذي حارب في الجزائر سنة 1957 ليخضع الثورة الجزائرية ولكنه عجز في الوقوف أمام قوة الثورة في نهاية الأمر.

ونحن نقول أنه مهما حاول الجنرال «ماسو» إخفاء الحق، فإن الأحرار في كل مكان وخاصة أحرار الجزائر الشجعان قد انتزعوا حقهم غير المنازع فيه في الحياة الكريمة الشريفة بعد كفاح طويل وتضحيات جسيمة في النفس والنفيس لم يسبقه شعب في العصر الحديث.

وأخيراً نقول: فمهما حاول أو يحاول هذا الجنرال المهزوم أن يبيع من كتابه (حقيقة حرب الجزائر) كمكسب تجاري.. فلن يصدقه أحد إلّا من يحلم بخرافات «جيمس بوند» أو من يريد أن يشبع غريزة حب الاستطلاع فقط[1].

وفي ختام بحثي هذا.. أسأل الله تعالى التوفيق.

أحمد محمد عاشوراكس
طرابلس في 8 من شهر النوار
فبراير 1990م.

---

(1) نشرت في «جريدة الثورة»، الليبية بتاريخ 23/ 11/ 1971م.

الفصل السادس

(1) محتويات الكتاب

(2) مصادر الكتاب

(3) المؤلف في سطور

(4) كتب المؤلف

(5) الصور التوضيحية

مصادر الكتاب

الكتب

(1) مجلد ـ تاريخنا ـ من القرن الهجري العاشر حتى مطلع القرن الحالي ـ الكتاب الخامس ـ مكتبة الصادق النيهوم دار التراث ـ طرابلس الغرب.

(2) شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل ـ كتاب اخترنا لك ـ العدد (8) اشترك في إعداده ـ أمين شاكر ـ سعيد العريان ـ مصطفى أمين ـ ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر.

(3) الدكتور عبد الحميد البطريق ـ كتاب الأمة العربية ـ اخترنا لك ـ العدد (19) ملتزم الطبع والنشر دار المعارف بمصر.

(4) الدكتور محمد عوض محمد ـ كتاب الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثالثة 1957م.

(5) محمود عبد المنعم مرتضى ـ كتاب الجزائر المنتصرة ـ العدد 171 ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ بمصر.

(6) حمدي حافظ ومحمود الشرقاوي ـ كتاب الجزائر بين الأمس والغد ـ العدد 272 ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ بمصر.

(7) عبد الرحمن محمود الحص ـ كتاب الجزائر في معركة البناء ـ دار نشر الآداب للتأليف والطباعة ـ بيروت ـ 1963م.

(8) الدكتور محمد السمرة ـ كتاب مراجعات حول: العروبة ـ الإسلام ـ أوروبا ـ كتاب العربي الرابع ـ يصدر عن مجلة العربي ـ رئيس التحرير د/ محمد الرميحي ـ الكويت، 15 أكتوبر 1984.

(9) سمير أمين ـ كتاب المغرب العربي الحديث ـ ترجمة كميل ق. داغر ـ دار الحداثة ـ ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر ـ الطبعة الثانية 1981م.

(10) الأستاذ محمد الهادي الشريف ـ كتاب ـ ما يجب أن تعرفه عن تاريخ تونس ـ سراس للنشر تونس ـ الطبعة الثانية ـ 1985م.

(11) العماد مصطفى طلاس ـ كتاب فارس الجزائر ـ الأمير عبد القادر ـ طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ سوريا ـ دمشق، الطبعة الثانية آذار 1984م.

(12) السيد الشوربجي ـ كتاب سقوط ديغول ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ العدد 140 ـ القاهرة ـ مصر. 1960م.

(13) خير الدين التونسي ـ كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ـ للمنصف الشنوفي دكتور دولة بكلية الآداب بتونس ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ الطبعة الثانية 1986م.

(14) محمد جميل بَيْهمُ ـ كتاب العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب. المطبعة الوطنية ـ 29/ 3/ 1957.

(15) الدكتور إحسان حقي كتاب أفريقيا الحرة ـ بلاد الأمل والرخاء ـ المكتب التجاري بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى 1962م.

(16) «تاريخ المغرب» للأستاذ محمد عبد السلام بن عبود ـ الجزء الثاني الطبعة الثانية ـ دار الطباعة المغربية ـ تطوان ـ 1957م.

(17) محمد الميلي ـ كتاب ـ ابن باديس وعروبة الجزائر دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية أكتوبر 1979م.

(18) جون ستراشي ـ كتاب نهاية الاستعمار ـ ترجمة حسين الحوت ومحمود حسن حلمي ـ الدار القومية للطباعة والنشر العدد (ممتاز) 115 ـ القاهرة بمصر.

(19) RICHARD M. BRACE- MOROCCO- ALGERIA TUNISIA- PRENTICE- HALL INC. ENGLEWOOD CLIFFS, NEW JERSEY. 1964 .

(20) لويس رايت ـ تعريب محمد روحي البعلبكي ـ كتاب الحملات الأمريكية على شمال أفريقيا في القرن الثامن عشر (1799) (1805) ـ مكتبة الفرجاني طرابلس ـ ليبيا.

(21) جلين تكر ـ كتاب ـ معارك طرابلس بين الأسطول الليبي والأسطول الأمريكي في القرن التاسع عشر ـ مكتبة الفرجاني ـ طرابلس ليبيا.

(22) الدكتور عبد اللطيف محمود البرغوثي ـ كتاب تاريخ ليبيا الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني ـ منشورات الجامعة الليبية ـ دار صادر ـ بيروت ـ لبنان، 1971م.

المجلات

(23) الدكتور صيام زكريا (إضاءات في سنة الأمير عبد القادر) المجاهد العدد 1190 ـ 27 مايو 1983 ص (38).

(24) حسن بومالي (في ذكرى 8 ماي 1945م) المجاهد العدد 1396 ـ 8 ماي 1987م ص (18/ 19).

(25) حسن بومالي (إحياء الذكرى 116 لإستشهاد الحاج محمد المغرني ـ حلقة بارزة في كفاح الشعب الجزائري) المجاهد العدد 1397 ـ 15 ماي 1987م ص 56/ 57.

(26) عبد المالك حمروش (التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي) المجاهد العدد 1402 ـ 19 جوان 1987م ص 54/ 55.

(27) جمال بن حمودة (الذكرى الخامسة والعشرون لاسترجاع السيادة الوطنية، (أرادها الاستعمار مناطق للموت وأرادتها الثورة مراكز حياة) المجاهد العدد 1403 ـ 26 جوان 1987 ص، 26/ 27.

(28) عبد الحميد ساحل (البطل الشهيد الرئيس حميدو) المجاهد العدد 1408 بتاريخ 31 يوليو 1987 ـ ص 41.

(29) حسن بومالي (حرب الإبادة في الجزائر ـ تعميم عمليات القمع على المدن الجزائرية) المجاهد العدد 1410ـ بتاريخ 14 أغسطس 1987م.

(30) محمد يحيى وهاب (كانت نموذجاً للنضال وتظل المرأة رمزاً للوفاء) المجاهد العدد 1412 بتاريخ 28 أغسطس 1987 ص 12/ 15.

(31) شريف عمران (الذكرى الـ 33 لثورة نوفمبر العظيمة ـ بهذه القيم انتصرت

ثورة نوفمبر) المجاهد العدد 1421 بتاريخ 30 أكتوبر 1987م ص، 16/ 23.

(32) حسن بومالي (إضراب 28 جانفي 1957 ـ استفتاء وطني عبر به الشعب بالإجماع على الرفض والتحدي)، المجاهد العدد 1435 ـ الحلقة الثانية بتاريخ 5 فيفري 1988م، ص 18/ 19.

(33) الدكتور السيد فهمي الشناوي (وعد نابليون لليهود سبق وعد بلفور بـ (118) سنة ـ متى ينتبه المثقفون العرب إلى حقائق التاريخ) مجلة الدوحة العدد 116 ـ شهر أغسطس 1985م، ص 34/ 37.

(34) مجلة الشاهد (جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية)، السنة الثالثة العدد 33 شهر الماء ـ مايو 1988م.

(35) عبد الله محمد الريماوي (كتاب ـ القومية ـ بحث نظري)، دار مكتبة الفكر ـ طرابلس ـ ليبيا الطبعة الثانية، سنة 1974م.

المؤلف في سطور

أحمد محمد عاشوراكس ـ مستشار إعلامي ـ متقاعد. من مواليد مدينة بنغازي سنة 1918م.

تحصل على المؤهلات التالية بعد إتمام الدراسة عربي ـ إيطالي سنة 1933م، في مدينة بنغازي.

- شهادة التوجيهية إنكليزي ـ كلية بانت بريطانيا.
- دبلوم الكفاءة محاسبة ومسك الدفاتر والمراجعة ـ كلية جلاسكو ـ إنكلترا.
- جائزتين تقديرتين (لغة وآداب إنكليزي)، كلية بانت بريطانيا. (تحصل على شهادة تقدير في مجال الخدمة العامة طيلة 38 سنة).
- شهادة في الإدارة العامة ـ اليونسكو.
- دبلوم في الاقتصاد ـ كلية جلاسكو إنكلترا.
- دبلوم في فن الصحافة ـ إنكليزي ـ كلية بانت بريطانيا.
- دبلوم في فن الصحافة ـ عربي ـ القاهرة.
- دراسة في شؤون الأخبار والإدارة ـ إذاعة لندن.
- دراسة في شؤون الأخبار ـ وكالة رويتر لندن، ووكالة فرنس برس ـ باريس.

الحياة العملية:

- مدرس أول للغة الإنكليزية في مدارس بنغازي 1945م.
- تقلد وظائف إدارية وقيادية عامة في الحكومة الليبية.
- ألحق بالسفارة الليبية ـ بالمغرب الأقصى وإسبانيا.
- عُيِّن مفتشاً مالياً بوزارة المالية.

- عُين مساعداً للمراجع العام ـ ديوان المحاسبة.
- عُيّن نائب مدير عام وكالة الأنباء الليبية.
- عُيّن مستشاراً صحفياً بالسفارة الليبية ـ لندن.
- عُين مدير عام مركز التدريب على وسائل الإعلام.
- عُين مدير عام الإعلام ـ إدارة التعاون الإعلامي والثقافي والفني بين الدول الأوروبية، والأفريقية والآسيوية واللاتينية.
- رُشح مساعد مدير مكتب الإعلام الأمم المتحدة ـ ليبيا 1972.
- عمل لفترات متعددة مراسل ـ وكالة رويتر ووكالة الاسوشيتدبرس ووكالة فرنس برس ـ بليبيا.
- شارك في العديد من المؤتمرات الإعلامية والثقافية داخل وخارج ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب الأقصى ـ لبنان ـ مالطا ـ مصر ـ ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية ـ فرنسا ـ وموريشيوس ونيجيريا وإيطاليا.
- عضو هيئة تدريس ـ اللغة الإيطالية ـ جامعة الفاتح.
- كلف بإعداد صحيفة ـ الموظف الليبية ـ باللغة العربية وتولى مساعد تحريرها ـ كما أعد صحيفة ـ الطريق الأخضر الليبية ـ باللغة الإنكليزية وتولى أمين تحريرها وإدارتها.
- كلف بإعداد الإذاعة المرئية باللغة الإيطالية وبرامجها بالتعاون مع الذين ينطقون اللغة الإيطالية.
- عضو منتسب إلى الجمعية العامة للصحافين الأجانب ـ لندن.
- ساهم بالعديد من المقالات السياسية والإعلامية والثقافية والتاريخية باللغات الثلاثة ـ العربية والإنكليزية والإيطالية.

كتب المؤلف المطبوعة

■ **عربي:**

(1) كيف نفذت الجريمة على الوطن العربي (حرب 1967).

(2) المختصر في الصحافة.

(3) مدخل إلى إعلام عربي ليبي.

(4) الإعلام العربي بين المطرقة والسندان.

(5) ريغان قاتل الأطفال ومهندس العدوان على ليبيا.

(6) لمحات تاريخية عن النضال الليبي ضد الغزوات الأوروبية فرنسا القديس يوحنا ـ إسبانيا ـ أمريكا ـ إيطاليا (1510 ـ 1970).

■ **إنكليزي:**

(1) A CONCISE HISTORY OF THE LIBYAN STRUGGLE FOR FREEDOM (1911- 1970).

(2) THE RISE OF JAMAHEREYA (THE ERA OF THE MASSES).

(3) HOW TO SPEAK ARABIC IN LIBYA.

(4) LIBYAN PROVERBS- TRANSLATED.

(5) ARAB PROVERBS- TRANSLATED.

(6) THE GUIDE TO LIBYA.

(7) ABOUT LIBYA.

(8) SPOKEN ARABIC.

(9) LET'S LEARN ARABIC.

(10) INTRODUCTION TO JOURNALISM.

(11) THE CRIME IN PALESTINE.

(12) THE CRIME ESCALATION (1917-1973).

(13) THE PALESTINIAN STONE REVOLUTION AGAINST ZIONIST COLONIALISM

إيطالي:

(1) INTRODUZIONE (LINGUA ITALIANA).

(2) MODO PRATICO PER PARLARE L'ARABO.

ملاحظة: لقد تم ترجمة بعض هذه الكتب خاصة التاريخية منها إلى اللغات الفرنسية والإيطالية والألمانية والمالطية والإسبانية.

كتب تحت الطبع:

(1) رحلة قلم.

(2) ذكرياتي وتاريخ بلادي ليبيا (في العهود الثلاثة)، الطليان وكفاح الشعب الليبي، والإدارة البريطانية. حتى ما سمي باستقلال ليبيا والثورة.

(3) الإعلام العربي بين المطرقة والسندان.

(4) كيف تكون صحفياً ناجحاً.

(5) وخلاصة كتب المؤلف حتى عام 2007، هي (50) مؤلفاً في جميع مناحي الحياة الثقافية.

كشف صور الكتاب التوضيحية بعد خريطة الجزائر

نبذة عن المؤلف

* أحمد محمد عاشوراكس الفلاح.
* من مواليد مدينة بنغازي 4/ 11/ 1918 ف.
* مستشار إعلامي (عام 1982) ف.
* تحصل على المؤهلات التالية بعد إتمام الدراسة.
* عربي ـ إيطالي سنة 1936 في مدينة بنغازي.
* شهادة التوجيهية إنكليزي ـ كلية بانت ـ بريطانيا 1949.
* دبلوم الكفاءة محاسبة ومسك الدفاتر والمراجعة من كلية جلاسكو ـ إنكلترا 1959.
* جائزتان تقديريتان ـ لغة وآداب إنكليزي من كلية بانت 1949م.
* شهادة تقدير في مجال الخدمة المدنية العامة لمدة (38) سنة 1981م.
* شهادة في مجال الإدارة العامة ـ من منظمة اليونسكو 1959م.
* دبلوم في الاقتصاد ـ من كلية جلاسكو ـ انكلترا 1959م.
* دبلوم في الصحافة ـ عربي ـ القاهرة ـ مصر 1960م.
* دراسة في شؤون الأخبار والإدارة ـ إذاعة لندن 1968م.
* دراسة في شؤون الأخبار والإدارة ـ وكالة «رويترز ـ لندن 1968، ووكالة فرنس بريس باريس ـ فرنسا 1968».
* دبلوم في شؤون الصحافة من كلية بانت ـ بريطانيا 1966م.

الحياة العملية منذ 1938

* نائب مدير إدارة تزويد الأدوية المصنعة والمرسلة إلى الصيدليات في مدينة

بنغازي ـ 1938/ 1941 بعد تخرج من المدارس العربية الإيطالية 1936 ف ونيله الشهادة بامتياز.

* مدرس أول للغة الإنكليزية ـ مدارس بنغازي ـ بعد دراستها وإتقانها إلى درجة المطلوب تدريسها سنة 1945 ـ 1951 ف.
* تقلد وظائف إدارية وقيادية عامة في الحكومة الليبية من سنة 1951 إلى غاية التقاعد عام 1985ف.
* أُلحق بالسفارة الليبية كمستشار مالي وثقافي بالمغرب وإسبانيا 1960/ 1964.
* عُين مفتش مالي بوزارة المالية ـ الحكومة الليبية 1964.
* عُين مساعداً للمراجع العام ـ ديوان المحاسبة 1954/ 1960.
* عُين نائب مدير عام وكالة الأنباء الليبية سنة 1964/ 1968.
* عُين مستشاراً صحفياً بالسفارة الليبية لندن في عام 1968/ 1969.
* عُين مدير عام مركز التدريب على وسائل الإعلام 1968/ 1969.
* عُين مدير عام الإعلام والثقافة ومكلف بإدارة التعاون الإعلامي والثقافي والفني بين الدول الأوروبية والأفريقية والعربية والآسيوية واللاتينية، 1968/ 1969.
* رُشح مساعداً لمدير مكتب الإعلام (الأمم المتحدة بليبيا).
* عمل مندوباً ومراسلاً لوكالة رويترز ووكالة الاسوسيتد بريس ووكالة فرنس بريس بليبيا في عام 1954.
* شارك في العديد من المؤتمرات الإعلامية والثقافية داخل وخارج ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب الأقصى ـ لبنان ـ مالطا ـ مصر ـ ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية ـ فرنسا وموريشيوس ونيجيريا وإيطاليا.
* عضو هيئة تدريس اللغة الإيطالية ـ جامعة الفاتح، 1978/ 1979.
* كُلف بإعداد صحيفة (الموظف) وتولى تحريرها والتكليف صادر من مؤتمر العام للموظفين بليبيا.
* كُلف بإعداد الإذاعة المرئية باللغة الإيطالية وبرامجها بالتعاون مع الذين يتقنون اللغة الإيطالية إتقاناً جيداً.

* عضو سابق في الجمعية العامة للصحفيين الأجانب بلندن.
* كتب العديد من المقالات السياسية والإعلامية والثقافية والاقتصادية والتاريخية باللغات الثلاثة العربية والإنكليزية والإيطالية وله بذلك ما يقارب من (50) كتاباً في العديد من الموضوعات السياسية واللغوية والثقافية والسياحية والإعلامية والتاريخية.
* مُنح نوط الواجب العسكري من الطبقة الأولى، 15/ 1/ 1989.
* مُنح نوط الفاتح العظيم من الطبقة الأولى، 30/ 9/ 1993.
* عُين مستشاراً إعلامياً لدى أمين الإعلام والثقافة، 1998.
* عضو لجنة استشارة صحيفة الجماهيرية، 1990.
* عضو لجنة التخطيط بشعبية طرابلس، 2005.
* محرر في صحيفة الزحف الأخضر وصحيفة الشمس سابقاً، 1990.

المؤهلات والشهادات:

(1) شهادة/ معهد الثقافة العمالية بطرابلس، 1974.
(2) شهادة تقدير/ المؤسسة العامة للصحافة 1424 و.
(3) شهادة تقدير وتكريم في شأن العطاء الفكري ـ والإسهام في إثراء الحياة الثقافية والأدبية 2005.
(4) شهادة تقدير من أمانة الإعلام والثقافة، 2004.
(5) شهادة شكر وتقدير منحت كمساعد رئيس عام الحرس البلدي، 1943/ 1945م.
(6) شهادة اعتراف وتقدير في مجال تعليم اللغة الإنكليزية في مرحلة الابتدائية 1946/ 1951، بعد نيل شهادة المتريك في عام 1950.
(7) مترجم قانوني لدى المحاكم الابتدائية/ عربي إيطالي.
(8) شهادة تقدير ـ تقديراً لما قدمه من إعطاء فكري واعترافاً بما بذله من جهود علمية وما اسهم به في إثراء الحياة الثقافية والأدبية ـ تقرر منح الشهادة التكريمية بمناسبة الدورة السابعة لمعرض الجماهيرية الدولي للكتاب ـ اللجنة الشعبية العامة للثقافة.

كتب صادرة للمؤلف

1 ـ المختصر في تاريخ ليبيا (1911 ـ 1970) إنكليزي.

2 ـ لمحات تاريخية عن النضال الليبي (1911 ـ 1941) عربي.

3 ـ بزوغ فجر الجماهيرية 1970 ـ إنكليزي.

4 ـ كيف تتكلم العربية في ليبيا ـ إنكليزي/ عربي.

5 ـ كيف تتكلم الإيطالية ـ عربي/ إيطالي.

6 ـ الأمثال الليبية مترجمة مع الشرح/ عربي/ إنكليزي.

7 ـ تعليم اللغة العربية للأجانب ـ عربي/ إنكليزي.

8 ـ الأمثال العربية مع الشرح (2) والترجمة عربي/ إنكليزي.

9 ـ دليل ليبيا سياحياً (1) إنكليزي.

10 ـ حول ليبيا ـ تاريخ واقتصاد وسياحة ـ إنكليزي.

11 ـ المحادثة ـ العربية ـ الإنكليزية للأجانب.

12 ـ دعنا لنتعلم ـ العربية ـ الإنكليزية للأجانب.

13 ـ مدخل إلى الصحافة الليبية ـ مترجم إلى إنكليزي.

14 ـ مدخل إلى الصحافة الليبية ـ عربي قديماً وحديثاً.

15 ـ الإعلام العربي بين المطرقة والسندان/ عربي.

16 ـ المختصر في الصحافة/ عربي.

17 ـ أضواء عن المغرب الأقصى ـ تاريخ ـ عربي، تحت الطبع.

18 ـ الجريمة في فلسطين ـ إنكليزي.

19 ـ كيف وقعت الجريمة في فلسطين ـ عربي.

20 ـ الجريمة في فلسطين (حرب 1967) ف.

21 ـ تصاعد الجريمة في فلسطين 1917/ 1973 إنكليزي.

22 ـ ريغان قاتل الأطفال ومهندس العدوان على ليبيا 1986 ف باللغة العربية.

23 ـ ثورة الحجارة ضد الاستعمار الصهيوني ـ باللغة الإنكليزية (تاريخ منذ 1914/ 1918 وإلى عام 1998 ف.

24 ـ ثورة الجزائر المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي ـ عربي منذ الغزو 1830 ف وخاص بالكفاح البطولي للشعب الجزائري.

25 ـ كيف تتكلم الإيطالية (للعرب) ـ عربي/ إيطالي.

26 ـ لماذا نفى الليبيون إلى إيطاليا سنة 1911؟ إيطالي.

27 ـ تعليم اللغة العربية الفصحى للأجانب/ إنكليزي.

28 ـ دليلك إلى ليبيا في الماضي والحاضر/ إنكليزي.

29 ـ لكي تكون صحفياً ناجحاً ـ عربي.

30 ـ حكمة العرب في أمثالهم وأقوالهم ـ إنكليزي.

31 ـ الإنكليزية الأساسية للمسافر العربي عربي ـ إنكليزي.

32 ـ دروس في اللغة الإيطالية الأساسية خاص لتعليم المحادثة والقراءة والكتابة ذاتياً مع شروح مبسطة.

33 ـ كتاب وكالات الأنباء للسنة الرابعة ثانوية الفنون والإعلام لشعبة الفنون الإعلامية بالاشتراك مع الدكتور قيس الياسري.

34 ـ كتاب ما هو التلموذ عند اليهود؟

35 ـ دروس في القواعد الإنكليزية الأساسية في جزئين.

36 ـ قد تم ترجمة (6) من كتبه باللغات: المالطية والألمانية والفرنسية والإسبانية الإنكليزية والإيطالية.

37 ـ مذكراتي وتاريخ بلادي 1927/ 2005 تحت الطبع.

38 ـ السياحة وتاريخ ليبيا/ تحت الطبع 2007.

39 ـ مختارات من الأمثلة والأقوال العربية والإنكليزية (المقارنة ـ إنجليزي/ 2007).

40 ـ مختارات من الأمثلة العربية/ عربي ـ 2007.